

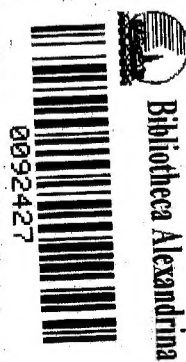
من روائع الحب العربي

مُختارات من الشعر والبشر

إعداد:
هيثم علي حجازي



مكتبة
الكتاب
الحسيني



من
روائع الأدب العربي

- المؤلف : هيثم علي حجازي
- الكتاب : من روائع الادب العربي / مختارات من الشعر والنثر
- الطبعة : الثانية ١٩٩٠
- الناشر : الاهلية للنشر والتوزيع
- هاتف : ٦٣٨٦٨٨ - ٦٥٧٤٤٥
- ص ٠ ب : ٧٧٧٢
- عمان / الاردن

٨١٠٩

من روائع الأدب العربي : مقتطفات من الشعر والنثر / جمع هيثم حجازي .
عمان : المؤلف ، ١٩٨٨

ص (١٧٦)

ر . أ. (١٩٨٨ / ١١ / ٦٨٣)

١ - الأدب العربي ٢ - النصوص الأدبية

أ - العنوان ب - هيثم حجازي « جمع »


(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

رقم الاجازة المتسلسل ٦٢٢ / ١١ / ١٩٨٨

من روائع الأدب العربي

مُختارات من الشعر والبَثْر

إعداد:
هَيْثَم عَلِي حجازي

 الأهلبيّة للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد...
فهذه هي الطبعة الثانية من هذه النصوص النثرية والشعرية ، التي اخترتها من
عيون الأدب العربي ، قديمه وحديثه .

وقد أردت من خلال النصوص المختارة من الأدب العربي القديم ، أن يتعرف
القارئ على هذا التراث الأدبي العربي ، وأن يتمرس بأساليب القدماء فيصبح على
اتصال مباشر ودائم معها ، يفيد في الاطلاع على جوانب متعددة ومختلفة من حياة
الآباء والأجداد ، فيجني منها العبرة ، ويأخذ من خلالها الحكمة .

أما النصوص المختارة من الأدب العربي الحديث ، فانها تهدف الى أن يطلع
القارئ على الفنون الأدبية الحديثة ، وعلى تطورها ، وان يتذوق هذه النصوص ليقف
على مدى تأثيرها بالحركة الشعرية العالمية ، وبالتيارات النقدية ، وان يلتصق بأهم
أحداث الحياة العربية .

ومن خلال هذا كله ، فان القارئ المتخصص سوف يتمرس بعملية تحليل
النصوص النثرية والشعرية تحليلاً شاملاً ، يتم من خلاله - في النهاية - توظيف
معرفته بالقواعد ، وتطبيقها تطبيقاً تاماً .

وقد أثرت أن لا أقوم بشرح معاني الكلمات الواردة في النصوص الا حسب ما
تقتضيه الضرورة ، وذلك كي يعتاد القارئ المتخصص العودة الى معاجم اللغة
العربية ، والتمرس في كيفية استخدامها ، وسبر أغوارها .

ولقد كان للتشجيع الذي حظيت به الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، ونفادها ،
أكبر الأثر في إعادة إصداره بعد تنقيحه ، وإضافة المزيد اليه ، أخذاً بعين الاعتبار تلك
الآراء الصائبة التي زودني بها اخواني وزملائي الذين أطلعوا عليه .
والله نسأل أن نكون قد وفقنا في خدمة القاريء ، والتراث العربي معاً .

هن النشر العربي القديم

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في الطائف بعدها خذلته ثقيف

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

السيرة النبوية لابن هشام*

* ابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين : ولد في البصرة ، ونشأ فيها ، كان من علماء الانساب واللغة وأخبار العرب ، وتاريخهم . توفي في مصر عام ٨٢٨ م . من آثاره : (السيرة النبوية) وهو ما يعرف بسيرة ابن هشام و (القصائد الحميرية) و (التيجان في ملوك حمير) و (شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب) وغير ذلك كثير .

من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَاثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ دِمَاعَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَأَنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَقَدْ بَلَغْتُ ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ كُلُّ رِبَا مَوْضُوعٌ ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ . قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رِبَا ، وَإِنْ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَإِنْ كُلُّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دِمَائِكُمْ أَضَعَّ دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَكَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ مِنْ أَنْ يُعْبِدَ بَارِضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطِيعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ النَّسِيَّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ، لِيُؤَاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ ^(١) مُضَرٌ ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ . أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُنَّ ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ إِنْمَّا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، فَأَعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي ، فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فَيْكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تُضِلُّوا أَبَدًا ، أَمْرًا بَيْنًا ، كَتَابَ اللَّهُ وَسَنَةَ نَبِيِّهِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوا ، تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أُعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، فَلَا تَظْلِمَنَّ أَنْفُسَكُمْ ؛ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ »

وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ أَشْهَدُ » .

السيرة النبوية لابن هشام

(١) رَجَبُ مُضَرٍ : إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ رَبِيعَةَ كَانَتْ تَحْرِمُ رَمَضَانَ ، وَتَسْمِيهِ رَجَبًا ، فَبَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ رَجَبُ مُضَرٍ لَا رَجَبُ رَبِيعَةَ ، وَإِنَّهُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَمَّا جَرَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي أَمْرِ الْإِمَارَةِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

الطبري *

حدثنا هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الانصاري ، ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبضَ اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : نؤلي هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، واخرجوا سعداً اليهم وهو مريض ؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه : إني لا أقدرُ لشكواي أن أسمعَ القومَ كلهم كلامي ؛ ولكن تَلَقُّ مني قولي فاسمعهموه ؛ فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله ، فيرفع صوته فيسمع أصحابه ، فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه : يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ ان محمداً صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاثان ؛ فما آمن به من قومه الا رجال قليل ؛ وكان ما كانوا يقدرون على ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولا ان يعزوا دينه ، ولا ان يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموماً به ، حتى اذا اراد بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الايمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ؛ والجهاد لاعدائه ؛ فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكراها ؛ واعطى البعيدُ المقادة صاغراً داخراً ؛ حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ؛ وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ؛ وبكم قرير عين ، استبديوا بهذا الأمر فانه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وفقت في الرأي وأصبحت في القول ، ولن نعدو ما رأيت ، ونؤليك هذا الأمر ، فانك فينا مقنعٌ ولصالح المؤمنين رضا . ثم انهم تراءوا الكلام بينهم ، فقالوا : فإن أبت مهاجرة قريش ، فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ؛ ونحن عشيرته وأولياؤه ، فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده ؛ فقالت طائفة منهم : فإننا نقول إذا : منا أمير ومنكم أمير ؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً ، فقال سعد بن عبادة حين سمعها : هذا أول الوهن !

** الطبري هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر . ولد في أمل في طبرستان عام ٨٣٩ م ، واستوطن في بغداد . عرض عليه ان يتولى منصب القضاء ، فرفض ، وانصرف الى التاريخ والتفسير . مات في بغداد عام ٩٢٣ م ، من آثاره : (أخبار الرسل والملوك / ١١ جزءاً) وهو ما يعرف بتاريخ الطبري ، و (جامع البيان في تفسير القرآن / ٣٠ جزءاً) وهو ما يعرف بتفسير الطبري ، و (اختلاف الفقهاء) و (المسترشد) و (جزء في الاعتقاد) و (القراءات) وغير ذلك .

وأتى عمر الخبِرُ ، فأقبل الى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلي بن ابي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الى أبي بكر أن اخرج الي ، فأرسل اليه : إني مشغول ؛ فأرسل اليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره ، فخرج اليه ، فقال أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عباد ، وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومن قريش أمير ! فمضيا مسرعين نحوهم ؛ فلقيأبا عبدة بن الجراح ، فتماشوا اليهم ثلاثتهم ، فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة ، فقالا لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون ، فقالوا : لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون . فقال عمر بن الخطاب : أتيناكم - وقد كنتم زورتم كلاما أردت أن أقوم به فيهم - فلما أن دفعت اليهم ذهب لأبتديء المنطق ، فقال لي أبو بكر : رويدا حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت . فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنتم أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه .

فقال عبد الله بن عبد الرحمن : فبدأ أبو بكر ، فحمد الله واثنى عليه ؛ ثم قال : إن الله بعث محمداً رسولاً الى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحده وهم يعبدون من دونه ألهة شتى ؛ يزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ؛ وانما هي من حجر منحوت ، وخشب منجور ، ثم نرا : « وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ » وقالوا : « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه ، والايمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم اياهم ؛ وكل الناس لهم مخالف ، زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقله عددهم وشنف الناس لهم ؛ واجماع قومهم عليهم ؛ فهم أول من عبد الله في الأرض وأمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك الا ظالم ، وانتم يا معشر الأنصار ، من لا يُنكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام ، رضيكُم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفقاتون بمشورة ، ولا نقضي دونكم الأمور .

قال : فقام الحباب بن المنذر بن الجموح ، فقال : يا معشر الانصار ، املِكوا عليكم امركم ؛ فان الناس في فيئكم وفي ظلكم ، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم ؛ ولن يصدر الناس الا عن رأيكم ، انتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، ذوو البأس والنجدة ؛ وانما ينظر الناس الى ما تصنعون ؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ؛ وينتقض عليكم امركم ؛ فإن أبى هؤلاء الا ما سمعتم ؛ فمنا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ! والله لا ترضى العرب ان يؤمروكم ونبياها من غيركم ؛ ولكن العرب لا تمتنع ان تولي امرها من كانت النبوة فيهم وتولي أمورهم منهم ؛ ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ؛ من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ،

ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلّ بباطل ، أو متجانف لإثم ، ومتورط في هلكة !

فقام الحباب بن المنذر فقال : يا معشر الأنصار املِكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ؛ فإن أبوا عليكم ما سألتموه ، فاجلُوهُم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ؛ فانتتم والله أحق بهذا الأمر منهم ؛ فانه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذِلُها المحكُّ ، وعُذِّقُها المرجَّبُ ! أما والله لئن شئتم لنعيدنَّها جدَّةً ؛ فقال عمر : إذا يقتلك الله ! قال : بل اياك يقتل !

فقال ابو عبيدة : يا معشر الانصار ! انكم أول من نصر وأزر ؛ فلا تكونوا أول من بدل وغير .

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يا معشر الانصار ؛ إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ؛ ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا ؛ والكدر لأنفسنا ؛ فما ينبغي لنا ان نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا ؛ فان الله ولي المنة علينا بذلك ، ألا إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومه أحق به وأولى . وايم الله لا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم !

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا ابو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا . فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ؛ فانك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ؛ والصلاة أفضل دين المسلمين ؛ فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ؛ أبسط يدك نبايعك .

فلما ذهب لبايعاه ، سبقهما إليه بشير بن سعد ، فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير بن سعد ؛ عَقَّتْكَ عَقَاق ؛ ما أَحَوَّجَكَ الى ما صنعتَ أَنْفَسْتَ على ابن عمك الامارة ؛ فقال : لا والله ؛ ولكنني كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم .

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعو اليه قريش ، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسيد بن حضير - وكان أحد النقباء ؛ والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا ، فقوموا فبايعوا ابا بكر . فقاموا اليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له من أمرهم .

قال هشام : قال ابو مخنف : فحدثني أبو بكر بن محمد الخراعي ، أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك ، فبايعوا ابا بكر ، فكان عمر يقول : ما هو إلا أن رأيت أسلم ، فأيقنت بالنصر .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال عبدالله بن عبد الرحمن : فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدا لا

تَطْنُوهُ ، فقال عمر : اقتلوه قتلته الله ! ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممت ان اطاك حتى تُنْذِرَ عضدك ، فأخذ سعد بلحية عمر ، فقال : والله لو حَصَصْتُ منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة ؛ فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر ! الرفقُ ها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر وقال سعد : أما والله لو أن بي قوة ما ، أقوى على النهوض ، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجْرك وأصحابك ؛ اما والله اذاً لألْحَقَنَّك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع ! احملوني من هذا المكان ، فحملوه فادخلوه في داره ، وترك أياها ثم بُعِثَ اليه أن اقبل فبايع فقد بايعَ الناسُ وبايعَ قومك ؛ فقال : اما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي ، وأخضِبَ سنان رمحي ، واضربكم بسيقي ما ملكته يدي ، واقتلكم بأهل بيتي ومن اطاعني من قومي ؛ فلا أفعل ، وايم الله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم ، حتى أعرَضَ على ربي ، وأعلم ما حسابي .

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : انه قد لَجَّ وأبى ؛ وليس بمبايعكم حتى يُقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ؛ فتركوه فليس تركه بضاركم ؛ انما هو رجل واحد . فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه ؛ فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ؛ فلم يزل كذلك حتى هلك ابو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن سهل وابي عثمان ، عن الضحاک بن خليفة ، قال : لَمَّا قام الحباب بن المنذر انتضى سيفه ، وقال : انا جدي لها المحك وعذيقها المرجب ؛ انا ابو شبل في عريسة الاسد ، يُعْزَى ، إليّ الأسد . فحامله عمر فضرب يده ، فندر السيف ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد ؛ وتتابع القوم على البيعة ؛ وبايع سعد ؛ وكانت فلتة كَفَلْتَاتِ الجاهلية ؛ قام ابو بكر دونها . وقال قائل حين اوطىء سعد : قتلت سعداً ، فقال عمر : قتلته الله ! انه منافق ، واعترض عمر بالسيف صخرةً فقطعه .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثني عمي يعقوب ، قال : حدثنا سيف ، عن مبشر ، عن جابر ، قال : قال سعد بن عبادة يومئذ لابي بكر : انكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الامارة ؛ وانك وقومي اجبرتموني على البيعة ، فقالوا : إننا لو أجبرناك على الفرقة فَصَرْتُ الى الجماعة كُنْتُ في سعة ؛ ولكننا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها ؛ لئن نزعنا يداً من طاعة ، أو فرقت جماعة ، لنُضْرِبَنَّ الذي فيه عيناك .

تاريخ الطبري

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح افريقية

ابن عبد ربه الاندلسي*

قدم عبد الله بن الزبير** على عثمان بن عفان بفتح افريقية ، فأخبره مشافهة ، وقص عليه كيف كانت الواقعة . فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بني ، أتقوم بمثل هذا الكلام في الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيب لك مني لهم . فقام عثمان في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ان الله قد فتح عليكم افريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها ان شاء الله . وكان عبد الله بن الزبير الى جانب المنبر ، فقام خطيباً ، وكان أول من خطب الى جانب المنبر ، فقال : الحمد لله الذي أَلَفَ بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذي لا تُجدد نعمائهم ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهلُه ، انتخبَ محمداً صلى الله عليه وسلم فاختره بعلمه ، واثمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعواناً ، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبيه ، فآمنوا به وعزروه ووقروه ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد لله منهم من استشهد ، على المنهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقي منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم . ايها الناس : رحمكم الله إننا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنا مع والٍ حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ، ويخفف بنا في الظواهر ، ويتخذ الليل جملاً ، يعجل الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى انتهينا الى افريقية ، فنزلنا منها بحيث يسمعون سهيل الخيل ، ورغاء الابل ، وقعقة السلاح . فأقمنا ايأما نُجْمُ كراعنا ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم الى الاسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ؛ فسألناهم الجزية عن صغارٍ ، أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ، فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نتائناهم ، وتختلف رُسُلنا اليهم . فلما يئس منهم ، قام خطيباً فحمد الله ، واثنى عليه ، وذكر

* ابن عبد ربه الاندلسي : هو احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم وهو من أهل قرطبة . ولد عام ٨٦٠ م ، وكان شاعراً مذكوراً . اشتغل بالأدب وألف كتابه (العقد) الذي يعد من أشهر كتب الأدب ، وقد أضاف المتأخرون اليه كلمة (الفريد) . أصيب بالفالج قبل وفاته بأيام ، وتوفي عام ٩٤٠ م .

** عبد الله بن الزبير : هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أبو بكر . ولد في المدينة عام ٦٢٢ م وهو أول مولود فيها بعد الهجرة . حكم مصر واليمن وخراسان والعراق وأكثر بلاد الشام بعد أن بويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ . دامت خلافته تسع سنوات ، وكانت له وقائع هائلة مع الأمويين . مات مقتولاً عام ٦٩٢ م بعد أن سير اليه الأمويون الحجاج بن يوسف الثقفي .

فضل الجهاد ، وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ثم نهضنا الى عدونا وقاتلناهم أشد القتال ، يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد لله فيهم رجال من المسلمين ، فبتنا وياتوا ، وللمسلمين دوي بالقرآن كدوي النحل ، ويات المشركون في خمورهم وملاعبيهم فلما أصبحنا أخذنا مصافنا الذي كنا عليه بالامس ، فزحف بعضنا على بعض ، فافترغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ؛ ففتحنها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئنا واسعاً ، بلغ فيه الخمس خمسمائة الف ، فصفق عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد قررت أعينهم وأغناهم النقل ، وأنا رسولهم الى أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذل من الشرك ، فاحمداوا الله عباد الله على آلائه ، وما أحل باعدائه ، من بأسه الذي لا يردّه عن القوم المجرمين ، ثم سكّنت ، فنهض اليه أبوه الزبير فقبّل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، يا بني : ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمّت .

العقد الفريد

من خطبة^(١) للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام*

أيُّها النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَيْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُهُمْ يُوهِي الصَّمُّ الصَّلَابَ وَفِعْلُهُمْ
يُطْمَعُ فَيْكُمُ الْأَعْدَاءُ ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حَيْدِي حَيَاد ! مَا
عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلِ ، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ لَا
يَمْنَعُ الضَّيِّمُ الذَّلِيلِ ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي
تُقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهِ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخِيبِ ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ
رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ أَصْبَحَتْ وَاللَّهِ لَا أَصْدَقُ قَوْلِكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا
بِالْكُمِّ ! مَا دَوَاؤُكُمْ ! مَا طَبْكُكُمْ ! الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ ! أَقُولُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ وَغَفْلَةٍ مِنْ غَيْرِ وَدَعٍ ؟ وَطَمَعاً
فِي غَيْرِ حَقٍّ ؟!

نهج البلاغة

(١) هذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند اغارة الضحاک بن قیس : فان معاوية لما بلغه فساد الجند ، على أمير المؤمنين دعا الضحاک بن قیس وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدت من الاعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وان وجت له خيلا او مسلحة فأغر عليها ، واذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى .. ولا تقيمن لخيلا بلغك انها قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلها ، وسرحه في ثلاثة الاف ، فأقبل الضحاک فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الاعراب ، ثم لقي عمر بن عميس بن مسعود الذهلي فقتله - وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود - ونهب الحاج ، وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة ، فساء ذلك امير المؤمنين ، وأخذ يستنهض الناس الى الدفاع عن ديارهم ، وهم يتخاذلون ، فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة ، ثم دعا بجر بن عدي فسيره الى الضحاک في أربعة الاف ، فقاتله ، فانهزم فاراً الى الشام يفتخر بأنه قتل ونهب .

* علي بن أبي طالب : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن . ولد في مكة عام ٦٠٠ م . تولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ ، فأصبح بذلك رابع الخلفاء الراشدين . وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وصهره ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . كان من أشجع الشجعان ، ومن الخطباء المفوهين ، ومن العالمين بالقضاء ، وهو أول من أسلم بعد خديجة ، جمعت أقواله وخطبه في كتاب (نهج البلاغة) وله ديوان شعر .

حديث ليلى الأخيلية مع الحجاج

ابو علي القالي *

حدثني ابو بكر بن الانباري قال حدثني ابي قال أخبرنا أحمد بن عبيد عن ابي الحسن المدائني عن حدثه عن مولى لعنيسة بن سعيد بن العاصي قال : كنت أدخل مع عنيسة بن سعيد ابن العاصي اذا دخل على الحجاج^(١) ، فدخل يوماً فدخلت اليهما وليس عند الحجاج أحد الا عنيسة ، فاقعدني فجاء الحجاج بطبق فيه رطب ، فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء الا جاني منه بشيء ، حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهما ؛ ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب ؟ فقال له الحجاج : ادخلها ، فدخلت ، فلما رأها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة قد أسنت حسنة الخلق ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلى الأخيلية^(٢) ؛ فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : يا ليلى ، ما أتى بك ؟ فقالت : إخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ؛ وكلبُ البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرفد . فقال لها : صفي لنا الفجاج ، فقالت : الفجاج مغبرة ، والأرض مقشعرة ؛ والمبرك معتل ، وذو العيال مختل ، والهالك للقل ؛ والناس مستنون ، رحمة الله يرجون ؛ وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة ، لم تدع لنا هبعا ، ولا ربعا ؛ ولا عافطة ولا نافطة ؛ اذهبت الأموال ومزقت الرجال ، واهلكت العيال ؛ ثم قالت : اني قلت في الأمير قولاً ؛ قال : هاتي ؛ فأنشأت تقول :

أحجاج لا يقلل سلاحك أنها المـ	سنايا بكف الله حيث تراها
أحجاج لا تغطي العصاة منهاهم	ولا الله يعطي للعصاة منهاها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة	تتبع أقصى دائها فشفاها

* أبو علي القالي : اسماعيل بن القاسم بن عيون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان . ولد عام ٩٠١ م في (منازجرد) على الفرات الشرقي ، ثم رحل الى العراق ، فأقام في بغداد وتعلم فيها ، ثم رحل الى المغرب عام ٣٢٨ م واستوطن في قرطبة ، ومات هناك عام ٩٦٧ م . كان مقرباً من خلفاء الاندلس ، ومن آثاره : (امالي القالي) و (النوادر) و (البارع) و (المقصود والممدود والمهموز) و (الامثال) .

(١) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، ولد في الطائف عام ٦٦٠ م ونشأ فيها ، ثم انتقل الى الشام ، وأصبح في صفوف عبد الملك بن مروان . قاتل عبد الله بن الزبير ، ثم تولى مكة والمدينة والطائف والعراق حيث أخمده ثورة الأخير . عرف عنه الدهاء ، وسفك الدماء ، والخطابة . مات في واسط عام ٧٤٤ م .

(٢) أما ليلى الأخيلية ، فهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب ، الأخيلية . من بني عامر بن صعصعة . وهي شاعرة ، اشتهرت بفصاحتها ، وذكائها ، وجمالها ، وبأخبارها مع توبة بن الحمير . تعد من شاعرات الطبقة التي تلي طبقة الخنساء ، وقد كانت هناك مهاجرة بينها وبين النابغة الجعدي . ماتت في (ساوة) نحو عام ٧٠٠ م ودفنت هناك . لها ديوان شعر .

شَفَاهَا مِنْ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا	غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقِنَاءَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشُرْبِ سِجَالُهُ	دُمَاءَ رِجَالٍ حَيْثُ مَالٌ حَشَاهَا
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رِزْ كَتِيبَةَ	أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةَ فَارَسِيَّةَ	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَجْلِبُونَ صَرَاهَا
فَمَا وَلَدَ الْإِبْكَارُ وَالْعَوْنُ مِثْلَهُ	يَبْخَرُونَ وَلَا أَرْضُ يَجِفُّ نَرَاهَا

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعر مذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت الى عنيسة بن سعيد فقال : والله اني لأعدُّ للأمر عسى الا يكون أبداً ، ثم التفت اليها فقال : حسبك : قالت : اني قد قلت أكثر من هذا : قال : حسبك ! ويحك حسبك ! ثم قال : يا غلام ، اذهب الى فلان فقل له : إقطع لسانها : فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير : إقطع لسانها : قال : فأمر باحضار الحجام ، فالتفتت اليه فقالت : ثكلتك أمك ! أما سمعت ما قال ، انما أمرك أن تقطع لساني بالصلّة : فبعث اليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضباً وهم بقطع لسانه وقال : ارددّها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد وأمانة الله يقطع مقولي ثم انشأت تقول :

حَجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا قُوَّةُ أَحَدٍ	أَلَا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حَجَّاجُ أَنْتَ شِهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتُ	وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نَوْرٌ فِي الدُّجَى يَقْدُ

ثم اقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله ايها الأمير ، ألا إنّنا لم نَرُ قط أفصح لساناً ، ولا أحسن محاورّةً ، ولا أملح وجهاً ، ولا أرضن شعراً منها ! فقال : هذه ليلي الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها ! ثم التفت اليها فقال : انشدينا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة : قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذي يقول :

وَهَلْ تَبْكِينَ لَيْلَى إِذَا مِتُّ قَبْلَهَا	وَقَامَ عَلَى قَبْرِي النِّسَاءُ النَّوْاحُ
كَمَا لَوْ أَصَابَ الْمَوْتُ لَيْلَى بِكَيْتُهَا	وَجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ سَافِحُ
وَأُغْبِطُ مِنَ لَيْلَى بِمَا لَا أَنْأَهُ	بَلْ كُلُّ مَا قَرْتُ بِهِ الْعَيْنَ طَائِحُ
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ	عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَضَفَائِحُ
لَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا	إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

فقال : زيدينا من شعره يا ليلي : قالت : هو الذي يقول :

سقاك من الغر الغواذي مطيرها	حمامة بطن الواديين ترثمي
ولا زلت في خضراء غصن نصيرها	أبينني لنا لا زال ريشك ناعما
فقد رابني منها الغداة سفورها	وكننت إذا ما زرت ليلى تبرقعت
واعراضها عن حاجتي وبسورها	وقد رابني منها صبود رأيته
أرى نار ليلي أو يراني بصيرها	وأشرف بالقور اليفاع لعلي
بلى كل ما شفا النفوس يضيرها	يقول رجال لا يضيرك نأيها
ويمنع منها نومها وسرورها	بلى قد يضير العين أن تكثر البكا
لنفسى ثقاها أو عليها فجورها	وقد زعمت ليلى بآني فاجر

فقال الحجاج : يا ليلي ، ما الذي رآه من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير، كان يلم بي كثيرا ، فارسل الي يوما أنني أتيك ! وفطن الحي فأرصدوا له ! فلما أتاني سفرت عن وجهي ! فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع ! فقال : لله درك ! فهل رأيت منه شيئا تكرهينه ؟ فقالت : لا والله الذي أسأله ان يصلحك ، غير انه قال مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأت تقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها	فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه	وانت لأخرى صاحب وحليل

فلا والله الذي أسأله ان يصلحك ، ما رأيت منه شيئا حتى فرق الموت بيني وبينه ؛ قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث ان خرج في غزاة له فأوصى ابن عم له : اذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة	من الدهر لا يسري الي خيالها
وأنا أقول :	

وعنه عفا ربي وأحسن حاله	فعرزت علينا حاجة لا ينالها
-------------------------	----------------------------

قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث ان مات فأتانا نعيه ؛ فقال : أنشدنا بعض مرثييك فيه : فأنشدت :

لتبك عليه من خفاجة نسوة	بماء شؤون العبرة المتحدر
-------------------------	--------------------------

قال لها فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كأن فتى الفتيان توبة لم يُنخِ قلائص يفحصن الحصى بالكرaker

فلما فرغت من القصيدة قال مُحصِنُ الفقعي - وكان من جلساء الحجاج - : مَنْ الذي تقول هذه فيه ؟ فوالله اني لأظنها كاذبة ؛ فنظرتُ اليه ثم قالت : أيها الأمير ، ان هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا تكون في داره عذراء إلا هي حامل منه ؛ فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب وقد كنتُ عنه غنياً ، ثم قال لها : سَلِي يا ليلي تُعْطِي ؛ قالت : أعطُ فمَثَلُكَ أعطى فأحسن ؛ قال لك عشرون ؛ قالت : زدْ فمَثَلُكَ زاد فأجمل ؛ قال : لك أربعون ؛ قالت : زدْ فمَثَلُكَ زاد فأكمل ؛ قال : لك ثمانون ؛ قالت : زدْ فمَثَلُكَ زاد فتمم ؛ قال : لك مائة ، واعلمي انها غَنَمٌ ؛ قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجودُ جوداً ، وأمجَدُ مجداً ، وأورى زنداً ، مَنْ أن تجعلها غَنَمًا ؛ قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت : مائة من الابل برعاتها ؛ فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجةٌ بعدها ؟ قالت : تدفع اليّ النابغة الجعدي ؟ قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ؛ فبلغ النابغة ذلك ، فخرج هاربا عائداً بعبد الملك ؛ فاتبعته الى الشام ؛ فهرب الى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج الى قتيبة ، فماتت بقومس^(٣) ويقال : بخلوان .

الامالي

(٣) قومس : اسم موضع .

كلام نعيم بن جميل بين يدي المعتصم

قال أحمد بن أبي داود : ما رأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل^(١) فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات ، وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامّة ، ودخل عليه ، فلما مثّل بين يديه ، دعا بالنطع والسيف ، فأحضرا : فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه ، وكان جسيماً وسيماً ، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جناحه ولسانه من منظره : فقال : يا تميم ، إن كان لك عذر فأت به ، أو حجة فأدل بها ! فقال : أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فأني أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين ، ان الذنوب تُخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، ولقد عظمت الجريمة ، وكبر الذنب ، وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولا هما بامامتك وأشبهما بخلافتك ، ثم انشأ يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً	يلاحظني من حيثما اتلفت
وأكبر ظنّي انك اليوم قاتلي	وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف	يسل على السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وأنني	لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم	وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنني أراهم حين أنعى إليهم	وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة	أزود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل : لا يبعد الله روحه	وأخرجذلان يسرويششمت

قال : فتبسم المعتصم ، وقال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل ، اذهب فقد غفرت لك الصبوة ، وتركتك للصبية .

العقد الفريد

(١) في معجم البلدان عند الكلام على رحبة مالك بن طوق أن هذه القصة كانت بين مالك بن طوق والرشيد . وقد وردت في زهر الاداب (ج ٣ ص ٢٠٠) وفي ثمرات الأوراق بهامش المستطرف (ج ٢ ص ٢٦ طبع المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٨ هـ) متفقة مع الأصول في أنها كانت بين تميم والمعتصم .

محاسن مجالس أبي العباس السفاح في المفاخرة حكاية خالد بن صفوان

البيهقي *

قيل : كان أبو العباس يطيل السهر ويعجبه الفصاحة ومنازعة الرجال ، فسهر ذات ليلة وعنده أناس من مضر وفهر وفيهم خالد بن صفوان بن الأهم التميمي^(١) وناس من اليمن فيهم ابراهيم بن مخزومة الكندي ، فقال أبو العباس : هاتوا واقطعوا ليلتنا بمحادثتكم . فبدأ ابراهيم بن مخزومة وقال : يا أمير المؤمنين ان أحوالكم هم الناس وهم العرب الأول الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم اليد العليا ، ما زالوا ملوكاً وأرباباً ، توارثوا الرئاسة كابراً عن كابر وأخراً عن أول ، يلبس آخرهم سراويل أولهم ، يعرفون بيت المجد ومآثر الحمد ، منهم النعمانات والمنذرات والقابوسات ، ومنهم غسيل الملائكة ، ومنهم من اهتز لموته العرش ، ومنهم مكلّم الذئب ، ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصباً ويحوي في كل نائبة نهبا ، ومنهم أصحاب التيجان وكماة الفرسان ، ليس من شيء وإن عظم خطرُهُ وعرف أثرُهُ من فرس رائع وسيف قاطع أو مجن واق أو درع حصين أو درة مكنونة الا وهم أربابها وأصحابها ، إن حلّ ضيف أقروه ، وإن سألهم سائل أعطوه ، لا يبلغهم مكاثر ولا يطاوّلهم مطاول ولا مفاخر ، فمن مثلهم يا أمير المؤمنين ؟ البيت يمان والحجر يمان والركن يمان والسيف يمان ، فقال أبو العباس : ما أرى مضر تقول بقولك هذا وما أظن خالدا يرضى بذلك . فقال خالد : ان أذن أمير المؤمنين وأمنت المواجهة تكلمت . فقال أبو العباس : تكلم ولا ترهب أحداً . فقال خالد : يا أمير المؤمنين خاب المتكلم واخطأ المتقحم ان قال بغير علم ونطق بغير صواب ، أو يفخر على مضر ومنها النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من أهل بيته ؟ وهل أهل اليمن يا أمير المؤمنين إلا دابغ جلد أو قائد قرد أو حائك برد أو دال عليهم الهدد وغرقهم الجرذ وملكتهم أم ولد من قوم ، والله يا أمير المؤمنين ما لهم السنة فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة تدل على كتاب ولا يعرف بها صواب ، وإنهم منا لحدى الخلتين إن حازوا ما قصصوا أكلوا وإن حادوا عن حكمنا قتلوا . ثم

* ابراهيم بن محمد البيهقي : لم يكتب عنه في كتب التراجم والأدب ، وكل ما عرف عنه انه عاش في القرن الخامس الهجري ، ومنهم من قال انه عاش ونبغ في عهد الخليفة المقتدر .

(١) خالد بن صفوان : هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي المنقري . ولد في البصرة . اشتهر بفصاحته ، وكانت له مجالس مع عمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عبد الملك ، وأدرك خلافة أبي العباس السفاح . جمعت بعض أقواله في كتاب . مات نحو عام ٧٥٠ م .

التفت الى الكندي فقال : أتفخر بأكرم الأنام وخيرها محمد صلى الله عليه وسلم وبه افتخر مَنْ ذَكَرَتْ ، فَأَلْمَنُ مِنَ اللَّهِ عز وجل عليكم ان كنتم اتباعه واشياعه فمننا نبي الله المصطفى وخليفة الله المرتضى ولنا السؤدد والعلو وفينا الحلم والحجا ولنا الشرف المقدم والركن المكرم والبيت المعظم والجناب الأخضر والعدد الأكثر والعز الأكبر ، ولنا البيت المعمور والمشعر المشهور والسقف المرفوع وزمزم ويطحائها وجبالها وصحراؤها وحياضها وغياضها واحجارها واعلامها ومنابرها وسقايتها وحجابتها وسدانة بيتها ، فهل يعدلنا عادل ويبلغ فخرنا قائل ، ومنا أعلم الناس ابن عباس أعلم البشر الطيبة أخباره الحسنة آثاره ، ومنا الوصي وذو النور ، ومنا الصديق والفاروق ، ومنا أسد الله وسيف الله ، ومنا سيد الشهداء وذو الجناحين ، ومنا الكماة والفرسان ، ومنا الفقهاء والعلماء ، بنا عرف الدين ومن عندنا أتاكم اليقين ، فَمَنْ زاحمنا زاحمناه وَمَنْ عادانا اصطلمناه وَمَنْ فاخرنا فاخرناه وَمَنْ بدل سنننا قتلناه . ثم التفت الى الكندي وقال : كيف علمك بلغات قومك ؟ قال : أنا بها عالم . قال : ما الجحمة في لغتكم ؟ قال : العين ، قال : فما الميزم ؟ قال : السن . قال : فالشنانير ؟ قال : الأصبع . قال : فالصنانير ؟ قال الأذان . قال : فما القلوب ؟ قال : الذئب . قال : فما الزب ؟ قال : اللحية . قال : افتقرأ كتاب الله عز وجل ؟ قال : نعم . قال : فإن الله عز وجل يقول : « انا انزلناه قرآنا عربياً » وقال : « بلسان عربي مبين » وقال جل ذكره : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وقال عز وجل : « العين بالعين » ، ولم يقل الجحمة بالجحمة ، وقال : « جعلوا أصابعهم في أذانهم » ولم يقل شناترهم في صنانيرهم ، وقال « السن بالسن » ؛ ولم يقل الميزم بالميزم ، وقال : « فأكله الذئب » ؛ ولم يقل القلوب ، وقال : « لا تأخذ بلحيتي » ولم يقل بزبي ، وانا سائلك يا ابن مخرمة عن ثلاث خصال فإن أنت أقررت بها قهرت وان جحدتها كفرت وإن انكرت قُتِلْتَ . قال : وما هي ؟ قال : أتعلم أن فينا نبي الله المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اللهم نعم . قال : أتعلم أن فينا كتاب الله تعالى قال : اللهم نعم . قال : أفتعلم أن فينا خليفة الله المرتضى ؟ قال : اللهم نعم . قال : فأني شيء يعدل هذه الخصال ؟ قال ابو العباس : اكفُفْ عنه فوالله ما رأيت غلبة أنكر منها ، والله ما فرغت من كلامك يا أخا مضر حتى أنه سيخرج بسريري الى السماء . ثم أمر لخالد بمائة ألف درهم .

المحاسن والمساوىء

المقامة المكية

الحريري *

حكى الحارث بن همام قال : نهضتُ من مدينة السلام^(١) لحجة الاسلام . فلما قضيتُ بعون الله التفت . واستبحتُ الطيبَ والرفقَ صادفَ موسمَ الخيف . معمعان الصيف . فاستظهرتُ للضرورة . بما يقي حرَّ الظهيرة . فبينما انا تحت طراف . مع رفقة ظراف . وقد حمي وطيس الحصباء . وأعشى الهجير عين الحرباء . اذ هجم علينا شيخ متسرع . يتلوه فتى مترعرع . فسلم الشيخُ تسليم أديب أريب . وحاوّر محاوراً قريب لا غريب . فأعجبنا بما نشر من سمطه . وعجبنا من انبساطه قبل بسطه . وقلنا له : ما أنت . وكيف ولجّت وما استأذنت ؟ فقال : أما أنا فعاف . وطالب اسعاف . وسرّ ضري غير خاف . والنظر الي شفيع لي كاف . وأما الانسياب . الذي علق به الارتباب . فما هو بعجاب . اذ ما على الكرماء من حجاب . فسألناه : أنى اهتدى اليك . وبم استدلت علينا ؟ فقال : إن للكرم نشرًا تنم به نفحاته . وترشد الى روضه فوحاته . فاستدلتُ بتأرج عرفتكم . على تبليج عرفتكم ! وبشرني تضوع رندكم . بحسن المنقلب من عندكم ! فاستخبرناه حينئذ عن لبنته . لنتكفل بإعانتة . فقال : ان لي مأرباً . ولفتاي مطلباً . فقلنا له : كلا المرامين سيقتضى . وكلاكما سوف يرضى . ولكن الكبرُ الكبر . فقال : أجل ومن دحا السبع الغُبر . ثم وثب للمقال . كالمنشط من العقال . وانشد :

بَعْدَ الْوَجَى وَالْتِفَافِ	إِنِّي أَمْرٌ أُبْدِعُ بِي
يَقْصُرُ عَنْهَا خَبِي	وَشُقَّتِي شَأْسٌ سَعِي
مَطْبُوعَةٌ مِنْ ذَهَبِ	وَمَامَعِي خُرْدٌ لَعِي
وَحَيْرَتِي تَلْعَبُ بِسِي	فَحِيلَتِي مُنْسَدَةٌ
خَفَّتْ لَوَاعِي الْعُطْبِ	إِنْ ارْتَحَلْتُ رَاجِلًا

* الحريري : هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أبو محمد الحريري البصري . ولد عام ١٠٥٤ م في (المشان - بالقرب من البصرة) وكان دميم الخلقة ، كثير العلم . لقب بالحريري نسبة الى صنع الحرير أو بيعه . مات في البصرة عام ١١٢٢ م . من آثاره : (مقامات أبي زيد السروجي) وهو ما يعرف باسم (المقامات الحريرية) و (درة الغواص في أوهام الخواص) و (ملحة الاعراب) و (صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور) وهو في التاريخ و (توشيح البيان) و (ديوان رسائل) و (ديوان شعر) .
(١) مدينة السلام : بغداد . السلام : اسم دجلة .

ققة ضاق مذهبي
وعبرتي في صبيب
جي ومرمى الطلب
ولا انهلال السحب
ووفركم فسي حرب
فخاف ناب النوب
حباعكم فمأحبي
وأحسنوا منقلبني
في مطعمي ومشربي
أسلمني للكراب
ونسبي ومذهبي
من العلوم النخب
في ان دائني أدبي
أرضعت ثدي الأدب
وعقني فيه أبي

وإن تخلفت عن الرق
فرقرتي في صعد
وأنتم منتجع الرأ
لهاكم منهلة
وجاركم في حرم
ما لاذ مرتاع بكم
ولا استدر أمـل
فانعطفوا في قصتي
قلو بلوثم عيشتي
لساعكم ضري الذي
لو خبرتم حسبي
وما حوت معرفتي
لما اعترتكم شبهة
فليت أني لم أكن
فقد دهاني شؤمه

فقلنا له : أما أنت فقد صرحت أبيتك بفاقتك ، وعطب ناقتك ، وسنمطيك ما يوصلك الى بلدك . فما مأربة ولدك ؟ فقال له : قم يا بني كما قام أبوك ، وفه بما في نفسك لأفض فوق ، فنهض نهوض البطل للبراز ، وأصلت لسانا كالغضب الجراز ، وانشأ يقول :

لهم مبان مشيده
قاموا بدفع المكيدة
بذل الكنوز العتيده
وجردقأ وعصيده
به توارى الشهيده^(١)
فشبعه من ثريده
فعبجوة ونهيده^(٢)

يا سادة في المعالي
ومن إذا نـاب خطب
ومن يهون عليهم
أريد منكم شياء
فإن غلا فرقاق
أو لم يكن ذا ولا ذا
فإن تعذرنا طراً

(١) الشهيدة : الهريسة

(٢) النهيدة : صنف من طبيع العرب وهي الزبدة التي لم يتم روب لبنها

وَلَوْ شَظَىٰ مِنْ قَدِيدِهِ	فَاخْضَرُوا مَا تَسَنَّى
لِمَا يَرُوجُ مُرِيْدِهِ	رَوَّجُوهُ فَنَفْسِي
لَرَحْلَةٍ لِي بَعِيدِهِ	وَالزَّادَ لَا بَدَّ مِنْهُ
تُدْعُونَ عِنْدَ الشَّدِيدِهِ	وَأَنْتُمْ خَيْرَ رَهْطٍ
لَهَا أَيَّامٌ جَدِيدِهِ	أَيَّادِيكُمْ كُلَّ يَوْمٍ
شَمَلُ الصَّلَاتِ الْمُقْبِيْدِهِ	وَرَاكُكُمْ وَأَصْصَلَاتُ
مَا تَرْفِدُونَ زَهْيْدِهِ	وَبُغْيَتِي فِي مَطَاوِي
تَنْفِيسُ كَرْبِي حَمِيدِهِ	وَفِيَّ أَجْرٌ وَعُقْبَى
يَفْضَحْنَ كُلَّ قَصِيدِهِ	وَلِي نَتَائِجُ فِكْرٍ

قال الحارث بن همام : فلما رأينا الشبل يشبه الأسد ، أرحلنا الوالد وزودنا الولد ، فقابلا الصنع بشكر نشر أريدته ، وأديا به ديته ، ولما عزمنا على الانطلاق ، وعقدا للرحلة حبك النطاق ، قلت للشيوخ : هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب ، أو هل بقيت حاجة في نفس يعقوب ؟ فقال : حاش لله وكلا ، بل جل معروفكم وجل ، فقلت له : قدنا كما دناك ، وأقدنا كما أقدناك ، أين الدورية ، فقد ملكتنا فيك الحيرة ؟ فتنفس تنفس من اذكر أوطانه ، وأنشد والشهيق يلعبم لسانه :

كَيْفَ السَّبِيلَ إِلَيْهَا ؟	سَرُوجَ دَارِي وَلَكِنْ
بِهَا وَأَخْنُوا عَلَيْهَا	وَقَدْ أَنْأَخَ الْأَعْمَادِي
حَطَّ الذَّنُوبُ لَدَيْهَا ^(١)	فَوَّ التَّتِي سِرْتُ أَبْغِي
مَنْ غَبْتُ عَنْ طَرْفِئِهَا	مَارَاقَ طَرْفِي شَيْءٍ

ثم اغرورقت عيناه بالدموع ، وأذنت مدامعه بالدموع ، فكره ان يستوكفها ، ولم يملك ان يكفكفها ، فقطع انشاده المستطلى ، وأوجز في الوداع وولى .

مقامات الحريري

(١) هذا قسم ، والمقسم به الكعبة

المقامة البغدادية

بديع الزمان الهمذاني*

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ :

اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ ، وَأَنَا بِبَغْدَادَ ، وَلَيْسَ مَعِيَ عَقْدٌ ، عَلَى نَقْدٍ^(١) ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهَزُ مَحَالَهُ حَتَّى أَهْلَنِي الْكَرْخَ^(٢) ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ^(٣) يَسُوقُ بِالْجَهْدِ حِمَارَهُ ، وَيَطْرُقُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ ، فَقُلْتُ : ظَفَرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ^(٤) ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ : لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ ، أَنْسَانِيكَ طَوْلَ الْعَهْدِ ، وَاتَّصَالَ الْبُعْدُ^(٥) ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابَ كَعْهَدِي ، أَمْ شَابَ بَعْدِي ؟ فَقَالَ : قَدْ تَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ^(٦) ، وَأَرْجُو أَنْ يُصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ ، إِلَى الصَّدَارِ ، أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ^(٧) ، فَقَبِضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ ، وَقَالَ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَا مَرْقُتَهُ ، فَقُلْتُ : هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصَبْ غَدَاءً ، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً ، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ الْقَرَمِ ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقْمِ^(٨) ، وَطَمِعَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ ، ثُمَّ أَتَيْنَا شِوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا ، وَتَتَسَايَلُ جُودَابَاتُهُ^(٩) مَرَقًا ، فَقُلْتُ : أَفَرَزَ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُلُوءِ ،

* الهمذاني : هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني ، أبو الفضل . ولد في همدان عام ٩٦٩م وانتقل الى هراة ثم الى نيسابور . التقى أبا بكر الخوارزمي ، ووقع شجار بينهما دفع بهما الى المساجلة ، فكانت نتيجة ذلك أن ذاع صيت الهمذاني ، وعلت مكانته . أما أكثر مقاماته فأنها مرتجلة ارتجالاً ، ويروى أنه كان يكتب الكتاب مبتدئاً بأخر سطر من سطره ومنتھياً بالسطر الأول ، فيخرجه ولا عيب فيه . توفي عام ١٠٠٨م .

(١) الأزاد : نوع من التمر الجيد . النقد : المسكوك من الذهب والفضة

(٢) الكرخ : محل ببغداد ، والضمير في « أهلني » راجع الى الأزاد

(٣) السواد : ريف العراق وقراه ، وقد سمي بالسواد لآكتساء أرضه بالخضرة من نبات وأشجار . والنسبة إليه سوادى

(٤) أراد بالصيد ذلك السوادى ، ثم أقبل عليه يحدّثه ويكالمه ، ويتدخل معه ليرزأه بشيء يناله منه

(٥) أخذ يدخل بحيلته في روع السوادى أنه أليف قديم وصاحب من عهد بعيد ، فلما أخطأ تكنيته وخشي ألا تجوز حيلته ، عمد إلى انتحال المعاذير ، بطول أمد الفراق ، وبعد عهد التلاق

(٦) المراد بالدمنة القبر

(٧) البدار : المبادرة والمصارعة ، والصدار : ثوب يلبس مما يلي الجسد ، والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر إلى ثوبه ليمزقه ، إظهاراً للجزع ، وتأكيداً للحيلة بأنّه صديق أبيه

(٨) استفزته : استهوته وحركته بشدة ، والحة في الأصل : إبرة العقب التي تلسع بها ، ثم حملت على الشدة مطلقاً ، والقرم : الشهوة البالغة لأكل اللحم ، واللقم : السرعة في الأكل ، والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه إليه أسرعا به إلى موافقتي

(٩) الجودابة : رغيف يخبز وفوقه طائر أو قطعة لحم

واختر له من تلك الأطباق ، وانضد عليها أوراق الرقاق ، ورش عليه شيئاً من ماء السماق ليأكله أبو زيد هنياً ، فانحنى الشواء بساطوره ، على زبدة تنوره ، فجعلها كالكحل سحقا ، وكالطحن دقا ، ثم جلس وجلس ، ولا ينس ولا يست حتى استوفينا ، وقلت لصاحب الحلوى : زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق ، وأمضى في العروق ، وليكن ليالي العمر ، يومي النشر^(١٠) ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤي الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ ، ليأكله أبو زيد هنياً ، قال : فوزنه ثم قعد وقعدت ، وجرّد وجرّدت^(١١) ، حتى استوفينا ، ثم قلت : يا أبا زيد ما أحوّنا إلى ماء يشعشع بالثلج ، ليقمع هذه الصارة ، ويفثا هذه اللقم الحارة^(١٢) ، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقا ، يأتيك بشربة ماء ، ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني أنظر ما يصنع ، فلما أبطأت عليه قام السوادي إلى حماره ، فاعتلق الشواء بإزاره ، وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ فقال أبو زيد : أكلته ضيفاً ، فلكمه لكمه ، وثني عليه بلطمة ، ثم قال الشواء : هاك ، ومتى دعوناك ؟ زن يا أبا القحة عشرين^(١٣) ، فجعل السوادي يبكي ويحل عقده بأسنانه ويقول : كم قلت لذاك القريد^(١٤) ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد ، فأنشدت :

أعمل لرزقك كل آله لا تقعدن بكل حاله^(١٥)
وانهض بكل عزيمة فالمرء يعجز لا محالة^(١٦)

مقامات الهمذاني

- (١٠) اللوزينج : نوع من الحلوى ، ومعنى كونه ليالي العمر أنه صنع ليلا ، ونهاري النشر أنه قد ظهر نهاراً ، ليكون قد شرب دهنه وعسله
- (١١) جرّد : أي شمر عن ساعده ليسرع في الأكل
- (١٢) يشعشع : يخلط ، الصارة : شدة الحر ، ويفثا يكسر ويخفف
- (١٣) هاك : اسم فعل بمعنى خذ ، القحة : الوقاحة وسوء الأدب ، ومعنى زن عشرين : أعط وزن عشرين درهماً .
- (١٤) العقد : جمع عقدة . أي شرع بحل عقدة كيسه ليخرج منه الدراهم . والقريد : تصغير قرد
- (١٥) المعنى لا تكن خائر القوى فتقعد عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك حتى تعمل له ، بل أجهد نفسك ، وأوسع في تحصيله .
- (١٦) أي أنه لا بد أن يأتي على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته : فانتهر فرصة شبابك وقوتك وقم بجلائل الأمور .

المقامة المضيرية

بديع الزمان الهمداني

حدثنا عيسى بن هشام قال :

كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ ، وَمَعِيَ أَبُو الْفَتْحِ الْأَسْكَدَرِيُّ ، رَجُلٌ الْفَصَاحَةُ يَدْعُوهَا فَتُجِيئُهُ ، وَالْبَلَاغَةُ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ ، وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التَّجَارِ فَقَدُمْتُ إِلَيْنَا مَضِيرَةً تَشْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ^(١) ، وَتَتَرَجَّرُ فِي الْغَضَارَةِ ، وَتُؤَذِّنُ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَشْهَدُ لِمَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْإِمَامَةِ ، فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ ، وَيَمُوجُ فِيهَا الطَّرْفُ ، فَلَمَّا أَخَذْتُ مِنَ الْخَوَانِ مَكَانَهَا ، وَمِنَ الْقُلُوبِ أوطَانَهَا ، قَامَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا ، وَيَمَقُّتُهَا وَآكَلَهَا ، وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا وَظَنَنَاهُ يَمْرَحُ ، فَإِذَا الْأَمْرُ بِالضَّدِّ ، وَإِذَا الْمَزَاحُ عَيْنُ الْجَدِّ ، وَتَنْحَى عَنِ الْخَوَانِ ، وَتَرْكُ مَسَاعِدَةِ الْإِخْوَانِ ، وَرَفْعَانَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ ، وَتَحَلَّيْتُ لَهَا الْأَفْوَاهُ وَتَلَمَّظْتُ لَهَا الشِّفَاهُ ، وَاتَّقَدْتُ لَهَا الْأَكْبَادُ ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الْفُؤَادُ ، وَلَكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرهَا ، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا ، فَقَالَ : قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا ، وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَمْنِ الْمَقْتُ ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ ، قُلْنَا هَاتِ . قَالَ : دَعَانِي بَعْضُ التَّجَارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ ، وَلِزْمَنِي مُلَازِمَةُ الْغَرِيمِ ، وَالْكَتَبُ لِأَصْحَابِ الرِّقِيمِ^(٢) ، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا ، وَقَمْنَا فَجَعَلَ طَوْلُ الطَّرِيقِ يُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ ، وَيُقَدِّمُهَا بِمُهْجَتِهِ ، وَيَصِفُ حَذَقَهَا فِي صَنْعَتِهَا ، وَتَأَنَّقَهَا فِي طَبْخِهَا . وَيَقُولُ : يَا مَوْلَايَ لَوْ رَأَيْتَهَا ، وَالْخَرْقَةَ فِي وَسْطِهَا ، وَهِيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ ، مِنَ التَّنْوِيرِ إِلَى الْقُدُورِ وَمِنَ الْقُدُورِ إِلَى التَّنْوِيرِ ، تَنْفُثُ بِفِيهَا النَّارَ ، وَتَدُقُّ بِبَيْدِهَا الْأَبْرَارَ . وَلَوْ رَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلِ ، وَأَثَرَ فِي ذَلِكَ الْخَدِّ الصَّقِيلِ ، لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُ فِيهِ الْعُيُونُ . وَأَنَا أَعْشَقُهَا لِأَنَّهَا تَعْشَقُنِي ، وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَرْزُقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ ، وَأَنْ يَسْعَدَ بِظَلْعِينَتِهِ^(٣) ، وَلَا سَيِّمًا إِذَا كَانَتْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحَاً^(٤) ، طِينَتُهَا طِينَتِي ، وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي ، وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي . وَأَرْوَمَتُهَا أَرْوَمَتِي . لَكِنَّا أَوْسَعُ مِنِّي خُلُقًا وَأَحْسَنُ خَلْقًا . وَصَدَّعَنِي بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَحَلَّتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَوْلَايَ ، تَرَى هَذِهِ الْمَحَلَّةَ ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالٍّ بِغَدَادَ يَتَنَافَسُ الْأَخْيَارُ فِي نُزُولِهَا ، وَيَتَغَايِرُ الْكِبَارُ فِي حُلُولِهَا . ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ التُّجَّارِ . وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِالْجَارِ وَدَارِي فِي السُّطَّةِ^(٥) مِنْ قِلَادَتِهَا ، وَالنُّقْطَةِ مِنْ دَائِرَتِهَا ، كَمْ

(١) أي : تدلُّ على أن أهل الحضرة أقدر من البدو في صنع المضيرة وهي نوع من الأكل فتشهد لهم بطول الباع في صنع ألوان الطعام .

(٢) أصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف الذين جرى ذكرهم في الكتاب العزيز .

(٣) ظلعينته : أراد بها هنا امرأته .

(٤) لحاً : أي قرابة متصلة .

(٥) السطة : الوسط .

تَقْدَرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقَ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا ؟ قُلْتُ تَحْمِينًا إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا ، فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَكْبَرَ هَذَا الْغَلَطَ ! تَقُولُ الْكَثِيرَ فَقَطْ ؟ وَتَنْفُسُ الصُّعْدَاءَ ، وَقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ ، وَأَنْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ ، فَقَالَ : هَذِهِ دَارِي ، كَمْ تَقْدَرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقْتُ عَلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ ^(٦) ؟ أَنْفَقْتُ وَاللَّهِ عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ ، وَوَرَاءَ الْفَاقَةِ ، كَيْفَ تَرَى صَنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا ؟ أَرَأَيْتَ بِاللَّهِ مِثْلَهَا ! أَنْظُرْ إِلَى دَقَائِقِ الصَّنِيعَةِ فِيهَا وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا فَكَأَنَّمَا خُطَّ بِالْبُرْكَارِ ^(٧) ، وَأَنْظُرْ إِلَى حَذَقِ النِّجَارِ فِي صَنْعَةِ هَذَا الْبَابِ ، أَتُخَذُهُ مِنْ كَمْ ^(٨) ؟ قُلْ : وَمَنْ أَيْنَ أَعْلَمَ ، هُوَ سَاجٍ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لَا مَارُوضٍ وَلَا عَفْنٍ ، إِذَا حُرِّكَ أَنْ ، وَإِذَا نَقِرَ طَنْ ، مَنْ أَتُخَذُهُ يَا سَيِّدِي ؟ أَتُخَذُهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ ، وَهُوَ وَاللَّهِ نَظِيفُ الْأَثْوَابِ ، بَصِيرٌ بِصَنْعَةِ الْأَبْوَابِ ، خَفِيفُ الْيَدِ فِي الْعَمَلِ ، لِلَّهِ دَرُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ ! بِحَيَاتِي لَا اسْتَعْنَتْ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ ، وَهَذِهِ الْحَلَقَةُ تَرَاهَا اسْتَرَيْتُهَا فِي سَوِّقِ الطَّرَائِفِ مِنْ عِمْرَانَ الطَّرَائِفِيِّ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ مُعَزِّيَّةٍ ^(٩) وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ الشُّبْهِ ^(١٠) ؟ فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ ، وَهِيَ تَدُورُ يَلُوبُ فِي الْبَابِ ، بِاللَّهِ دَوَّرَهَا ، ثُمَّ انْقَرَأَ وَأَبْصَرَهَا ، وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لَا اسْتَرَيْتَ الْحَلَقَ إِلَّا مِنْهُ ، قَلَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا الْأَعْلَاقَ ^(١١) ، ثُمَّ قَرَعَ الْبَابَ وَدَخَلْنَا الدَّهْلِيَّ وَقَالَ : عَمْرُكَ اللَّهُ يَا دَارَ ، وَلَا خَرَبَكَ يَا جِدَارَ ، فَمَا أَمْتَنَ حَيْطَانُكَ وَأَوْثَقَ بُنْيَانُكَ ، وَأَقْوَى أَسَاسُكَ ! تَأَمَّلْ بِاللَّهِ مَعَارِجَهَا وَتَبَيَّنْ دَوَاطِلَهَا وَخَوَارِجَهَا ، وَسَلِّنِي : كَيْفَ حَصَلَتْهَا ، وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلَتْهَا ، حَتَّى عَقَدْتُهَا ؟ كَانَ لِي جَارٌ يَكْنَى أَبَا سَلِيمَانَ يَسْكُنُ هَذِهِ الْمَحَلَّةَ وَلَهُ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يَسْعَى الْخَزْنُ ، وَمِنَ الصَّامِتِ ^(١٢) مَا لَا يَحْصُرُهُ الْوَزْنُ ، مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَخَلَفَ خَلْفًا أَتْلَفَهُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالزَّمْرِ ، وَمَرْقُهُ بَيْنَ النَّرْدِ وَالْقَمْرِ وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَسُوقَهُ قَائِدُ الْأَضْطِرَارِ ، إِلَى بَيْعِ الدَّارِ ، فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ الضَّجَرِ ، أَوْ يَجْعَلَهَا عَرْضَةً لِلْخَطَرِ ، ثُمَّ أَرَاهَا ، وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا ، فَأَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا حَسْرَاتِ ، إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ ، فَعَمَدْتُ إِلَى أَثْوَابٍ لَا تَنْصُرُ تِجَارَتَهَا ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ ، وَسَاوَمْتُهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيهَا نَسِيَّةً ^(١٣) ، وَالْمُدْبِرُ يَحْسِبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً ، وَالْمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُهَا هَدِيَّةً ، وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ الْمَالِ ، فَفَعَلَ وَعَقَدَهَا لِي : ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنْ اقْتِضَائِهِ ^(١٤) حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ فَاتَيْتُهُ فَاقْتَضَيْتُهُ ، وَاسْتَمَهَلَنِي فَاَنْظَرْتُهُ ، وَالتَّمَسَ غَيْرَهَا مِنَ الثِّيَابِ فَأَحْضَرْتُهُ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ ، وَوَثِيقَةً فِي يَدِي ، فَفَعَلَ . ثُمَّ دَرَجْتُهُ بِالْمُعَامَلَاتِ إِلَى

(٦) الطاقة : أراد بها النافذة

(٧) البركار أي البيكار

(٨) يريد : من كم قطعة صنع النجار هذا الباب ؟

(٩) الدنانير المعزّية : المنسوبة إلى المعزّ لدين الله الفاطمي

(١٠) الشُّبْهِ ، بفتحين : النحاس الأصفر

(١١) الأعلاق : النفائس

(١٢) الصامت : الذهب والفضة ونحوهما

(١٣) النسيئة : تأخير الثمن ، وأصله نسيئة - بالهمزة - فقلب الهمزة ياء ثم أُدْغِمَ

(١٤) اقتضاؤه : مطالبة بالدين الذي عليه

بَيْعُهَا حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدِّ صَاعِد ، وَبِخْتِ مُسَاعِد وَقُوَّة سَاعِد ، وَرُبُّ سَاعِر لَقَاعِد ، وَأَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ
مَجْدُود^(١٥) ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَحْمُود ، وَحَسْبُكَ يَا مُوَلَّي ، أَتَيْتُ كُنْتُ مِنْذُ لَيَالٍ نَائِماً فِي الْبَيْتِ
مَعَ مَنْ فِيهِ إِذْ قَرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ ، فَقُلْتُ : مِنَ الطَّارِقِ الْمُتَنَاب^(١٦) ! فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا عَقْدُ لَال^(١٧) ، فِي
جِلْدَةِ مَاءٍ وَرَقَةٍ آل ، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ ، فَأَخَذْتُ مِنْهَا إِخْذَةً خَلَسَ ، وَاشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ، وَسَيَكُونُ لَهُ
نَفْعٌ ظَاهِرٌ ، وَرَبِيحٌ وَافِرٌ ، بِعَوْنِ اللَّهِ وَدَوْلَتِكَ ، وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي
التَّجَارَةِ ، وَالسَّعَادَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَارَةِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ لَا يَنْبِيئُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا أَقْرَبُ مِنْ
أَمْسِكَ ، أَشْتَرَيْتُ هَذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنَادَاتِ ، وَقَدْ أُخْرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الْفَرَاتِ ، وَقَدْ أَمْسَدَتْ زَمَنَ
الْفَرَاتِ^(١٨) وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ مِنْذُ الزَّمَنِ الْأَطْوَلِ فَلَا أَجِدُ ، وَالْدَّهْرُ حَبْلِي لَيْسَ يَدْرِي مَا يَلِدُ ، ثُمَّ انْتَفَقَ
أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ ، وَهَذَا يُعْرِضُ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَاراً ، تَأْمَلُ بِاللَّهِ دِقَّتَهُ
وَلَيْتَهُ ، وَصَنَعَتُهُ ، وَلَوْ أَنَّهُ فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ ، لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدْرِ . وَإِنْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِأَبِي عُمَرَ
الْحَصِيرِيِّ ، فَهُوَ عَمَلُهُ ، وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُقُهُ الْآنَ فِي حَانُوتِهِ لَا يَجِدُ أَعْلَاقَ الْحَصِيرِ إِلَّا عِنْدَهُ ، فَبِحَيَاتِي
لَا أَشْتَرَيْتُ الْحَصِيرَ إِلَّا مِنْ دُكَّانِهِ ، فَالْمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لِإِخْوَانِهِ ، لَا سِيَّماً مَنْ تَحَرَّمَ^(١٩) بِخَوَانِهِ ، وَتَعَوَّدُ
إِلَى حَدِيثِ الْمُضِيرَةِ ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ ، يَا غُلَامُ الطُّسْتِ وَالْمَاءِ^(٢٠) ، فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ رَبِّمَا قَرُبَ
الْفَرَجِ ، وَسَهْلُ الْمَخْرَجِ ، وَتَقَدَّمَ الْغُلَامُ ، فَقَالَ : تَرَى هَذَا الْغُلَامَ ؟ إِنَّهُ رُومِي الْأَصْلُ عِرَاقِي النَّشْءِ .
تَقَدَّمَ يَا غُلَامُ وَاحْسَرُ عَنْ رَأْسِكَ ، وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ ، وَأَنْصُ عَنْ ذِرَاعِكَ ، وَافْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِكَ ،
وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، فَقَعَلَ الْغُلَامُ ذَلِكَ ، وَقَالَ التَّاجِرُ : بِاللَّهِ مَنْ اشْتَرَاهُ ؟ اشْتَرَاهُ وَاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ ،
مِنَ النَّخَّاسِ^(٢١) ، ضَمِرَ الطُّسْتِ ، وَهَاتِ الْإِبْرِيْقَ ! فَوَضَعَهُ الْغُلَامُ وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلْبُهُ وَأَدَارَ فِيهِ النَّظَرَ ،
ثُمَّ نَقَرَهُ ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الشَّبَّهِ كَأَنَّهُ جَذْوَةُ اللَّهَبِ ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ ، شَبَّهِ الشَّامِ ، وَصَنَعَةُ
الْعِرَاقِ ، لَيْسَ مِنْ خُلُقَانِ الْأَعْلَاقِ^(٢٢) ، قَدْ عَرَفَ دُورَ الْمُلُوكِ وَدَارَهَا ، تَأْمَلْ حُسْنَهُ وَسَلَنِي : مَتَى
اشْتَرَيْتَهُ ؟ اشْتَرَيْتُهُ وَاللَّهِ عَامَ الْمَجَاعَةِ ، وَأَدْخَرْتُهُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ ، يَا غُلَامُ ، الْإِبْرِيْقَ ، فَقَدَّمَهُ ، وَأَخَذَهُ

(١٥) مجدود : أي محظوظ

(١٦) المتنب : الذي يأتي دارك في وقت لا يأتي فيه الناس

(١٧) لال : أصله لآلي ، وهو جمع لؤلؤة ، ثم سهلت الهمزة فجري مجري قاضي ، والال : السراب ، وهو الذي يظهر
لك في الفلوات من بعيد كأنه ماء ، والمعنى : إن هذا العقد في الصفاء والمعان يشبه الماء ، وفي الرقة يشبه
الآل

(١٨) المنادات أي (المزاد) . أما دور الفرات ، فهي منازل أسرة كان لها هذا اللقب ، وكان بعضهم وزيراً للمقتدر بالله
العباسي ، وهو علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، وأصلهم من صريفيين من أعمال دجيل وكانوا
أجل الناس فضلاً وتبلاً ووفاء

(١٩) حرّم الإنسان وحريمه : ما يحميه ويقاقل عنه ويمنع دونه

(٢٠) الطست والماء مفعولان لفعل مضمر . أي ت بهما

(٢١) النخاس : الذي يبيع العبيد ، ويطلق العبد على الأبيض والأسود بالسواء ، ولا يختص نوعاً دون نوع

(٢٢) خُلُقَان : جمع خَلَقَ وهو البالي ، والأعلاق : جمع عِلَقَ وهو النفيس

التَّاجِرُ فَقُلِّبْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَأُنَبِّئُكَ مِنْهُ ، لَا يَصْلُحُ هَذَا الْإِبْرِيْقُ إِلَّا لِهَذَا الطُّسْتِ وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الطُّسْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الدُّسْتِ^(٢٣) ، وَلَا يَحْسُنُ هَذَا الدُّسْتُ إِلَّا فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَلَا يَجْمَلُ هَذَا الْبَيْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الضَّيْفِ ، أَرْسَلَ الْمَاءَ يَا غُلَامُ ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الطَّعَامِ ، بِاللَّهِ تَرَى هَذَا الْمَاءَ مَا أَصْفَاهُ ، أَزْرَقَ كَعَيْنِ السَّنُورِ^(٢٤) ، وَصَافٍ كَقَضِيبِ الْبُلُورِ ، اسْتَقِي مِنَ الْفُرَاتِ وَاسْتَعْمَلْ بَعْدَ الْبَيَاتِ فَجَاءَ كَلْسَانُ الشَّمْعَةِ ، فِي صِفَاءِ الدَّمْعَةِ ، وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي السَّقَاءِ ، الشَّأْنُ فِي الْإِنَاءِ ، لَا يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ ، وَهَذَا الْمُنْدِيلُ سَلَنِي عَنْ قِصَّتِهِ ، فَهُوَ نَسِجُ جُرْجَانٍ ، وَعَمَلُ أَرْجَانٍ ، وَقَعَ إِلَيَّ فَاشْتَرَيْتُهُ ، فَاتَّخَذْتُ أَمْرَاتِي بَعْضُهُ سَرَاوِيلًا ، وَاتَّخَذْتُ بَعْضُهُ مَنَدِيلًا : دَخَلَ فِي سَرَاوِيلِهَا عَشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَانْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هَذَا الْقَدْرَ انْتِزَاعًا وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى الْمُطْرَزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَزَهُ ، ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ ، وَخَزَنْتُهُ فِي الصُّنْدُوقِ ، وَادْخَرْتُهُ لِلظَّرَافِ مِنَ الْأَضْيَافِ ، لَمْ تَذَلَّهُ عَرَبُ الْعَامَةِ بِأَيْدِيهَا^(٢٥) ، وَلَا النِّسَاءُ لِمَاقِيهَا ، فَلَكَ عِلْقُ يَوْمٍ ، وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ ، يَا غُلَامُ الْخَوَانُ ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ ، وَالْقِصَاعُ ، فَقَدْ طَالَ الْمِصَاعُ^(٢٦) ، وَالطَّعَامُ ، فَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ . فَاتَى الْغُلَامُ بِالْخَوَانِ ، وَقُلِّبَ التَّاجِرُ عَلَى الْمَكَانِ ، وَنَقَرَهُ بِالْبَنَانِ ، وَعَجَّمَهُ بِالْأَسْنَانِ^(٢٧) ، وَقَالَ : عَمَرَ اللَّهُ بَغْدَادَ فَمَا أَجُودَ مَتَاعَهَا ، وَأُظَرِفَ صُنَاعَهَا ، تَأَمَّلْ بِاللَّهِ هَذَا الْخَوَانُ ، وَانْظُرْ إِلَى عَرَضِ مَتْنِهِ ، وَخَفَةِ وَزْنِهِ ، وَصَلَابَةِ عَوْدِهِ ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ ، فَقُلْتُ : هَذَا الشُّكْلُ ، فَمَتَى الْأَكْلُ ؟ فَقَالَ : الْآنَ ، عَجَلْ يَا غُلَامُ الطَّعَامَ ، لَكُنْ الْخَوَانُ قَوَائِمُهُ مِنْهُ^(٢٨) ، قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ : فَجَاشَتْ نَفْسِي وَقُلْتُ : لَقَدْ بَقِيَ الْخَبْزُ وَأَلَاتُهُ ، وَالْخَبْزُ وَصِفَاتُهُ^(٢٩) ، وَالْحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ اشْتَرَيْتَ أَصْلًا ، وَكَيْفَ اكْتَرَى لَهَا حِمْلًا ، وَفِي أَيِّ رَحَى طَحَنَ ، وَإِجَانَةً عَجَنَ ، وَأَيَّ تَنْوِيرٍ سَجَرَ ، وَخَبَازَ اسْتَأْجَرَ . وَبَقِيَ الْحَطْبُ مِنْ أَيْنَ احْتَطَبَ ، وَمَتَى جَلِبَ ؟ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ ، وَحُبِسَ حَتَّى يَبْسَ ، وَبَقِيَ الْخَبَازُ وَوَصَفُهُ ، وَالتَّلْمِيزُ وَنَعْتُهُ ، وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ وَالْخَمِيرُ وَشَرْحُهُ ، وَالْمِلْحُ وَمَلَا حَتَّهُ ، وَبَقِيَتِ السُّكَّرُجَاتُ^(٣٠) مَنْ اتَّخَذَهَا ، وَكَيْفَ انْتَقَذَهَا ؟ وَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا ؟ وَمَنْ عَمَلَهَا ؟ وَالْخَلُّ كَيْفَ انْتَقَى عِنَبَهُ ، أَوْ اشْتَرَى رُطْبَهُ ، وَكَيْفَ صُهِرَجَتْ مَعْصَرَتُهُ ؟ وَاسْتَخْلَصَ لُبَّهُ ؟ وَكَيْفَ قَيَّرَ حَبَّهُ^(٣١) ؟ وَكَمْ يُسَاوِي دَنَّهُ ؟ وَبَقِيَ الْبَقْلُ كَيْفَ احْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ ،

(٢٣) الدُّسْتُ : صَدْرُ الدَّارِ

(٢٤) السَّنُورُ : الْقَطْ

(٢٥) أَي لَمْ أَخْرِجْهُ لِأَحَدٍ حَتَّى تَتَبَذَّلَ الْعَامَةُ فَتَذَلَّهُ ، وَكَأَنَّهُ جَعَلَ اسْتِعْمَالَ غَيْرِ الظَّرْفِ لَهُ مَذَلَّةً وَهَوَانًا

(٢٦) الْمِصَاعُ - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ - أَصْلُهُ الْمَجَالِدَةُ ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا الْحَدِيثَ الْبَارِدَ وَالْكَلَامَ الْمُمْلَ بِالْمَقَاتِلَةِ وَالْمُكَافَاةِ

(٢٧) أَي عَضَهُ بِهَا لِيُخْبِرَهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا لِيَمْتَدِّحَهُ

(٢٨) أَي أَن ظَهَرَ وَقَوَائِمُهُ قِطْعَةً وَاحِدَةً

(٢٩) الْمَعْنَى : أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ أَنْ يَتَكَلَّمَ حِينَمَا يَجِيءُ الطَّعَامُ ، عَلَى كَيْفِيَةِ الْخَبْزِ وَيُشْرَحُ كَيْفَ اشْتَرَى أَلَاتِهِ ، وَيَصِفُهَا

وَصِفَاءً يَطِيلُ الْأَمَدَ ، وَيَزِيدُ الْكَمَدَ

(٣٠) السُّكَّرُجَاتُ : جَمْعُ سَكَّرَجَةٍ وَهِيَ الصَّحْفَةُ ، وَجَمْعُهَا صَحَافٌ كَجَفَنَةٍ وَجِفَانٍ وَزْنًا وَمَعْنَى

(٣١) الْحَبُّ : بِالضَّمِّ هُنَا ، بِمَعْنَى الْخَابِيَةِ كَالدَّنِّ ، وَقَيْرٌ : طَلَى بِالْقَارِ الَّذِي هُوَ الْقَطْرَانُ

وفي أي مَبْقَلَة^(٣٢) رُصِفَ؟ وكيف تُؤْتَقُ حتى نُظْفَ؟ وبَقِيَتِ المَضِيرَةُ كيف اشْتَرَى لَحْمُهَا؟ ووُفِيَ شَحْمُهَا؟ وَنُصِبَتْ قَدْرُهَا، وَأُجِّتْ نَارُهَا، وَدُقَّتْ أَبْزَارُهَا، حتى أُجِيدَ طَبْخُهَا وَعُقِدَ مَرْقُهَا؟ وهذا خُطْبُ يَطْمَ^(٣٣)، وأمرٌ لا يَتَمُّ، فَقُمْتُ، فقال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حَاجَةٌ أَقْضِيهَا، فقال: يا مولاي تَريدُ كَتِيفاً يُزْري بِرَبِيعِي الأميرِ وخَريفِي الوزِيرِ، قد جَحَّصَ أَعْلَاهُ وصَهْرَجَ أَسْفَلُهُ، وَسَطَحَ سَقْفُهُ وفَرَشَتْ بِالْمَرَمَرِ أَرْضُهُ، يَزِلُّ عَنْ حَائِطِهِ الذُّرُّ^(٣٤) فلا يَعلُقُ، ويمشي على أَرْضِهِ الذُّبَابُ فيزِلِقُ، عَلَيْهِ بابٌ، غَيْرَانُهُ^(٣٥) من خَلِيطِي سَاجٍ وعَاجٍ، مُزْدَوِجَيْنِ أَحْسَنَ ازْدَوَاجٍ، يَتَمَنَّى الضَّيْفُ أَنْ يَأْكَلَ فِيهِ، فَقُلْتُ: كُلْ أَنْتَ مِنْ هَذَا الجِرَابِ، لَمْ يَكُنِ الكَتِيفُ فِي الحِسَابِ، وَخَرَجْتُ نَحْوَ البابِ، وَأَسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ، وَجَعَلْتُ أَعْدُوهُوَ يَتَبَعُنِي وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الفَتْحِ المَضِيرَةُ، وَظَنَّ الصَّبِيانُ أَنَّ المَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صِيَاحَهُ، فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرَطِ الضُّجْرِ، فَلَقِيَ رَجُلٌ الحِجْرَ بِعِمَامَتِهِ فغَاصَ فِي هَامَتِهِ، فَأَخَذْتُ مِنَ النُّعَالِ بِمَا قَدَّمَ وَحَدَّثْتُ، وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبْتُ، وَحَشِرْتُ إِلَى الحَبْسِ، فَأَقَمْتُ عَامِينَ فِي ذَلِكَ النُّحْسِ، فَنَذَرْتُ أَنْ لَا أَكُلَ مَضِيرَةً مَا عِشْتُ، فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهْمْدَانِ ظَالِمٌ^(٣٦)؟

قال عيسى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنَا عُدْرَهُ، وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ، وَقَلْنَا: قَدِيمًا جَنَّتِ المَضِيرَةُ عَلَى الْأَحْرَارِ، وَقَدَّمْتُ الْأَرَادِلَ عَلَى الْأَخْيَارِ.

مقامات الهمداني

(٣٢) المَبْقَلَة: مكان البقل الذي يزرع فيه

(٣٣) يطم: يشدد ويعظم

(٣٤) الذر: جمع ذرة، وهي أصغر النمل

(٣٥) غيرانه: أي الفواصل بين أنواحه

(٣٦) أي: هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المَضِيرَة ما دام هذا هو السبب؟ أو هل ظلمت في نذري هذا؟

حديث معاذة العنبرية

* الجاحظ

حدثني شيخ فقال : لم أر في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها ، كمعاذة العنبرية . قالوا : وما شأن معاذة هذه ؟ قال : أهدى إليها العام ابن عم لها اضحية . فرأيتها كنيبة حزينة مفكرة مطرقة ، فقلت لها : مالك يا معاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرملة وليس لي قيم ، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي ، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه . وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها ، ولقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه . ولكن المرء يعجز لا محالة . ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر تضييع الكثير .

أما القرن فالوجه فيه معروف ، وهو أن يجعل منه كالخطاف ، ويسمر في جذع من أجذاع السقف ، فيعلق عليه الزبل والكيران ، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك ، وأما المصران فإنه لأوتار المندفة ، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة . وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ، ثم يطبخ ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللأدام وللعصيدة ولغير ذلك ، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ، فلم ير الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لها منه . وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر ، لقلة ما يخالطها من الدخان . وأما الالهاف فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تعد . وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب . ثم قالت : بقي الآن علينا الانتفاع بالدم . وقد علمت أن الله - عز وجل - لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه ، وإن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها ، وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به ، صار كية في قلبي وقذى في عيني ، وهماً لا يزال يعودني .

قال : فلم ألبث أن رأيتها قد طلقت وتبسمت . فقلت : ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم . قالت : أجل ذكرت أن عندي قدورا شامية جددا . وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها من التلطix بالدم الحار الدسم . وقد استرحت الآن ، إذ وقع كل شيء موقعه . قال : ثم لقيتها بعد ستة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قديد تلك ؟ قالت بأبي أنت ! لم يجيء وقت القديد بعد . لنا في الشحم والالية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش . ولكل شيء أبان .

* الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء ، أبو عثمان . ولد في البصرة عام ٧٨٠ م . من أئمة الأدب واللغة ، ومن زعماء المعتزلة . أصيب بمرض الفالج في أواخر أيامه ، وانهارت فوقه مجلدات الكتب فقتلته عام ٨٦٩ م . من آثاره : (الحيوان) و (البيان والتبيين) و (سحر البيان) و (التاج) و (الخلاصة) و (الحاسن والأضداد) و (النساء) و (الجواري) و (الفرق في اللغة) وغير ذلك الكثير .

وحدیث آخر فی البخل

... وحدث سمعناه على وجه الدهر ، زعموا أن رجلاً قد بلغ في البخل غايته ، وصار إماماً ، وأنه كان إذا صار في يده الدرهم ، خاطبه وناجاه وفدّاه واستبطّاه . وكان مما يقول له : « كم من أرض قد قطعْتَ ، وكم من كيس قد فارقتَ ، وكم من حامل رفعتَ ، ومن رفيع قد أحمَلْتَ . لك عندي أن لا تُعْرِى ولا تضحى » ثم يلقيه في كيسه ويقول له : « اسكن على اسم الله في مكان لا تُهان ولا تُذل ولا تُزعج منه » . وأنه لم يدخل فيه درهما قط فأخرجّه .

وإنَّ أهله ألحوا عليه في شهوة ، وأكثروا عليه في انفاق درهم ، فدافعهم ما أمكن ذلك . ثم حمل درهما فقط . فبينما ذاهب إذ رأى حوّاء قد أرسلت على نفسه أفعى لدرهم يأخذها ، فقال في نفسه : أتلّفُ شيئاً تُبدّلُ فيه النفس ، بأكلة أو شربة ؟ والله ما هذا الا موعظة لي من الله . فرجع الى أهله ، ورد الدرهم الى كيسه ، فكان أهله منه في بلاء ، وكانوا يتمنون موته والخلص منه بالموت ، والحياة بدونه .

فلما مات وظنوا أنهم قد استراحوا منه ، قدم ابنه ، فاستولى على ماله وداره ، ثم قال : « ما كان آدم ابي ؟ فان أكثر الفساد انما يكون في الإدام » قالوا : « كان يتأدم بجبنة عنده » . قال : « أروينها » . فاذا فيها حز كالجدول من أثر مسح اللقمة .

قال : « ما هذه الحفرة ؟ » قالوا : كان لا يقطع الجبن ، وانما كان يمسح على ظهره ، فيحفر كما ترى . قال : « فبهذا أهلكني ، وبهذا أقعدني هذا المقعد . ولو علمت ذلك ما صليتُ عليه » . قالوا : « فأنت كيف تريد أن تصنع ؟ » قال : « أضعها من بعيد ، فأشير اليها باللقمة » .

البخلاء

حكايات من بخل مروان بن أبي حفصة وأبي العتاهية

ابن حمدون*

كان أبو العتاهية^(١) ومروان بن أبي حفصة بخيلين يُضْرَبُ بهما المثل ، ويحسن فيهما قول أحمد بن أبي فتن :

وإنَّ أحقَّ الناسِ بِالْوَمِّ شاعِرٌ يَلُمُّ على البُخْلِ الرُّجَالَ ، وَيَبْخُلُ

وكان سَلَمُ الخاسر سمحا ، فكان يَأْتِي باب المهدي وعليه الثياب الجميلة ، ورائحة الطيب تفوح منه ، وتحت برنونه فاره ، وكان مروان يَأْتِي وعليه فروكِبٌ منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَمَ إليه ، فإذا هَمُّ بِأَكْلِهِ اشترى رأسا ، فقليل له في ذلك فقال : أعرف سعره فأمن خيانة الغلام فيه ، وأكل منه ألواناً ، أكل من غلصمته لوناً ، ومن عينيهِ لوناً ، ومن دماغه لوناً .

* * *

وقال مروان : ما فرحتُ بشيء قط فرحي بمائة ألف درهم وهبها إليَّ المهدي فوزنتها فزادت درهما فاشتريت به لحما .

* * *

واشترى لحما بدرهم فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان دائق ، فشكه القصاب وجعل ينادي : هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنف لذلك ، فبلغ الرشيد فقال : ويلك ما هذا ؟ قال : أكره الإسراف .

* * *

ولما قال أبو العتاهية :

تعالى الله يا سَلَمُ بن عمرو أذلَّ الحرصُ اعناقَ الرجالِ
هَبْ الدنيا تصير اليك عفواً أليسَ مَصِيرُ ذاكِ إلى زوالِ

* ابن حمدون : هو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي . ولد عام ١١٠٢ م . كان عالماً بالأخبار ، والأدب . نادم المستنجد العباسي ، وتولى (ديوان الزمام) ولقب (كافي الكفاة) . لكن الزمان انقلب عليه ، إذ أن المستنجد قبض عليه ، وحبسه ، وبقي كذلك إلى أن توفي عام ١١٦٧ م . من آثاره : (التذكرة / خمسة أجزاء) .

(١) أبو العتاهية : اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي . ولد عام ٧٤٨ م في (عين التمر) بالقرب من الكوفة ، وعاش في بغداد . كان شاعراً كثيراً ، ويعد من طبقة بشار بن برد وأبي نواس . اتصل بالخلفاء ، وعلت مكانته عندهم . توفي في بغداد عام ٨٢٦ م ، وله ديوان شعر .

قال سلم : ويلي على الجرّار ابن الفاعلة قد كنز الكنوز لا يُنفقُ منها وينسبني الى الحرص ،
ولا أملك غير ثوبيّ هذين ؟

* * *

واجتاز مروان بامرأة من العرب فأضافته ، فقال لها : عليّ إن وهب لي أمير المؤمنين مائة
الف درهم أن أهب لك درهما ، فأعطاه سبعين الفا ، فأعطاه اربعة دوانيق .

* * *

قال ثمامة بن أشرس : أنشدني أبو العتاهية :
إذا المرء لم يعق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
ألا إنما مالي الذي أنا متفق وليس لي المال الذي أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذي يحق ولا استهلكته مهالكه
فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من
مالك إلا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت .

فقلت له : هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك
سبعاً وعشرين بدرّة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاققتك ؟
فقال : يا أبا معن ، والله إن ما قلتَ لهو الحق ، ولكني أخاف الفقر والحاجة الى الناس ، قلتُ :
وبماذا يزيد حال من افتقر على حاله ، وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا
تشتري اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جوابي كله ، ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم
عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فأضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعايبتة ،
فأمسكت عنه ، وعلمت أنه ممن لم يشرح الله صدره للاسلام .

* * *

وقال له بعض اخوانه : أتزكي مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالي إلا من زكاة مالي ،
فقال : سبحان الله ، إنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك الى الفقراء والمساكين ، فقال لي : لو انقطعت
عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم .

* * *

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما بخلتُ بما رزقني الله قط ، قيل
له : وكيف ذلك ، وفي بيتك من المال ما لا يحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي انفقته .

التذكرة الحمدونية

محاورة بين ابن الأنباري وابن المعتز

* الحصري

وها هنا مساجلة جرت بين أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري^(١) وأبي العباس عبد الله بن المعتز^(٢)، لها في هذا الموضع موقع وهي طويلة اختصرت منها موضع الحاجة :

كتب ابن الأنباري إليه : جرى في مجلس الأمير ذِكْرُ الحسن بن هانئ والشعر الذي قاله في المجون وأنشده وهو يؤم قوما في صلاة ؛ وهو أن لكل ساقطة لاقطة ، وإن لكلام القوم رواة ، وكل مقول محمول . فكان حق شعر هذا الخليع ألا يتلقاه الناس بألسنتهم ؛ ولا يدونونه في كتبهم ، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم ؛ لأن نوي الأقدار والأسنان يجَلُون عن روايته ، والأحداث يُغشُون بحفظه ؛ ولا ينشد في المساجد ، ولا يتحمل بذكره في المشاهد ؛ فإن صنْع فيه غناء كان أعظم لبليته ؛ لأنه إنما يظهر في غلبة سلطان الهوى ، فيهيج الدواعي الدنيئة ، ويقوي الخواطر الرديئة ؛ والانسان ضعيف يتنازعه على ضعفه سلطان القوى ؛ ونفسه الأمارة بالسوء ، والنفس في انصبابها إلى لذاتها بمنزلة كوة منحدره من رأس رابية إلى قرار فيه نار ، إن لم تُحبس بزواجر الدين والحياء أدأها انحدارها إلى ما فيه هلكتها .

والحسن بن هانئ ومن سلك سبيله من الشعر الذي ذكرناه شطّار كشفوا للناس عَوَارهم ، وهتكوا عندهم أسرارهم ، وأبدوا لهم مساوئهم ومخازينهم ، وحسنوا ركوب القبائح .

فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم ، وعلى كل متصور أن يستقبح ما استحسَنوه ، ويتنزه من فعله وحكايته . وقول هذا الخليع : تَرَكُ ركوب المعاصي إِرْزاء بعفو الله تعالى حَصَّ على المعاصي أن يُتَقَرَّبَ إلى الله عز وجل بها تعظيما للعفو ، وكفى بهذا مجونا وخُلعا داعيا إلى التهمة لقائله في عظم الدين ، وأحسن من هذا وأوضح قول أبي العتاهية :

يَخَافُ مَعَاصِيَهُ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

* إبراهيم بن علي الحصري : هو إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ، أبو اسحاق الحصري ، ونسبته إلى عمل الحصر . وهو أديب وناقد من أهل القيروان . توفي عام ١٠٦١ م . من آثاره : (زهر الآداب وثمر الألباب) و (المصون في سر الهوى المكنون) و (جمع الجواهر في الملح والنوادر) وهو صاحب قصيدة (يا ليل الصب) .
(١) ابن الأنباري : هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر الأنباري . ولد في الأنبار على الفرات عام ٨٨٤ م ، وكان عالماً باللغة والأدب . يروى أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن : توفي في بغداد عام ٩٤٠ م . من آثاره : (الزاهر) و (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و (ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) و (غريب الحديث) و (الأمالي) وغير ذلك .

(٢) عبدالله بن المعتز : هو عبدالله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباس ، أبو العباس . ولد في بغداد عام ٨٦١ م ، وأصبح خليفة لمدة يوم وليلة فقط ، اذ خلع ومات خنقاً عام ٩٠٩ م . من آثاره : (البديع) و (أشعار الملوك) و (طبقات الشعراء) و (الجوارح والصيد) . له ديوان شعر .

فأجابه ابن المعتز : لم يقل أبو نواس ترك المعاصي إزراءً بعفو الله تعالى ، وإنما حكى ذلك عن متكلم غيره ، والبيت الذي أنشده له بحضرتنا :

لَا تَحْظُرُ الْعَفْوُ إِنْ كُنْتُ امْرِئاً حَرَجاً فَإِنْ حَظَرَكُهُ بِالْدِّينِ إِزْرَاءُ

وهذا بيت يجوز للناس جميعاً استحسانه والتمثل به ، ولم يؤسس الشعر بانيه على أن يكون المبرز في ميدانه من اقتصر على الصدق ولم يفو بصبوة ، ولم يرخص في هفوة ، ولم ينطق بكذبة ، ولم يغرق في ذم ، ولم يتجاوز في مدح ، ولم يزور الباطل ويكسبه معارض الحق ؛ ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وعدي بن زيد العبادي ؛ إذ كانا أكثر تذكيراً وتحذيراً ومواعظ في أشعارهما من امرئ القيس والنابغة . فقد قال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ
فَأَصْبَحْتُ مَعْشوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّءِ الظَّنِّ وَالْبَالِ
يَغْطُ غَطِيطُ الْبَكْرِ شَدُّ خَنَاقَةٍ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالِ

وقال النابغة :

وَإِذَا لَمَسْتُ لَمَسْتُ أَخْتَمَ رَابِئاً مُتَحَيِّزاً بِمَكَانِهِ مَلَأَ الْيَدِ
وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفِ رَابِئِ الْجِسَةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمَدِ

وهل يتناشد الناس أشعار امرئ القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نواس على تعيهرهم ومهاجمة جرير والفرزدق إلا على ملأ الناس و (في) حلق المساجد ؟ وهل يروي ذلك إلا العلماء الموثوق بصدقهم . وقد نفى حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فما بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم انكر ذلك عليه في هجائه حيث يقول :

وَأَنْتَ رَبِيطٌ نَبِيطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَبِيطُ خَلْفِ الرَّأكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ

وقد زعم بعض الرواة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث : أنت من خير أهلي . وما نهى النبي صلى الله عليه وسلم ولا السلف الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن انشاد شعر عاهر ولا فاجر .

ولقد أنشد سعيد بن المسيب وغيره من نظرائه تهاجي جرير وعمر بن لجأ فجعل يقول : أكله . يعني أكله جرير ولم ينكر شيئاً مما سمعه .

فأجابه ابن الأنباري : قد صدق سيدنا - أيده الله - في كل ما قاله من الأشعار التي عدل

قائلوها عن سنن المؤمنين المتقين ، ولم أكنُ أَجْهَلُ أَكْثَرُ ذلك ، إلا أنه لم يخطر ببالي ذِكْرُ ما كنتُ أعرف منه في وقت كتابتي ما كتبت به ، وما كل ما يعرف الانسان يحضره ، ولا تتواتى كل وقت خواطره ؛ على أن الذي جرى في هذا الأمر إنما هو على سبيل التعلم والتفهم . يذكر الذاكر شيئا قد تقدم صوابه ، فيحتج له ، وعليه فيه حجة قد تركها ، فيكشف السامع لها غطاءه مستبصرا ومذكرا ، فإن كان الحق ضالته وجد ما يبتغي ، وغنم ما وجد ، وإن أنف من الرجوع ، واشتد عليه النزوع ، جحد ما علم ، واجتج لما جهل ؛ لأن كل مطالب بباطل لا يخلو من جهل بما يدعي ، أو جهل بما يعرف ، ولم يُعْقَد - أعز الله الأمير - مجلسُ المناظرة في علم يعطى النظر فيه حقه الا فاز المرء فيه باستفادة صواب كان يجهله ، ورجوع عن خطأ كان يعتقده .

ولستُ أعز الله الأمير بمعصوم ، ومن لم يكن معصوما لم يكن صوابه بمضمون ، ولا زله بمأمون . وعلى حسب ما جرى تعلق قلبي بمعرفة ما تُضمَّنُهُ رقعتي هذه من الأمير ، فإن كان لامتناه بتعريفي ذلك في جواب عنها وجيه جري فيه على عادة طَوْلِهِ وفضلِه إن شاء الله .

فأجابه ابن الميتر : إنما أُجِيبْتُ - أعزك الله - أن تكون من الاخوان الذين يتجانون ثمر التناصح فيتذكرون فيتذكرون ، ويتدارسون فيفيدون ويستفيدون ، ففتحت بيني وبينك هذا الباب أذن لك بالولوج عليّ منه ، واثقا بكمال عقلك في المسارعة اليه ، وصنّت مودتنا عن استحسان مزور ، وتعمد الجحد في إقراره ، وملّق مكاشر يظهر التصديق بلا إنكار . ولا يزال الإخوان يسافرون في المودة حتى يلقوا الثقة فتلقى عصا التسيار ، وتطمئن بهم الدار ، وتقبل وفود النصائح ، وتؤمن خبايا الضمائر ، وتلقي ملابس التخلّق ، وتحل عقد التحفظ ، وقد أبعدك الله تعالى من الخطأ لما أشرق نور الصواب ، ولم لا وبلى يصطرعان على الحق ، وبالتعب وطىء فراش الراحة ؟ وبالبحت تستخرج دفائن العلوم ، ولا فرق بين إنسان يقاد وبهيمة تنقاد .

ولولا أن الناس اختلفوا متفرقين لاختلفوا متشاحين ، ولما قصدوا بالسكنى إلا بقعة من الدنيا يتنافسون فيها ، ويتفانون عليها ؛ وخير الاختلاف ما اجتنب معنى التماذي على الباطل فاهتدى فيه بالتبصير . كما روي أن عليا رضي الله عنه حاج عمر رضي الله عنه في المرأة التي وضعت لستة أشهر ، فأراد عمر رجمها فقال له : قد قال الله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » . فرجع عن ذلك عمر وامضاه .

وبالتقليد هلك مُتَرَفُّو الكفار القائلون : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا على أمة وَإِنَّا على آثارهم مقتدون » . وقال بعضهم : إذا سرّك أن تعرف خطأ مؤدّبك فجالس غيره . وقال عمر رضي الله عنه : ليس شيء أضر بالمرء من لجاجه في جهل . وإنما كان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل والبحث لشغفته على أمته من نزول مُعْتَرِضٍ يثقل عليهم فيما يُسألون عنه ، ثم كره عمر وعلي رضوان الله عليهما ما كان يجري على سبيل التعتن ، ويفارق سبيل التفقّه ولذلك قال علي رضي الله عنه لابن الكوّ : سلْ تَفْقَهًا ولا تَسَلْ تَعَنًّا .

جمع الجواهر

من أمثال العرب

المبرد *

قال أبو العباس : من أمثال العرب : لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ . يقول : إذا ذهب من مالك شيء ، فحذرك أن يحل بك مثله فتأديبه إياك عَوْضٌ مِنْ ذَهَابِهِ .
ومن أمثالهم : رَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا . وتأويله أن الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به ، فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف ، والريث الابطاء ، وراث عليه امره إذا تأخر .
ومن أمثال العرب : عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ . وأصل ذلك أن يمر صاحب الإبل بالارض المكثثة فيقول : ادْعُ أَنْ اعْشِيَّ إِبْلِي مِنْهَا حَتَّى أُرِدَ عَلَى أُخْرَى ، ولا يدري ما الذي يرد عليه .
وقريب منه قولهم : « أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءِ أَكْيَسٍ » . وتأويله أن يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير إليه فيقال له : أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءَ أَحْزَمٍ لَكَ ، فَإِنْ أَصَبْتَ مَاءَ آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ فَخَفَقْتُ مِنَ الْمَاءِ عَطِبْتُ .
ومن أمثالهم : « قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أَحْزَمُ » ، يقول : أعرف وجه الحزم فإن عزمته فأمضيت الرأي فأنا حازم ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي ، ومثله قول النابغة الجعدي :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَإِنِّي أَمْرٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ ارْتَبِ
وقال أعرابي يمدح سَوَّارَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ :

وَأَوْقَفَ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِغْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيَا
فالذي يُحْمَدُ امضاء ما تبين رشده ، فأما الإقدام على الغرر وركوب الأمر على الخطر فليس بمحمود عند ذوي الألباب ، وقد يَتَحَسَّنُ بِمِثْلِهِ الْفَتَاكُ ، كما قال :

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا تَرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا
إِذَا هُمُ الْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

* المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد . ولد في البصرة عام ٨٢٦ م . كان أحد أئمة الأدب ، والأخبار ، وإمام العربية في بغداد في زمانه . توفي في بغداد عام ٨٩٩ م . من آثاره : (المذكر والمؤنث) و (المقتضب) و (التعازي والمراسي) و (شرح لامية العرب) و (أعراب القرآن) و (طبقات النحاة البصريين) وغير ذلك .

فهذا شأن الفتاك وقال الآخر :

غَلَامٌ إِذَا مَا هَمَّ بِالْفَتَكِ لَمْ يَبِلْ الْاِمْتُ قَلِيلاً أَمْ كَثِيراً عَوَازِلُهُ

وقال آخر :

وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ تُشَاوِرَ عَاجِزاً وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ تَهَمَّ فَتَفْعَلَا

فأما قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : مَنْ أَكْثَرَ الْفِكْرَةَ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ ، فتأويله أنه من فكر في ظفر قرنه به ، وعلوه عليه لم يقدم وإنما كان الحزم عند علي رضي الله عنه أَنْ يَخْطُرَ أَمْرُ الدِّينِ ثُمَّ لَا يَفْكَرُ فِي الْمَوْتِ . وقد قيل له : أَنْقُتُلْ أَهْلَ الشَّامِ بِالْغَدَاةِ ، وتظهر بالعشي في إزار فقال لي : صَدَقْتُ ، كان أبي يقول : خير الناس للناس خيرهم لنفسه ، وذلك أنه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرقة لئلا يقطع ، ومن القتل لئلا يُقاد ، ومن الزنا لئلا يُحد ، فسلم الناس منه باتقائه على نفسه .

الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف

باب من الخطب القصار من خطب السلف و مواعظ النساك (وصية للأديب)

الجاحظ*

قال رجل لابي هريرة النحوي : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ؟! قال : كفى بترك العلم إضاعة . وسمع الأحنف رجلا يقول : التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر . فقال الأحنف : الكبير أكبرُ الناس عقلا ولكنه أشغلُ قلبا . وقال أبو الدرداء : مالي أرى علماءكم يذهبون وجهاً لكم لا يتعلمون !...

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يَقْبِضُ العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤساءَ جهلاً لا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » ولذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه حين دلى زيد بن ثابت في القبر : مَنْ سرّه أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه . وقال بعض الشعراء لبعض العلماء :

أُبْعِدَتْ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارُ فَمَا جَاوَزَتْ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرُّدَى حَذَرُ نَجَاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوٍ وَدَّهَ كَسَدُ
فَهَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْنَى سِى الْعِلْمِ مِنْهُ وَيَذْرُسُ الْآثَرُ

وقال قتادة : لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام إذ قال للعبد الصالح : « هل أتبعك على أن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ؟ »

أبو العباس التميمي قال : قال طاوس : الكلمة الصالحة صدقة .

وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فَضْلُ لِسَانِكَ تُعْبَرُ بِهِ عَنْ أَخِيكَ الَّذِي لَا لِسَانَ لَهُ صَدَقَةٌ » .

وقال الخليل : تَكَثَّرَ من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ . وقال الفُضَيْل : نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه . وكان يقال : اجعل ما في الكتب رأس مال ، وما في قلبك للنفقة . وكان يقال : يكتبُ الرجل أحسن ما سمع ، ويحفظ أحسن ما كتب . وقال أعرابي : حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك وقال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء بشيء أفضل

* تقدمت ترجمته فيما سبق

من علم إلى حلم ومن عفو إلى قدرة . وكان ميمون بن سيّاه إذا جلس إلى قوم قال : إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث تتجمل بها . وفخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : اسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني . وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدّموا إليه رجلا ليضرب عنقه قال : والله لئن كنا أسأتنا في الذنب فما أحسنت في العفو ؟ فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل .

وقال بشير الرحال : إنني لأجد في قلبي حراً لا يذهب إلا برد العدل أو حر السنان . وقدموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان ليضرب عنقه - ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكي - فهم عبد الملك بالمعلم فقال : دعه يبكي فإنه افتح لجرمه واصح لبصره وأذهب لصوته ؟ فقال له عبد الملك : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال : ما ينبغي للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء .. ؟ فأمر بتخلية سبيله . وقال إبراهيم بن أدهم : أعربنا في كلامنا فما نلحن حرفاً ، ولحنّا في أعمالنا فما نُعرب حرفاً وأنشد :

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بَتَمَزِيْقٍ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ

وقال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنبَ عنز مُصور لو بلغت إمامه سفك بها دمه . وعزل عمر زيادا عن كتابة أبي موسى في بعض قدماته فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك . وبلغ الحجاج موت اسماء بن خارجة فقال : هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ومات حين شاء .. ؟

وكان يقال : كدر الجماعة خير من صفو الفرقة . قال ابو الحسن : مر عمر بن ذر بعبد الله ابن عياش المنتوف ، وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال : يا هناه ، إنا لم نجد لك إذا عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك !

وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قال عمر : إنني والله لا أدع حقاً لله لشكاية تظهر ولا لغضب يحتمل ولا لمحاباة بشر ، وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وكتبَ عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص : يا سعد ، سعد بني أهيب ، إن الله إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن ما لك عند الله مثل الذي لله عندك .

ومات لعمر بن ذر ابن فقال : إي بني شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ! وقال رجل من مجاشع : كان الحسن يخطب في دم فينا فأجابه رجل فقال : وقد تركت ذلك لله ولوجوهكم ! فقال الحسن : لا تقل هكذا بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وأجرك الله .

ومر رجل بأبي بكر رضي الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله !

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلا عن شيء فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم ، إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل : لا علم لي . وكان أبو الدرداء يقول : أبغض الناس إلي أن أظلمه من لا يستعين علي بأحد الا بالله .

وذكر ابن ذر الدنيا فقال : كأنكم إنما زادكم في حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها . ونظر أعرابي إلى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال يُنعة ، ولكل يُنعة استحشاف . فباع ما هناك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه . وتمنى قوم عند يزيد الرقاشي فقال : أتمنى كما تمنيتم ؟ قالوا : تمنه . قال : ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نُعص ، وليتنا إذ عصينا لم نُمت ، وليتنا إن متنا لم نُبعث ، وليتنا إذ بعثنا لم نُحاسب ، وليتنا إذ حوسبنا لم نُعذب ، وليتنا إذ عذبنا لم نخلد .

وقال الحجاج : ليت الله إذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا فرفع عنا الهم بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح ، أو ليت إذ وقعنا في هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجي من عذابه . فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن ، أو علي بن الحسين ، فقال : ما علما شيئا في التمني ، ما اختار الله فهو خير . قال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا يُنال ما عنده الا بتركها . قال شريح : الحدة كناية عن الجهل . وقال أبو عبيدة : العارضة كناية عن البذاء .

وإذا قالوا : فلان مقتصد ، فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مُستَقْصِر ، فهو كناية عن الجور . وقال حبيب بن أوس الشاعر أبو تمام الطائي :

كَذَبْتُمْ لَيْسَ يَزْهَى مَنْ لَهُ حَسَبٌ وَمَنْ لَهُ نَسَبٌ عَمَّنْ لَهُ أَدَبٌ
إِنِّي لَذُو عَجَبٍ مِنْكُمْ أَرَدُّهُ فَيْكُمْ وَفِي عَجْبِي مِنْ زَهْوِكُمْ عَجَبٌ
لِجَاغَةِ بِي فَيْكُمْ لَيْسَ يُشْبِهُهَا إِلَّا لِجَاغَتُكُمْ فِي أَنْكُمْ عَرَبٌ

وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك عن ابنك ؟ قالت : إن مصيبيته أمنتني من المصائب بعده . وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغني : أيتها أسن ؟ أنا أو أنت يا طويس ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أهلك الطيب ! فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل : بزفاف أمك الطيبة إلى أهلك المبارك ؟ وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى .

وقال رجل من أهل الشام : كنت في حلقة أبي مسهر في مسجد دمشق فذكرنا الكلام وبراعته والصمت ونبالته ، قال : كلا إن النجم ليس كالقمر ، إنك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت . وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا : يا بني ، إذا أقلت من الكلام أكثرت من الصواب وإذا أكثرت من الكلام أقلت من الصواب ، قال : يا أبة ، فإن أنا أكثرت وأكثرت ؟! يعني

كلاما وصوابا ، قال : يا بني ما رأيتُ موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك !

وقال ابن عباس : لولا الوسواس ما باليت ان لا أكلّم الناس .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما تستبقوا من الدنيا تجدوه في الآخرة . وقال رجل للحسن : إني أكره الموت . قال : ذلك لانك أخرتَ مالك ولو قدّمته لسرّك أن تلحق به . وقال عامر بن الظرب العدواني : الرأي نائم والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأي . وقال : مكتوب في الحكمة : أشكّر لمن أنعمَ عليك ، وأنعم على من شكر لك . وقال أبو الدرداء : أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عبد الملك على المنبر : الا تنصفوننا يا معشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبي بكر وعمر ؟ نسأل الله أن يعين كلّاً على كلّ . وقال رجل من العرب : أربع لا يشبّعن من أربع : أنثى من ذكر ، وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر .

وقال موسى عليه السلام لأهله « امكثوا إني آنستُ ناراً عليّ أتاكم منها بخبر » فقال بعض المعترضين : فقد قال : « أو أتاكم بشهاب قَبَس » قال ابو عُقيل : لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ، ومن الجائع المقرور . وقال لبيد بن ربيعة :

وَمَقَامُ ضَيْقٍ فَرَجُّهُ	بَبِيَانٍ وَلِسَانٍ وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَالُهُ	زَلْ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلْ
وَلَدَى النِّعَمَانِ مِنِّي مَوْطِنٌ	بَيْنَ فَائِزٍ أَفَاقٍ فَالِدُحَلْ
إِذْ دَعَتْنِي عَامِرٌ أَنْصُرْهَا	فَأَلْتَقَى الْإِلْسَنُ كَالنَّبْلِ الدُّوَلْ
فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشْقًا صَائِبًا	لَيْسَ بِالْعَصْلِ وَلَا بِالْمَقْتَعَلْ
وَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ	كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلْ
وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ	رَهْطٌ مَرْجُومٌ وَرَهْطٌ ابْنُ الْمُعِلْ

وقال :

وَأَبْيَضُ يَجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى خَطِيْبَا إِذَا التَّفُّ الْعَجَامُ فَاصِلَا

وقال لبيد :

لَوْ كَانَ حَيٌّ فِي الْحَيَاةِ مُخْلَدًا	فِي الدَّمْرِ أَدْرَكُهُ أَبُو يَحْسُومِ
بِكِتَابٍ خُرْسٍ تَعَوَّدَ كَنْبُشُهَا	نَطَحَ الْكِبَاشُ شَبِيهَةً بِنُجُومِ
وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتُ خَلِيقَتِي	وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي

وقال لبيد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
يتكلمون مفاةً وخيالةً
وقال زيد بن جندب في ذكر الشغب :

ما كان أغنى رجالاً هنل سعيهم
وقال آخر في الشغب :

إني إذا عاقبت ذو عقاب
وقال ابن احمر بن العمد :

وكم حلها من تبحان سميذع
طوى البطن مثلاً إذا هبت الصبا
وقال :

هل لامني قوم لموقف سائل
وقال في التطبيق :

فلما ان بدا القعقاع لجت
تعاودن الحديد وطبقته
وهذا التطبيق غير التطبيق الأول :

وقال آخر :

لو كنت ذا علم علمت وكيف لي
وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة :

قال لقمان لابنه : يا بني ، اني قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت :

وقال الشاعر :

ما ان ندمت على سكوتي مرة
وقال آخر

خل جنبك لرام
مت بداء الصفت خير
انما المسلم من
وقال آخر في التحذير والاحتباس :

أخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلَ وَالتَّفَتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وقال في مثل ذلك :

لَا أَسْأَلُ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ سِيكَفِينِي
وقال حمزة بن بيض :

لَمْ يَكُنْ عَنْ جَنَائَةِ لِحِقَّتْنِي لَا يَسَارِي وَلَا يَمِينِي جَنَّتْنِي
بَلْ جَنَاهَا أَخٌ عَلَيَّ كَرِيمٌ وَعَلَى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تَجَنَّنِي

لأن هذه الكلبة - وهي براقش - انما نبحت غزياً وقد مروا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مخفقين ، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوها ولو سككت كانوا قد سلموا ، فضرب ابن بيض بها المثل ، وقال الأخطل :

تَنَقُّ بِلَا شَيْءٍ شَيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خَلَّتْهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
خَفَادُ فِي ظُلُمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلُّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ النَّهْرِ

وقالوا : الصمت حكم وقليل فاعله ، وقالوا ، اسْتَكْتَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ صَامِتٌ ، وقيل لرجل من كلب طويل الصمت : بحق ما سمتكم العلماء خُرس العرب ! فقال : أَسْكُتُ فَأَسْلَمُ وَأُسْمَعُ فَأَعْلَمُ ، وكانوا يقولون : لَا تَعْدَلُوا بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا ، (فَإِنَّكَ) لَا تَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : جُلْدُ فَلَانٍ حِينَ صَمِتَ وَلَا قُتْلُ حِينَ سَكَّتَ ، وتسمعهم يقولون : جُلْدُ فَلَانٍ حِينَ قَالَ كَذَا وَكَذَا وَقُتْلُ حِينَ قَالَ كَذَا وَكَذَا ، وفي الحديث المأثور : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَكَّتَ فَسَلِمَ أَوْ قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ ، والسلامة فوق الغنيمة لأن السلامة أصل والغنيمة فرع .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله يَبْغُضُ الْبَلِيغَ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا » .

وقيل : انْ كَانَ الْكَلَامُ مِنْ فَضَّةٍ فَالسَّكُوتُ مِنْ ذَهَبٍ ، وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبیین : انما عاب النبي صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ، والاعرابي المتشادق ، وهو الذي يصنع بفكيه وشذقيه ما لا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر ، فَمَنْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ أَعْيَبُ وَالذَّمُّ لَهُ أَلْزَمُ ، وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعاً يتمثلون بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ، ومدار العلم على الشاهد والمثل ، وإنما حثوا على الصمت لأن العامة إلى معرفة خطأ القول أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت ، ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى القائل في قوله ، والا فالسكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل ، ولعمري إن الناس إلى الكلام لأسرع ، لأن في أصل التركيب أن الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك

العمل والسكوت عن جميع القول . وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت . وقد قال الله عز وجل « سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّخْتِ » فجعل سمعه وكذبه سواء . وقال الشاعر :

بني عدي ألا يتهى سفيهمك إن السفية إذا لم يته مأمور
وقال آخر :

فإن أنا لم أمر ولم أته عنكما ضحكك له حتى يلج ويستشري

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل ، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص ! والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين . وبالكلام أرسل الله انبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة ومواضع الكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزني : طول الصمت حبسة كما قال عمر ترك الحركة عقلة . وإذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللهاث ويفتح الجرم . واللسان إذا كثرت تحريكه رق ولان وإذا اقللت تقلبيه وأطلت اسكاته جسا وغلظ . وقال عبادة الجعفي : لولا الدرية وسوء العادة لأمرت فتياننا ان يماري بعضهم بعضا . واية جارحة منعها الحركة ولم تمرنها على الأعمال اصابها من التعقد على حسب ذلك المنع .

فلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناطقة الجعدي : « لا يفضض الله فاك » ولم قال لكعب بن مالك : « ما نسي الله لك مقالك ذلك » ولم قال لهيذان بن شيخ : « رب خطيب من عبس ؟ ولم قال لحسان لما هيج الغطاريف على بني عبد مناف : « والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غيبش الظلام » ؟

وما نشك انه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ما ضارع الرياء أو السمعة والنفج والبذخ وعن التهاثر والتشاغب وعن المغالبة والممانعة . فأما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو الذي مدح التبيين وأهل التفصيل !؟ وفي هذا كفاية إن شاء الله .

قال دغفل بن حنظلة : إن للعلم أربعا : أفة ونكد وإضاعة واستجاعة ، فأفته النسيان ونكده الكذب وإضاعته وضعه في غير موضعه واستجاعته أنك لا تشيع منه . وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ولخرق سياسة أكثر الرواة ، لأن الرواة إذا شغلوا عقولهم بالإزدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ما قد دونوه كان ذلك الإزدياد داعيا إلى النقصان ، وذلك الربح سببا للخسران .

وقد جاء في الحديث « منهومان لا يشبعان منهوم في العلم ومنهوم في المال » وقالوا : علم علمك وتعلم علم غيرك ، فإذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال الخليل بن أحمد : إجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهها لك على ما ليس عندك ، وقال بعضهم ،

وأظنه بكر بن عبد الله المزني : لا تكذوا هذه القلوب ولا تهملوها فخير الكلام ما كان عقب الجِمام
ومَنْ أَكْرَهَ بَصْرَهُ عَشَى وعادوا الفُكْرَ عند نُبُوات القلوب واشحنوها بالذاكرة ولا تئاسوا من إصابة
الحكمة إذا امْتَحَنْتُمْ ببعض الاستغلاق فإنْ مَنْ أَدَامَ قَرَعَ الباب ولج . وقال الشاعر :

إذا المرءُ أَعْيَتْهُ المروءَةُ ناشِئاً فمَطْلَبُهَا كَهْلًا عليه شَدِيدُ

وقال الأحنف : السُّودُّ مع السَّوَادِ . وتقول الحكماء : مَنْ لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم

يبلغ فيها . وأنشد :

ودونَ النَّدَى في كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ
وَوَدَّ الْفَتَى في كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ إذا ما انْقَضَى لَوْ أَنْ نَائِلُهُ جَزَلٌ

وقال الهذلي :

وإنَّ سَيَادَةَ الْأَقْوَامِ فاعْلَمْ لها صُعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلٌ
أَتَرْجَوُ أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تَعْنَى وكيفَ يَسُودُ ذو الدَّعَةِ الْبَخِيلُ

وعن عُثْبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قال : ما رأيت عقول الناس الا
قريباً بعضها من بعض ، إلا ما كان من الْحَجَّاجِ وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت ترجح على
عقول الناس . أبو الحسن قال : سمعتُ أبا الضمري الحارثي (؟) يقول : كان الْحَجَّاجُ أَحْمَقُ بَنِي
مَدِينَةٍ واسط في بادية النَّبَطِ ثم قال لهم : لا تدخلوها ، فلما مات دَلَفُوا إليها من قريب . سمعتُ
قَحْطَبَةَ الْجُشَمِيِّ يقول : كان أهل البصرة لا يشكُّون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله
ابن الحسن وعبيد الله بن سالم . وقال معاوية لعمر بن العاص : إن أهل العراق قد قرنوا بك رجلاً
طويل اللسان قصير الرأي ، فأجد الحز وطبق المفصل وإياك أن تلقاه برأيك كله ؟

البيان والتبيين

من رسالة التوابع والزوابع

صاحب أبي تمام

* ابن شهيد

ثم أنصرفنا ، وركضنا حتى انتهينا إلى شجرة غيناء^(١) يتفجر من أصلها عين كمقلة حوراء ، فصاح زهير : يا عتاب بن حبناء ، حل بك زهير وصاحب ، فبعمرو والقمر الطالع ، وبالرقة المفكوكة الطابع^(٢) ، إلا ما أريتنا وجهك ! فانطلق ماء العين عن وجه فتى كفلقة القمر ، ثم اشتق الهواء صاعداً إلينا من قعرها حتى استوى معنا ، فقال : حياك الله يا زهير ، وحيا صاحبك ! فقلت : وما الذي أسكنك قعر هذه العين يا عتاب ؟ قال : حيائي من التحسن باسم الشعر وأنا لا أحسنه . فصحت : ويلي منه ، كلام محدث^(٣) ورب الكعبة ! واستندني فلم أنشده إجلالاً له ، ثم أنشدته :

أُبَكِّيتُ ، إِذْ ظَنَّ الْفَرِيقُ ، فِرَاقَهَا^(٤)

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

وَسَقَيْتُ مِنْ كَأْسِ الْخُطُوبِ دَهَاقَهَا	إِنِّي أَمْرُقُ لَعِبِ الزَّمَانِ بِهِمَّتِي ،
حُمُرُ الْأَنَامِ ، فَمَا تَرِيمُ نُهَاقَهَا ^(٥)	وَكَبُوتُ طَرَفًا فِي الْعُلَى ، فَاسْتَضَحَكْتُ
وَقَفَ الزَّمَانُ لَهَا هُنَاكَ فَعَاقَهَا	وَإِذَا ارْتَمَتْ نَحْوِي الْمُنَى لِأَنَالَهَا ،
فَمَتَى أَوْمَلُ فِي الزَّمَانِ لِحَاقَهَا ^(٦) ؟	وَإِذَا أُبْوَ يَحْيَى تَأَخَّرُ نَفْسُهُ ،

فلما انتهيت قال : أنشدني من رثائك . فأنشدته :

* ابن شهيد : هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد من بني الوضاح من أشجع من قيس عيلان ، أبو عامر الأشجعي . ولد في قرطبة عام ٩٩٢ م ، وكان وزيراً ، وهو من كبار الاندلسيين علماً وأدباً . مات في قرطبة عام ١٠٣٥ م . من آثاره : (كشف الدك وإيضاح الشك) و (حانوت عطار) وله ديوان شعر .

(١) الغيناء : الشجرة الخضراء

(٢) الطابع بفتح الباء وبكسرهما : الخاتم يطبع به ، يشير إلى قول أبي تمام :

يا عمرو ، قل للقمر الطالع : اتسع الخرق على الراقع
يا طول فكري فيك من حامل لرقعة مفكوكة الطابع

(٣) محدث : أي من الشعراء المحدثين ، والمراد بهم العباسيون الذين يميلون إلى تزويق الكلام وتمويهه

(٤) الفريق : الجماعة من الناس

(٥) طرفاً : فرساً كريماً ، منصوب على الحال . ما تريم : أي ما تترك

(٦) نفسه : همته . ورواية يتيمة الدهر : تأخر سعيه . لحاقها : الضمير يعود الى المنى ، في البيت السابق

أَعْيَنَّا أَمْرًا نَزَحَتْ عَيْنُهُ ،
 إِذَا الْقَلْبُ أَحْرَقَهُ بَنُّهُ ،
 يَوْدُ الْفَتَى مِنْهُ لَا خَالِيَا ،
 وَيَصْرِفُ لِلْكَوْنِ مَا فِي يَدَيْهِ ،
 لَقَدْ عَكَّرَ الدَّهْرُ بِالسَّابِقِينَ ،
 لَعَمْرُكَ مَا رَدَّ رَيْبَ الرَّدَى
 سِبْهَامُ الْمَنَايَا تُصِيبُ الْفَتَى ،
 أَصْبَنَ ، عَلَى بَطْشِهِمْ ، جُرْهُمَا ،
 وَأَقْعَصُنْ كَلْبًا عَلَى عِرْزِهِ ،

وَلَا تَعْجَبَا مِنْ جُفُونِ جِمَادٍ^(٨)
 فَإِنَّ الْمَدَامِيعَ تَلَوُّ الْفُؤَادَ
 وَسَعْدُ الْمَنِيَّةِ فِي كُلِّ وَادٍ^(٩)
 وَمَا الْكَوْنُ إِلَّا نَذِيرُ الْفُسَادِ^(١٠)
 وَلَمْ يُعْجِزِ الْمَوْتَ رُخْصُ الْجَوَادِ
 أَرِيبٌ ، وَلَا جَاهِدُ بَاجْتِهَادِ
 وَلَوْ خَضَرَبُوا دُونَهُ بِالسُّدَادِ
 وَأَصْمَيْنَ ، فِي دَارِهِمْ ، قَوْمَ عَادِ
 فَمَا اعْتَزَّ بِالصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ^(١١)

الى أن انتهت فيها الى قولي :

وَلَكِنِّي خَائِنِي مَعْشَرِي ،
 وَهَلْ ضَرَبَ السَّيْفُ مِنْ غَيْرِ كَفٍّ
 وَرَدْتُ يَفَاعًا وَبَيْلَ الْمَرَادِ^(١٢)
 وَهَلْ ثَبَّتَ الرَّأْسُ فِي غَيْرِ هَادٍ ؟

فَقَالَ : زِدْنِي مِنْ رِثَائِكَ وَتَحْرِيطِكَ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ :

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَصْرَعٌ لِعَظِيمٍ ؟
 هَوَى قَمْرًا قَيْسَ بِنِ عَيْلَانَ أَنْفَا ،
 فَكَيْفَ لِقَائِي الْحَادِثَاتِ إِذَا سَطَطَتْ ،
 وَكَيْفَ اهْتِدَائِي فِي الْخُطُوبِ إِذَا دَجَّتْ
 مَضَى السَّلَفُ الْوَضَاحُ إِلَّا بَقِيَّةً ،
 أَصَابَ الْمَنَايَا حَادِثِي وَقَدِيمِي
 وَأَوْحَشَ مِنْ كَلْبٍ مَكَانَ زَعِيمٍ^(١٣)
 وَقَدْ فُلَّ سَيْفِي مِنْهُمْ وَعَزِيمِي ؟
 وَقَدْ فَقَدْتُ عَيْنَايَ ضَوْءَ نُجُومٍ ؟
 كَغُرَّةٍ مُسَوِّدَةٍ الْقَمِيصِ بِهَيْمٍ^(١٤)

- (٨) نزحت : نفذ ماؤها . جماد : جمع جمد بفتح فسكون ، بمعنى جامد ، سمي بالمصدر .
 (٩) في كل واد : إشارة إلى المثل السائر : بكل واد بنو سعد . قيل إن الأضبط بن قريع السعدي تحول عن قوم ، وانتقل في القبائل ، فلما لم يحمد جوارهم رجع إلى قومه ، وقال المثل .
 (١٠) يصرفه : يفلته ، ويجعله ينصرف ، أو هو بمعنى ينفقه .
 (١١) أقعصن : قتلن . كلب : هو كلب بن وبرة أبو قبيلة يمانية مشهورة . الصافنات : صفة للخيل إذا قامت على ثلاث قوائم ، وطرف حافر الرابعة .
 (١٢) ردت ، من راد : طلب الكلا . اليفاع : التل . وبيل : وخيم المرعى . المراد : الموضع الذي يطلب فيه الكلا .
 (١٣) : قيس بن عيلان : صوابه قيس عيلان ، وهو أبو قبيلة مضرية مشهورة ، وعيلان اسم فرسه ، مضاف إليه واسم قيس الناس بن مضر ، وأخوه إلياس المعروف باسم خندف ، والمراد بالقمرين قيس وعيلان .
 (١٤) الغرة : ليلة استهلال القمر ، ومن الهلال طلوعه ، مسود القميص : أي الليل . البهيم : الأسود . هذه القصة قالها في رثاء أبي عبيدة حسان بن مالك بن أبي عبيدة ، وزير عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة .

ومنها :

رَمَيْتُ بِهَا الْأَفَاقَ عَنِّي غَرِيبَةً ، نَتِيجَةً خَفَاقِ الضُّلُوعِ كَظَلِيمِ
لَأُبْدِيَ إِلَى أَهْلِ الْحَجَى مِنْ بَوَاطِنِي ، وَأُذْلِي بَعْذِرِي فِي ظَوَاهِرِ لُومِ^(١٥)
أَنَا السَّيْفُ لَمْ تَتَّعِبْ بِهِ كَفُّ ضَارِبٍ ، صَرُومٌ إِذَا صَادَفَتْ كُفَّ صَرُومِ
سَعَيْتُ بِأَحْرَارِ الرِّجَالِ ، فَضَائِنِي رَجَالٌ ، وَلَمْ أُنْجِدْ بِجِدِّ عَظِيمِ
وَضَيَّعَنِي الْأَمْلَاقُ بَدْعًا وَعُودَةً ، فَضَبِعْتُ بِدَارِ مِنْهُمْ وَحَرِيمِ

فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ قَائِلًا ، فَإِذَا دَعَيْتَ نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ فَلَا تَكُدَّ قَرِيحَتَكَ ، فَإِذَا أَكْمَلْتَ
فَجَمَامُ ثَلَاثَةِ^(١٦) لَا أَقْلٌ . وَتَقَّحْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ قَوْلَهُ^(١٧) :

وَجَشَّئِنِي خَوْفَ ابْنِ عَقَّانَ رَدَّهَا ، فَتَقَفَّتْهَا حَوْلًا كَرِيئًا وَمَرَبَعًا^(١٨)
وَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا زِيَادَةٌ ، فَلَمْ أَرِ إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَسْمَعَ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسِنٌ عَلَى إِسَاءَةِ زَمَانِكَ ، فَقَبِلْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَغَاصَ فِي الْعَيْنِ .

(١٥) اللوم : مخفف اللؤم .

(١٦) فجمام ثلاثة : أي فراحة ثلاثة أيام .

(١٧) قوله : أي قول سويد بن كراع العكلي ، وهو شاعر أموي هجا بعض قومه ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ولم يزل متوارياً حتى عفا عنه .

(١٨) ردها : الضمير لقصيدة الهجاء . حول كريت : سنة تامة . المربع : الموضع يقيمون فيه أيام الربيع ، والمراد هنا مدة الإقامة فيه . ورواية الأغاني : ورعيتها صيفاً جديداً ومربعا .

صاحب بديع الزمان

وكان فيمّا يقابلني من ناديم فتى قد رمانى بطرفه ، وانكأ لي على كفه ، فقال : تحيلُ على الكلام لطيف ، وأبيك ! فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أو ما علمت أن الواصف إذا وصف شيئاً لم يتقدم إلى صفة ، ولا سَلَطَ الكلام على نفعه ، اكتفى بقليل الإحسان ، واجتزى^(١) بيسير البيان ؟ لأنه لم يتقدم وصف يُقرن بوصفه ، ولا جرى مساق يُضاف إلى مساقه . وهذه نُكتة بغذائية ، أنى لك بها يا فتى المغرب ؟

فقلت لزهير : من هذا ؟ قال : زبدة الحقب ، صاحب بديع الزمان . فقلت : يا زبدة الحقب ، اقترح لي . قال : صف جارية . فوصفتها . قال : أحسنت ما شئت أن تحسن ! قلت : أسمعني وصفك للماء^(٢) . قال ذلك من العقم^(٣) . قلت : بحياتي هاته . قال : أزرُق عين السنور ، صاف كقضب البلور : انتخب^(٤) من الفرات^(٥) واستعمل بعد البيات^(٦) ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة .

فقلت : انظره ، يا سيدي ، كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر ليّاح^(٧) : ينصب من إنائه ، انصباب الكوكب من سماءه : العين^(٨) حائوته ، والفم عفريته ، كأنه خيط من غزل فلق ، أو مخصر^(٩) يضرب به من ورق^(١٠) : يرفع عنك فتردى^(١١) ، ويصدع^(١٢) به قلبك فتتحيا .

فلما انتهيت في الصفة ، ضرب زبدة الحقب الأرض برجله ، فانفجرت له عن مثل برهوت^(١٣) ، وتدهدى^(١٤) إليها ، واجتمعت عليه ، وغابت عينه ، وانقطع أثره . فاستضحك الأستاذان من فعله ، واشتد غيظ أنف الناقة علي .

-
- (١) اجتزى : اكتفى ، لغة في اجتزا .
(٢) وصف الماء لبديع الزمان في المقامة المضيرية .
(٣) من العقم : أي لا يولد شبيه له .
(٤) انتخب : في المقامة المضيرية : استقي .
(٥) الفرات : الماء العذب ، أو لعله أراد به دجلة ، لأن قصة المضيرة وقعت في بغداد ، يقال الفراتان ، أي الفرات ودجلة .
(٦) البيات : أي أن يبيت الماء في إناء تحت السماء ليبرد ، ويصفى .
(٧) ليّاح : أبيض ناصع .
(٨) العين : أي عين الماء .
(٩) المخصر : رواية بقيمة الدهر : المخصرة ، وهي قضيب كان الأمير يأخذه بيده ، يشير به ويصل به كلامه .
(١٠) الورق : الفضة .
(١١) تردى : أي تهلك عطشاً .
(١٢) يصدع : يشق .
(١٣) برهوت : واد أو بئر بحضرموت .
(١٤) تدهدى : تدحرج .

من رسالة الغفران مع زهير بن أبي سلمى

أبو العلاء المعري*

وينظر الشيخ في رياض الجنة فيرى قصرين منيفين ، فيقول في نفسه : لأبلغن هذين القصرين فأسأل لمن هما ؟ فإذا قرب إليهما رأى على أحدهما مكتوباً : « هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزني » وعلى الآخر : « هذا القصر لعبيد بن الأبرص الأسدي »^(١) فيعجب من ذلك ويقول : هذان ماتا في الجاهلية ، ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء ؛ وسوف ألتبس لقاء هذين الرجلين فأسألهما بم غفر لهما ، فيبتدئ بزهير فيجده شاباً كالزهرة الجنية ، قد وهب له قصر من ونية^(٢) ، كأنه ما لبس جلباب هرم ، ولا تأفف من البرم ، وكأنه لم يقل في الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً ، لا أبأ لك ، يسأم !
ولم يقل في الأخرى :

ألم ترني عمرت تسعين حجةً ، وعشرأ تباعاً عشتها ، وثمانيا ؟
فيقول : جبر جبر^(٣) ! أنت أبو كعب ويجبر ؟ فيقول : نعم ، فيقول ، أدام الله عزه : بم غفر لك وقد كنت في زمان الفترة والناس همل^(٤) ، لا يحسن منهم العمل ؟ فيقول : كانت نفسي من الباطل نفوراً ، فصادفت ملكاً غفوراً ، وكنت مؤمناً بالله العظيم ، ورأيت فيما يرى النائم جبلاً نزل من السماء ، فمن تعلق به من سكان الأرض سلم ؛ فعلمت أنه أمر من أمر الله ، فأوصيت بني وقلت لهم عند الموت : إن قام قائم يدعوكم الى عبادة الله فأطيعوه ، ولو أدركت محمداً لكنت أول المؤمنين ، وقلت في الميمية ، والجاهلية على السكنة ، والسفه ضارب بالجران^(٥) :

* أبو العلاء المعري : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي المعري ، ولد في معرة النعمان عام ٩٧٣ هـ ، وأصيب بالعمى في الرابعة من عمره ، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة . سافر الى بغداد عام ٣٩٨ هـ ، وأقام هناك سنة وسبعة أشهر ، ومات في معرة النعمان عام ١٠٥٧ هـ فوقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه . اشتهر بارتدائه خشن الثياب ، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة . من آثاره : ديوان شعر في ثلاثة أجزاء هي : (لزوم ما لا يلزم / اللزوميات) و (سقط الزند) و (ضوء السقط) ومن مؤلفاته أيضاً : (الايك و الغصون / أكثر من مائة جزء) و (تاج الحرة) و (عبث الوليد) و (رسالة الملائكة) ، وغير ذلك .
(١) الأبرص الأسدي : هو أحد مشاهير شعراء الجاهلية وقد قتله المنذر بن ماء السماء لأنه قدم اليه في يوم يؤسه . وهو من بني أسد بن خزيمه بن مدركة .

(٢) ونية : اللؤلؤة .

(٣) جبر : نعم .

(٤) همل : شأنهم مهمل ليس لهم من يرعاهم .

(٥) السفه ضارب بالجران : أي ثابت ومقيم . كقولك : ضارب الأطناب .

فلا تكتمنُ الله ما في نفوسكم ليخفى، ومهما يكتنم الله يعلم
يؤخر ، فيوضع في كتابٍ ، فيدخر ليوم الحساب ، أو يعجل فينقم

فيقول ألسن القائل :

وقد أغدوا على ثبةٍ كرامٍ نشاوي واجدين لما نشاء^(٦)
يجرون البرود وقد تمشتُ محيا الكأس فيهم والغناء

أفأطلقت لك الخمر كغيرك من أصحاب الخلود ؟ أم حرمت عليك مثلما حرمت على أعشى
قيس ؟ فيقول زهير : إن أخا بكر^(٧) أدرك محمداً فوجبت عليه الحجة ، لأنه بعث بتحريم الخمر ،
وحظر ما قبح من أمر ؛ وهلك أنا والخمر كغيرها من الأشياء ، يشربها أتباع الأنبياء ، فلا حجة
علي .

فيدعوه الشيخ الى المنادمة ؛ فيجده من ظراف الندماء ، فيسأله عن أخبار القدماء .
ومع المنصف^(٨) باطية من الزمرد ، فيها من الرحيق المختوم شيء يمزج بزنجبيل ، والماء
أخذ من سلسبيل . فيقول ، زاد الله في أنفاسه : أين هذه الباطية من التي ذكرها السروي في
قوله :

ولنا باطيةٌ مملوءةٌ جونةٌ ، يتبعها برذيناها^(٩)
فإذا ما حاردت أويكات فت عن خاتم أخرى طينها ؛^(١٠)

(٦) ثبة : جماعة من القوم .

(٧) المقصود به الأعشى .

(٨) المنصف : الخادم .

(٩) برذيناها : أناؤها الذي يستعمل لشرب الماء .

(١٠) حاردت : تنحّت واعتزلت . - بكأت : قلت .

مع الامام علي

فأظهرت الوله والجزع ، فقال أمير المؤمنين : لا عليك ، ألك شاهد بالتوبة ؟ فقلت : نعم ، قاضي حلب وعدولها . فقال : بمن يُعرف ذلك الرجل ؟ فأقول : بعبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب ، حرسها الله ، في أيام شبيل الدولة فأقام هاتفاً يهتف في الموقف : يا عبد الكريم قاضي حلب في زمان شبيل الدولة هل معك علم من توبة علي بن منصور بن طالب الحلبي الأديب ؟ فلم يجبه أحد . فأخذني الهلع^(١) والقل ، أي الرعدة ، ثم هتف الثانية ، فلم يجبه مجيب . فليح بي عند ذلك ، أي صرعت الى الأرض ، ثم نادى الثالثة فأجابه قائل يقول نعم قد شهدت توبة علي بن منصور ، وذلك بأخرة من الوقت وحضرت متابه عندي جماعة من العدول ، وأنا يومئذ قاضي حلب وأعمالها ، والله المستعان . فعندها نهضت وقد أخذت الرمق^(٢) ، فذكرت لأمير المؤمنين ، عليه السلام ، ما ألتمس ، فأعرض^(٣) عني وقال : انك لتروم حدداً^(٤) ممتنعاً ، ولك أسوة بولد ابيك آدم . وهممت بالحوض فكدت لا أصل اليه ، ثم نغبت^(٥) منه نغبات لا ظمأ بعدها وإذا الكفرة يحملون انفسهم على الورد ، فتذودهم^(٦) الزبانية بعصي تضطرم ناراً ، فيرجع أحدهم وقد احترق وجهه أو يده وهو يدعو بويل وثبور^(٧) .

(١) الهلع : الخوف .

(٢) الرمق : تنفس الصعداء .

(٣) أعرض : أدار وجهه .

(٤) حدداً : حدوداً .

(٥) نغبت : شربت .

(٦) تذودهم : تدفعهم .

(٧) ثبور : العذاب .

أبو الطيب المتنبي

وأما الذين ذكرهم من المصحفين ، فغير البررة ولا المنصفين . وما زال التتفل^(١) يعرض لأداة الأسد ، وما أحسبه يشعر بمكان الحسد ، فإذا ادلج ورد^(٢) هموس ، تشقى به التامكة^(٣) ، أو اللموس ، فتعاله به منذر ، كأنه للمفترس مخذر ، ولا يراه الضيغم موضعاً للعتاب ، ويجعل أمره فيما يحتفل من الخطب المنتاب . وكم من أغلب مثار ، يسهد لغناء الطيثار^(٤) ، وإذا هو بليل تغنى ، فالقُسُورُ به معنى :

— ما يضر البحر أمسى زائراً أن رمى فيه غلام بحجر
* * *

— أو كلما طن الذباب أروعاه ؟ أن الذباب إذا عليّ كريم !
وما زال الهمج يقولون ، ويقصرون عن المكreme فلا يطولون ، وانهم عما أثل^(٥) متثاقلون ، وطلاب الأدب في جباله واقلون^(٦) .

من انفراد بفضيلة أثيرة ، فانه يتقدم بمناقب كثيرة ، وإن حساد البارع لكما قال الفرزدق :

فان تهجُ آل الزيرقان ؛ فانما هجوت الطوال الشم من آل يذبل
وقد ينبج الكلب النجوم ودونها فراسخ تقصي ناظر المتأمل
يعدو على الحاسد حسده ، ويذوب من كبت جسده :

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب ، أو أباً مثل دارم ؟
فأما ما ذكره من قول أبي الطيب : « أذم الى هذا الزمان أهيله »
فقد كان الرجل مولعاً بالتصغير ، لا يقنع من ذلك بخسة المغير ؛ كقوله :

من لي بفهم أهيل عصر يدعي أن يحسب الهندي فيهم باقل^(٧) ؟
وقوله : « حُبَيْبَتَا قلبي ، فؤادي هيا جمل »

(١) التتفل : الثعلب .
(٢) ورد : اسم آخر للأسد .
(٣) التامكة : الناقة العظيمة السنم .
(٤) الطيثار : البعوض .
(٥) أثل : عمر وابتنى .
(٦) واقلون : صاعدون .
(٧) باقل هو الذي يضرب به المثل في العبي .

وقوله : « مقالتي للأحيمق يا حليم »

وقوله : « ونام الخويدم عن ليلنا »

وقوله : « أفي كل يوم تحت ضبني شويعر »

وغير ذلك مما هو موجود في ديوانه ، ولا ملامة عليه ، انما هي عادة صارت كالطبع ، فما حسن بها مألوف الربع ، ولكنها تغتفر مع المحاسن ، والشام^(٨) قد يظهر على المراسن^(٩) .
وهذا البيت الذي أوله : « أذم الى هذا الزمان أهيله »

انما قاله في علي بن محمد بن سيار بن مكرم بأنطاكية قبل أن يمدح سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان ، والشعراء مطلق لهم ذلك ، لأن الآية شهدت عليهم بالتحريض^(١٠) وقول الأباطيل :
« ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ »

وأهل كلمة أصل وضعها للجماعة ، فيقال : ارتحل أهل الدار ، فيعلم السامع ان المتكلم لا يقصد واحداً بما قال ؛ الا أن هذه الكلمة قد استعملت للأحاد ، فقيل : فلان أهل الخير وأهل الاحسان ؛ قال حاتم الطائي :

ظلت تلوم على بكرٍ سمحت به ان الرزية في الدنيا ابن مسعود^(١١)

غادره القوم بالمعزاء منجداً ، وكان أهل الندى والحزم والجود^(١٢)

وكان هذه اللفظة أصلها أن تكون للجمع ، ثم نقلت الى الواحد ، كما أن صديقاً وأميراً ونحوهما انما وضعن في الأصل للأفراد ، ثم نقلن الى الجمع على سبيل التشبيه . وكذلك قولهم : بنو فلان أخ لنا . ويقال : أهل وأهله ، وأهلات في الجمع ، قال الشاعر :

فهم أهلات حول قيس بن عاصم اذا أدلجوا بالليل ، يدعون كوثرأ

وقال بعض النحويين في تصغير آل الرجل : يجوز أويل وأهيل كأنه يذهب الى أن الهاء في أهل أبدلت منها همزة ، فلما اجتمعت الهمزتان جعلت الثانية ألفاً ، ومثل هذا لا يثبت . والأشبه أن يكون آل الرجل ، مأخوذاً من آل يؤول ، اذا رجع ، كأنهم يرجعون اليه أو يرجع اليهم .

وأما ما ذكره من حكاية القطريلي وابن أبي الأزره فقد يجوز مثله ، وما وضع أن ذلك الرجل^(١٣) حبس بالعراق ، فأما بالشام فحبسه مشهور .

وحُدثت أنه كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب ، قال : هو من النبوة ، أي المرتفع من

(٨) الشام : الخال

(٩) المراسن : الخد .

(١٠) التحريض : التخرص : النفاق .

(١١) البكر : فتي الإبل .

(١٢) المعزاء : الأرض الصلبة .

(١٣) المقصود هنا المتنبي .

الأرض ، وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير ، يديرها في العلو مدير ، يظفر من وفق ، ولا يراع بالمجتهد أن يخفق .

وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس متدلهاً ، فمن ذلك قوله :

ولا قابلاً الا لخالقه حكما

وقوله :

ما أقدر الله أن يخزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

واذا رجع الى الحقائق ، فنطق اللسان لا ينبىء عن اعتقاد الانسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديناً ، وانما يجعل ذلك تزيناً ، يريد أن يصل به الى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالبة^(١٤) أمُ الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون ، وفيما بطن ملحدون .

(١٤) الخالبة : الخادعة .

من النشر العربي الحديث

مستودع الذخائر

أحمد أمين*

أين - تظن - مستودع الذخائر للأمة ؟

قد تجيب على الفور : إنه المطارات ، ومخازن الأسلحة ، ومستودع القنابل ، وما إلى ذلك من أماكن تكسب فيها آلات القتال وأتوات الحرب .

إن أجبت بذلك فقد أجبت بالعرض دون الجوهر ، وبالمجاز دون الحقيقة . وقد تتفلسف قليلاً ، فتقول : إن ذخيرة الأمة هي جيشها المسلح بعدده وعدده ، ومرانه وتجهيزه ، وفنونه وتشكيله .

إن قلتَ ذلك فقد قاربتَ الصواب ولم تقله ، وحُمتَ حوله ولم تقع عليه . فما قيمة الذخائر إذا لم تجد رجلاً ؟ وما ينفع السيف إذا لم تك قتلاً ؟ إن السيف في يد الغر والحاذاق كالقلم في يد الأمي والكاتب ؛ بل ما ينفع الجندي المسلح ، إن لم يكن بين جنبيه قلب لا يهاب ونفس لا تفزع ؟

* * *

الاجابة الحقة هي أن مستودع الذخائر للأمة ، قلب المرأة ، قلب المرأة هو الجيش الأول الذي لا قيمة لقنابل ، ولا طيارات ، ولا غواصات ، ولا دبابات ، بدونه . وإن شئت فقل هو الطابور الخامس الذي لا يوقع الرعب والفزع في قلوب الأعداء شيء مثله . لقد خلقت المرأة من ضلع من أضلاع الرجل ، ولكن سرعان ما تغير الحال فخلق قلب الرجل من قلب المرأة .

* * *

يخطئ من يظن أن لبن الأم ليس الا نسبة معينة من الدسم ، ونسبة معينة من الماء ، وما الى ذلك ؛ فليس هذا كله الا تحليلاً للمادة ، وليست المادة كل شيء في اللبن ؛ وإنما قصر تحليل

* أحمد أمين : هو ابن الشيخ إبراهيم الطباخ . ولد في القاهرة عام ١٨٧٨ م وتوفي فيها عام ١٩٥٤ م . درس في الأزهر الشريف ، ثم في مدرسة القضاء الشرعي ، وعمل مدرساً فيها ، وتولى القضاء في بعض المحاكم الشرعية . عمل بعد ذلك مدرساً في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وأصبح عميدها عام ١٩٣٩ م ثم مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عام ١٩٤٧ حتى وافته المنية . أشرف على « لجنة التأليف والترجمة والنشر » في مصر مدة ثلاثين عاماً . من آثاره : (فيض الخاطر) ويقع في ستة أجزاء هي مجموع مقالاته التي كتبها في المجلات والصحف وخاصة مجلتي الرسالة والثقافة . وهو صاحب (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) و (ظهر الاسلام) و (يوم الاسلام) و (النقد الأدبي / جزآن) و (زعماء الاصلاح في العصر الحديث) و (الى ولدي) و (حياتي) و (قاموس العادات) و (الصعلكة والفتوة في الاسلام) كما ترجم كتاب (مبادئ الفلسفة) .

الكيميائيين فقصرت نتائجهم . ان في اللبن صفات خلقية ، وصفات عقلية ، وصفات روحية ، وراء الصفات المادية ، يرضعها الطفل كما يرضع مادة اللبن ، فتتغذى بها روحه ، وتتشكل منها نفسه ؛ وليست هذه الصفات الروحية متطابقة دائماً مع الصفات المادية ، فقد يحلل اللبن في معامل الكيمياء فيتبين من تحليله أنه المثل الأعلى للبن ، وهو مع ذلك سم خلقي ينث الجبن ، ويشيع الفساد ، ويبعث الفزع والخور ؛ على حين أن لبناً آخر ينقصه الدسم ويعيبه التحليل الكيميائي ؛ وهو مملوء روحاً ، ومملوء شجاعة ونشاطاً ، ومملوء قوة ؛ ومن أجل ذلك صدق الشاعر اذ يقول :

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ

ثم الى اللبن الذي ترضعه الأم أولادها توعد اليهم الجبن أو الشجاعة بسلوكها ؛ فإن هي ربته تربية الأرناب فادفاتهم وأشبعتهم ، وأحاطتهم بكل ضروب العناية ، ولم تسمح لهم أن يجربوا وأن يخاطروا وأن يجازفوا ، ثم حدثتهم من الأحاديث ما يخلع قلوبهم ، ويحبب اليهم الحياة بأي ثمن ، وعلمتهم أن لا قيمة للعقيدة بجانب حياتهم ولا للوطن بجانب سلامتهم ، وصاحت وولدت يوم يجندون ، وفقدت رشدها يوم يسلمون ، فهناك ترى صورة جند ولا جند ، وترى أشكال الرجال ولا رجال ، وترى أجساماً ضخماً وقلوباً هواء ، وان هي ربته من صغرهم على المخاطرة والمجازفة ، وحدثتهم أحاديث الأبطال وعظماء الرجال ، وعودتهم مكافحة الحياة والتغلب على الصعاب ، وعلمتهم ان المبادئ فوق الأشخاص ، والوطن فوق حياة الأفراد ، وعيرتهم يوم يفرون من واجب ، وأنبهتهم يوم يأتون بنقيصة ، وفخرت بهم يوم يضحون لمبدأ ، واعتزت بهم يوم يخاطرون لأمة ، فهناك الرجال ، وهناك العزة ، وهناك الشرف .

ألست ترى معي بعد أن قلب المرأة هو الذي يخلق قلب الرجل ؟

ويخطئ من يظن أنه يستطيع أن يؤسس جيشاً من رجال بإعدادهم وتسليحهم من غير أن يدعمه بجيش من قلوب النساء ؛ فالجيش بدون قلوب آلات جوفاء ، وسراب ولا ماء ؛ بل كل مظاهر القوة في الأمة من جيوش وأساطيل ، ومجلس وزراء ، ومجالس نيابية ، ومصانع ومعامل ، ألعاب بهلوانية ما لم يدعمها قلب المرأة .

* * *

قَلَّبَ صفحات التاريخ إن شئت ، فحيثما رأيت للأمة قلباً رأيت للرجل قلباً ، فإذا انخل قلبها انخل قلبه .

ان هذا بنت عتبة التي تخاطب الجيش بقولها :

إِنْ تُقْبَلُوا نَعَانِقِ أَوْ تُدْبَرُوا نَفَارِقِ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقِ

هي التي انجبت معاوية .

وأسماء بنت أبي بكر التي قالت لابنها : يا بني لا ترضى الدنيا ، فإن الموت لا بد منه . فلما قال لها : إني أخاف أن يمثل بي ، قالت : ان الكبش اذا ذُبِحَ لا يؤله السُلخ - هي التي انجبت عبدالله بن الزبير .

والتاريخ مملوء بهذه الشواهد في كل أمة .

وظلت المرأة العربية على شهامتها ومعرفتها بأمور الدنيا ، ومشاركتها الرجل في كل شؤون الحياة ، حتى تقدم العصر العباسي فانشئ لها "الحريم" وحُبست فيه ، وجهلت الدنيا وأحوالها ، وأخذ الرجال يجهلون الحرائر ويعلمون الاماء ، حتى أصبحت المرأة ليست إلا رمزاً للمتعة أو رمزاً للكيد ؛ وتجادل الشعراء ، فمنهم من يقول :

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَّاحِينَ خُلِقْنَ لَنَا وَكُنَّا نَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ

ومنهم يقول :

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

وكلا النظريين سخيף قاصر ؛ فليست المرأة ريحانة فحسب ، ولا شيطانة فحسب ؛ وإنما هي فوق ذلك مَرْبَى للرجال ومحصنة للقلوب ومستودع للذخائر .
بمثل هذه النظرات البلهاء فقدنا المرأة ففقدنا الرجل ؛ فإن أردنا تنظيم حياتنا على أسس جديدة وجب أن يكون أولها وأولها خلق قلب المرأة .

ليس ما يمنع ان تحيا المرأة حياة الجمال ، بل هو واجب أن يكون ؛ وما قيمة الدنيا اذا لم تقم فيها دولة الجمال ، ودولة الفن والأدب ؟ ولكن يجب أن يكون بجانب الجمال الحسي جمال معنوي ؛ فيه جمال حديث المرأة ، وجمال رقيها وخبرتها وجمال شجاعته وجمال قلبها ، فعند ذلك نجد المرأة فنجد الرجل .

انظر الآن دور المرأة الغربية في الحرب ، ولا أقص عليك الا مثلاً واضحاً تلمسه في كثير مما يدور من قصص وما يتلى من أخبار ، وهو أن الشبان والرجال يتغيرون كل العار أن يروا في بلادهم أيام الحرب وهم لا يحملون السلاح ، ولا يشتركون في القتال أو وسائل القتال ، ويحزن في نفوسهم أن قد أصيبوا بعاهة أو منعهم مانع جسمي عن أن يؤديوا لوطنهم خدمة ولأمتهم عملاً ؛ ومن يقوم بهذا الدور الخطير من تأنيب وتعبير غير نساء الأمة ؟ فتكفي نظرة من احداهن ليفضل الرجل الموت على الحياة ، وخطر الحرب على أمن السلم ، وعيشة القتال على عيشة الدعة .

كل هذا يلخص لنا الأمر في جملة : شجعت المرأة فشجع الرجل ، وماعت المرأة

فماع الرجل .

* * *

ليست تُعد الأمة راقية تستحق البقاء الا اذا أرسلت الأم ابنائها الى ميادين القتال وهي
تبتسم ، وودعت الزوجة زوجها الى الحرب وهي تملؤه أملاً بالعيشة السعيدة بعد النصر ، وقالت
الأمهات لابنائهن ما قالت "أسماء" : "ان ضربة بسيف في عز خير من لطمة في ذل" .

* * *

ان وراء كل جيش في الأمة جيشاً غير منظور من قلوب نساءه ، ووراء كل جيش صاخب
جيش المرأة الصامت ، ووراء البنود والاعلام والجنود والنخائر ذخيرة أسمى وأرقى وأقوى وأعلى ،
وهي "قلب المرأة" .

فيض الخاطر

الامتحانات وتيسير الامتحانات العامة

طه حسين*

وهناك مشكلة عسيرة الى أبعد حدود العسر ، سخيقة الى أقصى غايات السخف ، يتأثر بها تعليمنا كله على اختلاف أنواعه وألوانه أشد التأثر ، فيفسد بها أعظم الفساد ، وهي لا تفسد التعليم وحده ولكنها تفسد معه الأخلاق ، وتكاد تجعل بعض المصريين لبعض عدوا ، وهي لا تفسد التعليم والأخلاق فحسب ولكنها تفسد السياسة أيضا وتكاد تجعل التعليم خطرا على النظام الاجتماعي نفسه ، وأظنك قد عرفت هذه المشكلة ، ولم تحتج الى أن أسميها لك ، فهي مشكلة الامتحان .

وكل ما أرجوه منك الا تظن بي الغلو والاسراف ، وأن تفكر معي مستأنياً متمهلاً . وأنا واثق بأنك ستشعر بما أشعر به ، وستؤمن معي بأن مشكلة الامتحان في مصر قد أصبحت خطراً على التعليم وعلى الأخلاق وعلى السياسة ، وعلى أشياء أخرى قد تستبين أثناء هذا الحديث .

الأصل في الامتحان أنه وسيلة لا غاية ، وأنه مقياس تعتمد عليه الدولة لتجيز للشباب أن ينتقل من طور الى طور من أطوار التعليم ، وهو مستعد لهذا الانتقال استعداداً صحيحاً أو مقارباً . هذا هو الأصل . ولكن أخلاقنا التعليمية جرت على ما يناقض هذا أشد المناقضة ، ففهمنا الامتحان على أنه غاية لا وسيلة ، وأجرينا أمور التعليم كلها على هذا الفهم الخاطيء السخيف ، وأدعنا ذلك في نفوس الصبية والشباب ، وفي نفوس الأسر ، حتى أصبح ذلك جزءاً من عقليتنا ، وأصلاً من أصول تصورنا للأشياء وحكمنا عليها . فالأسرة حين ترسل ابنها الى المدرسة تفكر في تعليمه من غير شك ، ولكنها لا تفهم هذا التعليم الا مقروناً بالامتحان الذي يدل على انتفاع الصبي به ونجاحه فيه . وهي من أجل ذلك تعيش مُعلقة بآخر العام ، وبهذه الورقة التي ستأتيها من المدرسة أو من الوزارة لتنبئها بأن الصبي أو الفتى قد جاز الامتحان فنجح أو أخفق فيه .

* طه حسين : هو طه بن حسين بن علي بن سلامة . ولد في قرية الكيلو من محافظة المنيا في الصعيد المصري عام ١٨٨٩ م . حينما بلغ الثالثة من العمر ، أصيب بمرض الجدري ، فكف بصره . بدأ حياته في الأزهر عام ١٩٠٢ م ثم التحق بالجامعة المصرية القديمة ، فحصل منها عام ١٩١٤ علي شهادة الدكتوراة ، وسافر الى باريس فخرج من جامعة السوربون عام ١٩١٨ م وعاد الى مصر ليعمل محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، فعميداً لها ، فوزيراً للمعارف ، ومن أبرز انجازاته خلال عمله كوزير للمعارف هو انجازه مجانية التعليم الثانوي والفني من أعماله : (ذكرى أبي العلاء) و (في الأدب الجاهلي) و (في الشعر الجاهلي) و (حديث الأربعاء / ثلاثة أجزاء) و (مع أبي العلاء في سجنه) و (مع المتنبي / جزآن) و (قادة الفكر) و (على هامش السيرة / ثلاثة أجزاء) و (أحاديث) و (الأيام) و (فلسفة ابن خلدون) وترجم الى العربية (نظام الاثنينين لارسطو) و (آلهة اليونان) و (صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان) وله أيضا (دروس التاريخ القديم) و (مستقبل الثقافة في مصر / جزآن) و (عثمان) و (علي وبنوه) و (رحلة الربيع والصيف) وغير ذلك كثير . توفي عام ١٩٧٣ م .

ولا يكاد الصبي يبلغ المدرسة ويستقر فيها أياما حتى يشعر بأن أمامه غاية يجب أن يبلغها ، وهي أن يؤدي الامتحان وينجح فيه .

يشعر بهذا في المدرسة من معلمه ومن أترابه ، ويشعر بهذا في البيت من أبويه اللذين قد يجهلان من أمور التعليم كل شيء الا أنه ينتهي الى الامتحان .

واذا فالصبي منذ يدخل المدرسة مُوجَّه الى الامتحان أكثر مما هو مُوجَّه الى العلم ، مهياً للامتحان أكثر مما هو مهياً للحياة . وإذا فليس المهم عند الصبي ان ينتفع بالدرس ، وان يجد فيه اللذة والمتعة ، وان يستزيد منهما ، وانما المهم أن يستعد للامتحان والنجاح فيه ليتفوق على أترابه أو ليحتفظ بمكانته بينهم ، وليرضي أبويه ويسرهما ويحقق ما يعقدان به من أمل ، وينوطان من رجاء ، وليلظفر بما يمنيانه من مكافأة وجزاء .

والصبي ليس مبالغاً في شيء من هذا ، وانما هو صورة لرأي الأسرة ورأي المعلمين ورأي الأتراب ورأي وزارة المعارف بنوع خاص . وإذا فقد استحالَت المدرسة الى مصنع بغض يهيء التلاميذ للامتحان ليس غير . وقد يجوز أن يجني التلاميذ من هذا المصنع شيئاً آخر غير الاستعداد للامتحان ، ولكني أؤكد لك أن هذا ليس من عمل المدرسة ، وانما هو نتيجة لطبيعة الأشياء ، فطبيعة العقل الانساني والملكات الانسانية كلها انها تتأثر بما تزاوَل من الأشياء ، وطبيعة العلم مهما يكن ممسوخاً جافاً مشوهاً أنه يفيد الملكات الانسانية اذا اتصل بها .

فالتلاميذ يتعلمون في المدرسة أحياناً ولكنهم يتعلمون برغمهم وبرغم المدرسة وبرغم المعلمين .

وعلى هذا النحو تمضي حياة التلميذ منذ يدخل المدرسة الابتدائية الى أن يخرج من المدرسة الثانوية . فأما التعليم العالي فله قصة أخرى .

وأظنك توافقني على أن هذا كله شيء وأن التعليم شيء آخر ، وأظنك توافقني أيضاً على أن تصوّر الامتحان على هذا النحو قَلْبٌ للأوضاع ، وجَعَلَ التعليم وسيلة بعد أن كان غاية ، وجعل الامتحان غاية بعد أن كان وسيلة . وحسبك بهذا فساداً للتعليم . ولكن هذا لا يفسد التعليم وحده كما قلت ، بل هو يفسد العقل والخلق أيضاً . وما رأيك في الصبي الذي ينشأ على اعتبار الوسائل غايات والغايات وسائل ، فيفهم الأشياء فهماً مقلوباً ، ويحكم عليها حكماً معكوساً ؟! أتظنه يستطيع أن يفهم أموره الدراسية هذا الفهم المقلوب ويحكم عليها هذا الحكم المعكوس ، ثم يفهم أمور الحياة فهماً صحيحاً ويحكم عليها حكماً مستقيماً ؟! كلا ، لأن الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ، ولا عقليْن في رأسه ، وانما جعل له قلباً واحداً وعقلاً واحداً ، فاذا أفسدت المدرسة هذا العقل وذلك القلب فقد أفسدت التلميذ كله ، وقضت عليه بأن يفكر تفكيراً معوجاً وأن يشعر شعوراً مختلطاً وأن يسير في الحياة سيرة ملائمة لهذا الاختلاط وذلك الاعوجاج .

ومن هنا لا ينبغي أن ننكر ما نراه من عناية شبابنا بالتأفة من الأمر، وإكبارهم للسخيف، وإعراضهم عن عظام الأمور، بل عجزهم عن الشعور بعظام الأمور والأشياء ذات الخطر، لا ينبغي أن ننكر ذلك، لأن هؤلاء الشباب ينشأون على العناية بالامتحان وهو تأفة، وعلى إكبار الشهادة وهي سخيصة، وعلى الأعراض عن العلم وهو لب الحياة وخلاصتها.

ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد، فما دام الامتحان غاية فالنجاح فيه هو غاية الغايات، إذاً فموسم الامتحانات هو من أهم المواسم الوطنية أثراً في حياتنا وتغلغلاً في أعماق هذه الحياة. وهو من هذه الناحية يمس السياسة من قريب جداً فأين الحكومة التي لا تحفل بإرضاء الجمهور ولا تسلك إلى هذه الغاية كل سبيل؟ وأين الحكومة التي لا تتجنب أسخط الجمهور ولا تبتغي إلى ذلك ما وسعها من الوسائل؟ فإذا ظهرت نتيجة الامتحان رديئة غير مرضية لكثرة التلاميذ وكثرة الأسر بالطبع، شاع السخط وعمت الشكوى واشتد الضغط على الحكومة واضطرت الحكومة إلى أن تفكر في الأمر وتلتمس له علاجاً، وعلاجاً ديماجوجياً يتملق شهوة الأسرة في نجاح ابنائها بالحق وبغير الحق. وأنواع العلاج كثيرة، منها المقبول المحتمل، ومنها الذي يُقبل على كره وبشيء من المضى، ومنها الذي لا يُطاق.

أنواع العلاج كثيرة فقد يجوز أن يعاد الامتحان في أول العام الدراسي المقبل للذين رسبوا في آخر هذا العام حتى لا تضيع عليهم سنة من حياتهم.

وقد يجوز أن يعاد الامتحان للراسبين في بعض المواد دون بعضها الآخر: في المواد التي رسبوا فيها مثلاً أو في المواد التي يختارونها إن كانوا قد رسبوا في المجموع، ولم يرسبوا في مادة بعينها. وهناك طريقة أخرى أيسر وأهون وأحب إلى التلاميذ والأسر، وهي تخفيض الدرجات التي ينجح بها الطلاب في الامتحان، وهناك طريقة أخرى أيسر وأهون من هذه وأحب إلى التلاميذ والأسر أيضاً، وهي تخفيض درجات النجاح بعد أن يتم الامتحان بحيث ينجح الراسبون بأمر من الحكومة لا بقرار من لجنة الامتحان. وكل هذه الطرق قد جربناه وبلونا حلوه ومُرّه، وعرفنا نتائجها في قيمة التعليم والتربية، وفي الأخلاق، وفيما يكون بين المعلمين والمتعلمين من صلة ثم في السياسة والنظام آخر الأمر.

والغريب - بل لا غرابة في ذلك - أننا أخذنا نجرب هذه الطرق الخطرة على التعليم والأخلاق والسياسة منذ من الله علينا بالنظام الديمقراطي وبالحياة النيابية التي نحبها ونفتديها بالمهج والنفوس وتعليل ذلك يسير. فالسياسة في الحياة الديمقراطية محتاجة إلى الجمهور، وهي مضطرة إلى أن ترضيه، فإذا كانت حاجتها إلى الشباب، وإلى الشباب الذي يختلف إلى المدارس بنوع خاص، كان الأمر أظهر من أن يحتاج إلى بيان. ولكن ذلك لا يمنعه أن يكون شنيعاً منكراً، مفسداً للتعليم، مفسداً للأخلاق، مفسداً للسياسة، مسيئاً للسمعة الوطنية في الخارج أيضاً.

وكل هذا يأتي من أننا أكبرنا الامتحان أكثر مما ينبغي، وجعلناه غاية وحقه أن يكون

وسيلة ، وسيلة هيئة ضئيلة الشأن .

وليس هذا كل ما في الامتحان من شر . فلامتحان آثار سيئة تصل الى الاخلاق من طريق قريبة يسيرة جدا ، أظهرها الغش الذي يأتي من حرص التلميذ على أن ينجح بأي حال من الأحوال .

وليس الغش هو الذي يقترب ويضبط أثناء الامتحان فحسب ، بل هناك غش آخر لعله أشد من هذا خطراً ، غش خفي نحسه ولا نكاد ندل عليه ، ولعل أخلاقنا الدراسية أن تبيحه أحيانا ، غش يشترك فيه المعلمون والمتعلمون حين يهيئ المعلمون تلاميذهم تهيئة خاصة لأداء الامتحان ، وحين يقفون بهم فيطيلون الوقوف عند هذا الجزء أو ذاك من أجزاء البرنامج ، وحين يعيدون معهم المقرر فيلحون عليهم في استذكار هذه المسألة أو تلك وحين يخضعونهم لامتحان التجربة أو الامتحان الأبيض كما يقول الفرنسيون قبل الامتحان النهائي ، وحين ينشرون لهم الكتب التي تشتمل على نماذج للأسئلة التي يمكن أن تعرض في الامتحان .

كل هذا غش يختلف قوة وضعفاً ، ولكنه مفسد للتعليم ، ومفسد للأخلاق أيضاً . وأنا أعلم أن الامتحان شر لا بد منه ، ولكن الغريب اننا لا نتخفف من هذا الشر ولا نكتفي منه بأقل قدر ممكن . وانما نتزيد منه ونثقل به المعلمين والمتعلمين ، فنضطرهم الى الشر ما وسعنا ذلك .

وهناك شر آخر ليس أقل من هذا كله خطراً ، لأنه يفسد رأي المعلم في نفسه وفي تلاميذه وفي الوزارة وفي التعليم قبل كل شيء . وهذا الشر يأتي من تصور وزارة المعارف للامتحان ، ومن هذه العناية الهائلة التي تهبطها له وتقفها عليه . فالامتحان في وزارة المعارف عمل خطير يوشك أن يكون مقدسا ، قوامه الحذر الذي لا يوصف ، والحرص الذي لا حد له ، والشك في كل شيء وفي كل انسان . فكيف تريد من المعلم أن يثق بنفسه اذا شككت فيه الوزارة الى الحد الذي يعرفه كل من مارس شؤون الامتحان في مصر ؟

وقد تسألني عن هذه المشكلة بعد أن صورتها هذا التصوير البشع المخيف : كيف السبيل الى حلها ؟ فأجيبك بأن الامتحان شر لا بد منه ، فلنتخفف من هذا الشر ما وجدنا الى ذلك سبيلا ، ونجعل وسيلة لا غاية ، ولنصطنع بعض الجراءة ، ولنرد الى المعلمين ما هم أهل له من الثقة ، ولنقدر آراءهم في تلاميذهم كما نقدر الامتحان أو أكثر مما نقدر الامتحان ومعنى ذلك أن نلغي امتحان النقل في مدارس التعليم العام الا أن تقضي به الضرورة ، والمدرسة وحدها هي التي تقرر هذه الضرورة .

وأنا أعلم أن هذا الاقتراح قد يقع من وزارة المعارف موقعا غريبا ، وقد ينكره بعض الفنيين فيها أشد الانكار ، ولكني مع ذلك لا ابتكره ولا اخترعه من عند نفسي ، وانما هو نظام شائع في كثير من البلاد التي سبقتنا الى التعليم الحديث ، وهو النظام المقرر في فرنسا ، وفي المدارس

الفرنسية القائمة بمصر . ومن المحقق اننا نكون سعداء حقاً يوم ينتج تعليمنا العام ما ينتجه التعليم العام في أوروبا وفي فرنسا خاصة .

إذا ائتمنت المعلم على التلميذ فامنحه ما يلائم هذه الأمانة من الثقة ، واطلب اليه ان يختبر تلاميذه في المادة التي يدرّسها لهم بين حين وحين مرة على الأقل كل ثلاثة أشهر ، وأن يمنحهم درجات على الاختبار ، فإذا كان آخر العام فلتراجع هذه الدرجات ليرى أيستحق التلميذ بحكمها أن ينتقل الى الفرقة الأخرى أم لا يستحق .. فان كانت الأولى أقبل التلميذ فرحاً مبتهجاً على اجازته الصيفية ، ثم على عامه الدراسي الجديد . وان كانت الثانية امتحَن التلميذ امتحان النقل في المواد التي لا بد من أن يمتحَن فيها ، فان نجح فذاك ، وان رسب أعاد عامه الدراسي .

وأظن ان هذا الاقتراح إن أخذت به الوزارة يريحها ويريح المدارس ويريح المعلمين والتلاميذ والأسر من عبء ثقيل بغض ، ويتيح للوزارة وللمدارس أن تفرغ للتعليم الذي هو أهم من الامتحان ، ويتيح للتلاميذ أن يفرغوا للتحصيل الذي هو أهم من أداء الامتحان . وحسب الوزارة ان تُعنى وحدها ، أو مشتركة مع الجامعة بالامتحانات العامة التي يظفر الناجحون فيها بالاجازات . وهذه الامتحانات نفسها كما هي الآن عسيرة معقدة ، تحتاج وتحتل كثيراً من التيسير والتسهيل إن نظرت الوزارة الى الامتحان على أنه وسيلة ، وسيلة يسيرة لا غاية ، وإن أخذت الحكومة بالقاعدة التي أخذت بها البلاد الأوروبية من قبل ، التي جعلنا نفكر فيها منذ أعوام ، وهي أن الاجازات الدراسية لا تمنح أصحابها حقوقاً مالية ولا تؤهلهم للمناصب ، وانما تكتسب المناصب بالمسابقات .

مستقبل الثقافة

دعاء

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : علمني كلمات أتجه بهن الى الله في أعقاب الصلوات الخمس ؛ فإني أجد في نفسي حاجة الى الدعاء في هذه الأيام الشداد .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : سل الله يا بُني أن يعصمك من طغر النفس الذي تضخم له الأجسام ، ومن ضيق العقل الذي تتسع له البطون ، ومن قصر الأمل الذي تمتد له أسباب الغرور .

وكننت حاضراً هذا الحديث بين الأستاذ الشيخ والطالب الفتى ، فقلت في نفسي : ما أجدر الشباب المصريين أن يتخذوا من هذا الدعاء لأنفسهم برنامجاً وشعاراً !

فيض

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : فسر لي قول القائل «فاض الاناء» .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هذا مجاز يا بني في كل أمر تجاوز حده حتى أصبح لا يُطاق . ألم تسمع قول الشاعر :

شكوتُ وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : فإني أعرف أوعية لا تمتلئ ، وأنية لا تفيض .

قال الأستاذ الشيخ مبتسماً : وما ذاك ؟

قال الطالب الفتى : خزائن الأغنياء التي مهما يصب فيها من المال فهي ناقصة ، وجهنم التي يقال لها : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ وعقول العلماء التي لا تبلغ حظاً من المعرفة الا طمعت في أكثر منه .

قال الأستاذ الشيخ ضاحكاً : لقد أصبحت حكيماً منذ اليوم ، ولكن تعلم ان اناءً واحداً قد يفيض فيصبح مضرباً للأمثال ، ومصدراً للعب ، وبعيد الأثر في حياة الأجيال . الا تذكر سنبل العرم ؟

تَجَنُّ

تلقَّاهم من المدارس الثانوية لا يُحسنون شيئاً ، فتعهدهم حتى أحسنوا أشياء كثيرة ، وحتى ظفروا بما يظفر به الشباب الممتازون في الحياة الجامعية من درجات وألقاب .
ثم تعهدهم حتى اطمأنوا في الحياة الى ما يُحبون .

وكانوا لهذا كله ذاكرين شاكرين ، وكانوا من هذا كله متزידين ، حتى لم يجدوا سبيلاً للمزيد . ثم أوزر عنه السلطان فازوروا عنه ، وقالوا : جَفَوْنَا حين كان يحسن أن تصلنا .
قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ما أعرف أنهم لقوا منك جفاءً أو إعراضاً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : « ليس المهم أن تعرف أو لا تعرف ، وإنما المهم أن تَعْلَمَ أن كلمات التجني والتعل والتكلف لم توضع في اللغة عبثاً ، وإنما وُضِعَتْ لتدل على معانٍ والمعاني لا تقوم بأنفسها ، وإنما تقوم بأنفس الناس ! » .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : « أليس قد علّمنا المعلمون في الكتاتيب أن الامام الشافعي كان يقول : من علمني حرفاً صرت له عبداً ؟ » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : « بلى ! ولكن الحياة قد علّمتنا أن الضرورات تبيح المحظورات . ومن المحظورات أن تجفوا من جفاه السلطان ؛ فقد تصدّك صلته عن بعض ما تحب ، وتصرف عنك بعض ما تتمنى ! » .

جنة الشوك

معجزة العصر

يوسف إدريس *

قال لي صديقي الذي لم أره من عشر سنوات ، والذي كان مقدراً أن أفقده هذه المرة - هل رأيت معجزة العصر ؟!

بلا دهشة سألته - أية معجزة ؟ .

لم يجب .. ولم نضع الوقت في التخمين ، وكان اتفاقاً بيننا ، لف ذراعاه حول ذراعي وجذبني ، وتبعته صامتاً .. حاولت أن أعرف ان كانت الوصول الى القمر أو ظهور مهدي منتظر ، فكاد يغلّق فمه تساوياً .. قائلاً - لا تخمن فلن تستطيع أبداً ادراكها ، ولو عرفتها من تلقاء نفسك لكانت معجزة العصر ، انك عرفتها .

وبحساس جذبني بقوة أكبر ، وبعد خطوات كنا علي البلاج ، وكانت الدنيا شتاء ، والشمس صفراء .. تسقط شعاعاتها المريضة على الرمل فيبدو مجرد لون أنيمي شاحب ، جو تتوقع أن يكون البلاج معه فارغاً ، غير انك تفاجأ به عامراً ، مزدحماً وكأننا في اغسطس ، الناس مكدسون على الرمال بالأكوام ، والباعة ينادون على جيلاتى طوبة ، وسحلب بؤونة بدندمة اغسطس ولو أغلقت العين لحسبته مجرد خطأ في ورقة النتيجة فأصوات الصيف هي هي ، وصخب الأطفال هو هو ، حتى ذلك الاحساس الخاص بالصيف ، ذلك الذي تحس وكأن الحياة به أكثر حلاوة ، كان موجوداً .. اذا غضب الله على قوم أمطرهم صيفاً فماذا يكون موقفه تجاههم اذا جعلهم يصيفون في الشتاء .. من الممتع أن تشد عواطفنا مشاكل الظواهر الكونية ، فحين اسخط على الدنيا تهطل الأمطار ، وحين احظى برضاء حبيبي تشقشق في الكون ملايين من عصافير الكناريا .. واذا كرهت جاري أطبق على المدينة ضباب حتى لا تكاد ترى ، وأنت واقف على بابك ، باب جارك . والجار أولى بالشفعة ، إلا جاري الذي لم أره من يوم أن قطنت عمارتنا فكلانا وحيد ، وكلانا في المدينة المزدحمة قد فقد الونس حتى أصبح الازدحام مجرد جبل معقود يهدد باحتواء رقبتك فأنت مرعوب منه ، وخائف حتى النخاع ، نفس الاحساس الذي شعرت به وازدحام البلاج يحتويني ، كتل من اللحم البشري مقسمة الى أذرع مختلطة وسيقان ، ويا لمشهد الجسد البشري بعد العشرين حين يكتنز بالشحم وتبرز له الكروش ويبدأ التفكير في صبغ الشعر أو

* يوسف إدريس : أديب مصري ، ولد في ١٩ / ٥ / ١٩٢٧ ، وتخرج من كلية الطب عام ١٩٥١ ، ثم عين طبيباً في مستشفى القصر العيني . بدأ كتابة القصة عام ١٩٥٠ في عدد من المجلات المصرية ، كما كتب الرواية والمسرحية . من آثاره : (الحرام) و(العيب) و(رجال وثيران) و(العسكري الأسود) و(البيضاء) ومجموعات قصص قصيرة ، مثل : (أرخص ليالي) و(أليس كذلك) و(البطل) و(حادثة شرف) إضافة الى عدد من المسرحيات ، وكتب الخواطر والانطباعات .

توزيعه ليغطي الصلعة حتى الجسد يهجر ويهرب منك وفي هذه الوحدة المزدوجة لا بد أن يهرم الانسان سريعاً فنحن كائنات أرضية لا تنمو بصحة إلا معاً ، إلا كمحصول واحد فاذا ما زرع كل نبات منا بمفرده خنقته الطفيليات .

أتكون المعجزة هي الحصول على نواء يشفي الغربة ويعيد جمع الناس ؟ بآء تخميني أيضاً بالفشل ، وفقدت عين الحكمة مع أن الحكمة ثرثرة لا بد حسب قوانين التبادل والتوافق أن ينتظم بعضها على هيئة أقوال رائعة النضج . ولكنني سعيد وكان مجرد رؤيتي الموشكة للمعجزة سيسلحني بطاقة إخفاء أو بخاتم سليمان قادر على تحقيق المطالب .. الغريب أن الزحام لم يكن ازدحاماً للتجمع ، كان تجمعات للتفرق ، فكل مجموعة مكدسة من الناس تبدو مكانها فاقدة الاحساس بغيرها تماماً ، منصرفة بكليتها الى شيء مشترك يخصها وحدها ، وربما تبحث لنفسها هي الأخرى مثلما نبحت عن معجزة عصر ، فأنت تقبل على تجمع يشبه من بعيد شكل الكازينو الذي أقيم على عجل ولكنك حين تقترب لا تجد كازينو أو حتى مكاناً للجلوس . فالناس اما وقوف منحنون أو في حالة رقاد ، والكل في شغل عنك بما يبدو وكأنه مأساة داخلية طاحنة . لا أحد يلتفت اليك ، الأيدي تلوح في عصبية ، والنقاش حاد كطلقات الرصاص ، وبعضهم ، بمجهود عظيم يضع يديه الاثنتين معاً على فمه محاولاً أن يكتم الضحك فلا يستطيع وتكون النتيجة أن تغلت الضحكة رغماً عنه ، حسبت الصديق يضحك ، ولكنه كان يتوقف ويتطلع حوله ثم يحاول أن يخفي نفاذ صبره ، والعرق ، رغم الهواء الساقع قد نبت على جبينه ، والحيرة الكبرى تتملكه ، ويأسه شامل ، يكاد ، لولا الحياء أن يستنجد بالناس ويسألهم أين الطريق لمعجزة العصر ؟ ..

حسبته يضحك ولكنه كان ، فجأة يلكنني ويشير الى كازينو قريب قائلاً وقد تهللت ملامجه وكاد يقفز منها الأمل : وصلنا .

ولم تكن فرحتي هذه المرة لأننا نوشك أن نصل ، فرحتي كانت لأننا نوشك أن نصل الى كازينو حيث نستطيع الجلوس وشرب الماء المثلج والشاي بعد هذا الكدح الطويل من الشاطبي الى سيدي بشر والمنتزه .

ولكن ما أبشع ما خاب أمني حين لم ينكشف الكازينو إلا عن ازدحام آخر ، واحد من عشرات الازدحامات التي كان يحفل بها البلاج ، نظرت بحدة الى الصديق والى عينيه اللتين كانتا قد احمرتا تعباً أو من يدرى ؟ .. ربما غيظاً وربما لهذا انطبقت شفتاه في حدة راسمتين في خطوط قاطعة شكل فمه .

أين رأيت ملامحه كهذه مرسومة بحدة كتلك الحدة يا ربي ؟ .. أين ؟ .. والمهمة الصادرة عن هذا الازدحام نفس هذه المهمة وثيقة بنفس الملامح ، وأيضاً بشيء يشبه المعجزة ، أين ومتى حدث لي هذا يا ربي ، لا أعرف .. هذه اللحظة عشتها قبلاً ، بالتأكيد حدث هذا . ولا بد أنه ذلك الشعور الذي دأب على زيارتي في الفترة الأخيرة .. الشعور بأن الكون يكاد ينتهي ، والصمت المطبق بدأ

يحل ، صمت سيمتد إلى آلاف وملايين السنين المقبلة ، آخر علامات الحياة تختنق ، الحركة الهائلة التي حفل بها الكون طوال وجود الانسان قد انقرضت ، وسيعود السكون الأبدي ولا يبقى إلا الشمس والقمر ، والليل والنهار والريح والرمال . الاجساد متراسة موزعة مختلطة لا تكاد تستطيع تمييز ساق الرجل من ساق المرأة ، تبدو في أحيان كثيرة خالية من الشعر ، والجميع كأنهم يبحثون عن ابرة سقطت في قلب الرمل ليسوا منحنين فقط ولكنهم ممدون تماماً وقد استندوا بأذرعتهم إلى الأرض ، وانكفأوا على الرمال عيونهم تكاد تخرج من محاجرها بحثاً عن شيء لا بد أنه مخبأ بطريقة ما في الرمل .

الأطراف كثيرة ، كل حركة منها تثير ثائرة الرمل يملأ العيون ويسد الأنوف ، وتتصاعد صرخات الاحتجاج لأن شخصاً وقف أو سار وتحرك ، وأثار بحركته زوبعة صغيرة في ساكن الرمال ، المعجزة ، معجزة العصر . الشيء الصغير الكائن والموجود في حياتنا منذ وجودها الأول انما لكونه صغيراً فالجميع يعبرون به دون أن يحسوا له بأي انفعال أو احتفال ، أقدامهم تدميه أو تصطدم به دون أن تشعر أو تحس أنها صدمت شيئاً أو تعثرت بشيء ، والشيء دائم الصراخ والعويل ، انه كائن وموجود ، دائم الرجاء أن يحظى منها بالتفاتة ، ان يتلقى اشارة واحدة من طفل أبله تفيد أنه رآه أو سمعه أو أحس به بلا فائدة . الناس انغماسهم في مشاكلهم أقوى وأكبر من أن يدعهم ولو للحظة يفيقون الى ما حولهم ويتأملونه بنظرة خالي البال . اننا لم نعد أحراراً في رؤيانا ، أصبحت أنظارنا قصيرة موجهة الى ما نعرفه أو الى ما نود معرفته ، أي اننا لم نعد نرى ما ينعكس من داخلنا الا ما يعكس اهتماماتنا وتفكيرنا وأحلامنا ، فقدنا تلك القدرة البكر على تلقي ما هو خارج النفس كما هو ، بروعته وتلقائيته وعمقه وبساطته والانفعال له أو عليه ، وبناء أرائنا ومعتقداتنا من خلاله ، اليوم نحن لا نرى خارجنا إلا ما نحقق به ما نحس داخلنا ، لا نرى إلا لكي نثبت أو نبرهن به أننا على صواب ، ولكن في العادة دائماً ما يحدث شيء ، حدث يعرض مصادفة ، شيء لا بد رغم ارادتنا يرغمنا على أن نلوي أعناقنا وننظر فنفاجاً أننا أمام حدث خارق للعادة ، اننا أمام شيء وان يكن صغيراً إلا انه بالغ الدلالة ، وحينئذ تفلت من أحدنا صرخة الإدراك الأولى ومعها تجر الانتباهات الى انتباهات ليصبح ذلك الشيء بعد يوم وليلة محور اهتمامنا الأول ونكتشف وندرك كم نحن بحاجة اليه ، وكم كانت تفتقده حياتنا وكم هو لازم حيوي لها ونندفع حينئذ اندفاع من فقدوا العقول نهتم به ، اهتماماً مبالغاً فيه ، ويصبح أمل الانسان منا أن يحظى منه بنظرة ، أو نراه رأي العين ، هل أصبتم بخيبة أمل؟ أنا نفسي.. حدث لي ما حدث لكم ولدى الإدراك الأولى كدت أهيم على وجهي يائساً خائب الأمل . لنحاول اذن أن لا نخطئ خطأنا الشهير الأول، الشيء خارج نواتنا ، الشيء لا كما نريده وإنما كما هو موجود وقائم وكما كان يمضي الناس عنه غير مهتمين أو مدركين . انه ليس حشرة غريبة أو قطعة معدن نادر، كان في الحقيقة بشراً مثلي ومثلك له اذنان وعينان وأنف وفم وأسنان ولد بهما جميعاً والمفروض أنه لا يزال الى لحظتنا هذه يمتلكها. أنا لا

أهزل أو أقول غير الحق ، فالآلاف المواليد تخرج كل عام على هيئة مواليد شاذة ، بعضها ملتصق ببعض في أحيان ، وأحياناً بطن واحد بصدرين ورأسين من أعلى ومن أسفل بحوضين وأربع سيقان وأرجل .. كل الاختلاف ان الشيء في حالتنا هذه كان جنيئاً صغير الحجم وهذا كل ما هنالك .. لا .. لم يكن في حجم كرة القدم ولا حتى في حجم البرتقالة ، ان شئتُم الدقة كان في حجم نصف عقلة الأصبع ومع هذا فهو كامل الأعضاء متناسبها باستطاعته ان يصرخ ويرقص ويرضع ، كل ما هنالك انه يصرخ بصوت لا تستطيع سماعه ، عليك لكي تسمعه ان تقربه كثيراً من أذنك ، وحبذا لو وضعتة كله داخل أذنك لكي تسمع صراخه أوضح ما يكون ، صراخ عصبي متشنج يحاول النص نص « هكذا سوف نسميه » ان يفرض به ارادته علينا وعلى الحياة . كان صغيراً الى درجة ان أمه لم تلحظ انها ولدته ، انزلق منها مع الماء الذي كان يملأ الرحم دون أن تحس به ، وحسبته الداية قطعة من المشيمة ولكنها حين تناولته وتأملتة صرخت صرخة أرعبت سكان المنزل جميعاً ولم تسقط فاقدة النطق وإنما الى الأبد فقدت النطق .

* * *

وما أتعس الأم ، كانت قد حملت به بعد أربعة عشر عاماً من العقم وطوال حملها كادت تجن وهي تصلي الى الله ان يجعله ولداً يقر به عين أبيه . وعلى هذا لم تجرؤ على اطلاعه عما أتت به وزعمت له ان الحمل كان كاذباً وبعد أن كانت قد قررت ان تلقي بالجنين مع الماء القدر ، صعب عليها الضنى وأخفته تحت الوسادة وبالحقنة الرفيعة كانت تستطيع العثور على فمه وتغذيته .. وضبطها الزوج ذات يوم وهي ترضعه ، وانهارت ، واعترفت ، وبعد أن ثاب الأب الى رشده وأيقن ان الخطأ ، ان كان هناك خطأ ، ليس منه أو منها وانه يجب أن يرضى بما قسمه الله ، رضي وسكن . تلك كانت ظروف ولادته .. أما كيف تربى وتعلم ؟ فتلك قصة أخرى ، فلقد سمع الأب ذات يوم ان السلطان يهوى جمع التحف النادرة وانه يدفع مكافأة سخية لكل من يحضر له تحفة أصيلة ما امتلكها أحد قبله .

ولم يكن في قلب الرجل للنص نص حب أي حب ، فحب الابن مسألة يتعلمها الوالد ويكتسبها مثلما يتعلم الولد المشي أو النطق وكما يعلم الأب ابنه كيف ينطق فالابن يعلم أبيه كيف يحبه فكيف يستطيع النص نص أن يعلم أباه ، رأبوه يحتاج الى عدسة كي يرى وجهه أو يعرف بطنه من رأسه .. الأم وحدها هي التي كانت تحبه ، ولهذا كان على الأب ان يساهيها ويأخذها وأن يتفق جزءاً من المبلغ الذي أعطاه له السلطان في شراء ملابس لها ومصاغ . أما السلطان الذي كان يعاني من الفراغ الممتد في حياته وأمور بلاده يسيرها وزيره ورعيته هادئة سلسلة ، فقد وجد في النص نص غايته ومبتغاه والشيء الذي يستطيع أن يكرس ، كل نفسه ووقته ويجد في هذا كل المتعة .

كان عليه أن يعلمه كيف يتكلم وينطق ثم بعد هذا كيف يقرأ ويكتب واعتبر انه لو حقق هذا لأصبح يمتلك تحفة معجزة يستطيع أن يفرج عليها خلانه وأصدقائه وان يمنحهم ويمنح نفسه بهذا متعة دونها أي متعة أخرى .

كل خوفه كان أن يكبر النص نص بمضي الزمن ويصبح عند البلوغ مثلاً أو اذا أصبح رجلاً مجرد قزم ضئيل الحجم ، ربما يكون أقصر الأقدام وأقلهم حجماً ولكنه حتماً سيفقد أهم ميزاته ، غير أن النص نص كفاه مؤونة القلق ، فلم يكن ينمو مع الأيام أو يزداد حجمه أو حتى تتغير ملامحه ، بل انه حين قارب سن الرجولة لم يحدث له أدنى تغيير سوى أن لحية نبتت له فجأة ، لحية بالضبط فيها عشر شعرات ما كان أسعد السلطان وهو يحلقها له بنفسه أو وهو يجتث منها خمس شعرات ويترك خمساً لتنمو وتكون ذقناً بديعة صغيرة كذقون العلماء .

وتعلم النص نص النطق فأصبح يحسن استخدام الجهاز الترانزستور الذي كان يضخم صوته ويجعله مسموعاً وفي نفس الوقت يقوم بمهمة الأذن له بحيث يخفف من موجات الصوت ويهذبها كي تصل الى أذنه الدقيقة وتصبح في متناول سمعه .

بهذا الاتصال الذي تم مع النص نص أمكن للسلطان أن يعلمه القراءة والكتابة وأن يبدأ معه سلم المعرفة الطويل . وفيما عدا ساعتين كان يقضيهما النص نص في تناول الافطار والترييض ، رياضة عنيفة ، يسير اثناءها فوق المسطرة القدم من أولها الى آخرها ، ويقطعها في رقم قياسي لا يتعدى نصف ساعة أو يزاول العوم لمدة ساعة وأكثر في كوب ماء ويستطيع أن يدور حول محيطه ثلاث مرات وأحياناً أربع مرات .

فيما عدا هذا كان كل وقت النص نص متروكاً للدراسة والتحصيل .. وقد أتاح له السلطان أساتذة كباراً مما جعله ينتهي من المرحلة الابتدائية وهو لم يبلغ الخامسة .. وفي العاشرة انتهى من الدراسة الثانوية واستعد لدخول الجامعة .. هنا فقط بدأت امكانيات النص نص المعجزة تظهر ، فقد وجد أن منهج كلية العلوم التي اختارها ليدرسها أقل بكثير من أن يستغرق كل وقته بل ان الطب والعلوم والزراعة معاً كانت أقل من وقته فأخذ بجوارها الآداب والقانون والفنون . وفي السنة الثانية مثلاً نجح في تشريح ثنائية طب وميكانيكا ثنائية ميكانيكا وكهرباء ومدني ثنائية كهرباء ومدني ، وكل القوانين المقررة على ثنائية حقوق ، وفي البكالوريوس قدم في جميع بكالوريوسات الجامعة وليسانساتها ، وبتفوق نجح فيها جميعاً حتى أن خطابات التعيين جاءت له ليعين معيداً في أربع عشرة كلية في وقت واحد ، وحين ذهب فرحاً ليتسلم مهام أول مناصبه بدأت أشباح مأساته تتراءى ، إذ لم يجد أحداً يأبه له او يعيره اهتماماً ، أو حين ينجح في إثارة اهتمامه والحديث معه ، ينجح في إقناعه بجدية طلبه . كان الجميع ينظرون اليه نظرتهم الى انسان دفعه حظه السيء الى ان يكون صغير الحجم ليس إلا ، وإنما باعتباره ظاهرة شاذة وكأنه حشرة قد نجحت في النطق كالآدميين .

ظاهرة تدفع الى الاستنكار والاشمئزاز مثلما نستنكر جميعاً أن تقوم الحشرة بدور الانسان في الوقت الذي لا نستنكر فيه مطلقاً من أي انسان ان يقوم بدور الحشرة . وعاد مهموماً الى ولي أمره السلطان الذي أدرك كل شيء بنظرة ، والذي كان قد رتب للأمر ، ومن اليوم التالي كان النص نص يحضر لدراسة الدكتوراه ، كان قد انتوى أمراً خطيراً ، ان يدرس اربع عشرة دكتوراه في نفس الوقت وبينما كان زملاؤه يؤدون أعمالاً روتينية ويبدأون في لعن الروتين والسخط على قوانين الاستخدام ، وفي الوقت الذي كان بعض آخر منهم قد ينس من كل شيء ووهب نفسه كلية للتلهيس وعب ملذات الحياة عباً .. نذر نفسه هو للدراسة ، وفي ثلاث سنوات كان قد أكمل استعداده ، ولأول مرة في تاريخ الجامعة ، بل في تاريخ الجنس البشري كله تجتمع أربعة عشر لجنة لأربع عشرة مادة مختلفة ، من الرياضة العليا الى هندسة الانتاج الى الجراحة الخاصة لمتنح النص نص في نفس الوقت . ومن أجل هذا الحدث غير العادي غيرت الجامعة من نظام المناقشة واجلست النص نص في منتصف الحجرة وحوله تناثرت مقاعد المتحنين الذين لم يبد عليهم أي استنكار لحجم النص نص أو شكله فالمجتمع لا يهمه شكلك وأنت تدرس أو أنت تمتحن ، انه فقط يبدأ يدقق ويفحص ويختار حين تتقدم اليه تطلب العمل !!

ولأربع عشرة ساعة راح المتحنون واعضاء اللجان يناقشونه ولم يكتشفوا لدهشتهم انه قد هضم واستوعب تماماً كل مادة من مواد الامتحان انما اكتشفوا اكثر انه بلغ في استيعابه للمواد انه وصل الى نظريات عامة جديدة تماماً في علاقة ألوان العلوم والمعارف بعضها ببعض نظريات أوصلته الى قوانين خطيرة تكشف شيئاً فشيئاً عن جنور المعرفة البشرية والقوانين الموضوعية للمادة وأشكالها المختلفة بحيث انه كان يتوصل معهم الى القانون الأول الذي يحكم علاقات الكون كله ، وتحول النقاش حينئذ ، من لجان تمتحن النص نص ، الى تلامذة يخرج لهم النص نص كنوزه ويحدثهم عما وصل اليه وهم حيارى مذهولون قد أدركوا فجأة ، ليس فقط انهم أمام عبقرى من طراز نادر ولكنهم اكتشفوا انهم قضوا حياتهم عبثاً وان دراسة الكون كأجزاء منفصلة ، والاغراق في التخصص قد سلبهم القدرة على النظرة الكلية ، وان خير وسيلة للدراسة والمعرفة هو ما فعله النص نص ، هو ان يعود العالم مرة أخرى مثلما كان الحال أيام ابن سينا وابن رشد عالماً في كل شيء ليستطيع ان يصل الى المفتاح السحري للعلم ذلك الذي يفتح كل باب مغلق . وايضاً ، كان لا بد ان يحدث ما حدث ، فرغم ما كانوا غارقين فيه من ذهول ، ورغم أفواههم الفاغرة تتلقى من النص نص وكأنها تتلقى درس الحياة الأول ، ما كادوا ينتهون من نقاشه أو بالأحرى ينتهي هو من اللقاء الدرس عليهم حتى عادوا يفرقون في المناقشات الحامية حول ما أسموه « الظاهرة النص نصية » وهل هي معجزة فردية لا سبيل الى الوصول اليها . أو هي أسلوب وطريقة باستطاعة أي انسان ان يستعملها ويصل بها الى نفس النتائج . ولا يح صوت النص نص وهو يحاول استخراجهم من النقاش ولقت انظارهم مرة أخرى إليه وهم مستغرقون في عملية انقسموا تجاهها

أيضاً ، هل يمنحونه أربعة عشر دكتوراه منفصلة ، أو يمنحونه درجة علمية جديدة يسمونها دكتوراه الدكتوراهات ، انسل النص نص من وسط الجمع لا يشعر به أحد أو ينتبه إليه أحد أو يوليه اهتمامه ، انسل وحيداً ، مهموم القلب وقد عاد مرة أخرى الى مواجهة واقعه الحزين وحظه السيء وعاد الى بيته ليفاجأ بالمأتم قائماً ومنصوباً ، كان ولي أمره السلطان قد مات ، وكان منذ الغد عليه ان يرحل ، ورحل ، لا يمت الى أحد ولا يستطيع حتى أن يمت الى مكان ، فلا صاحب بيت يرضى أن يؤجر له بيتاً ، ولا مدير فندق يرضى أن ينزله بفندقه ، نفس الاندهاش والتقرن تمتليء به نفس من يخاطبه ، ويتفرج عليه برهة ثم لا يلبث - كالطفل حين ينتهي من لعبته - أن ينفذ منه يده ولا يعود يأبه له أو لتوسلاته .

نفس الاساتذة الذين كانوا يشيدون بعبقريته حين كان يلقاهم منفردين في مكاتبهم ، كانوا لا يملكون له سوى هن الاكتاف وإلا بتبصيره بالعقبات التي تشل أيديهم وتمنع الواحد منهم أن يعهد اليه بعمل ، أي عمل ، لا كدكتور حتى أو كعالم ، وانما كإنسان تجارب عرض نفسه على استاذ علم الأمراض كي يبقية في قسمه ، مجرد عينة علمية وظاهرة ممكن دراستها للكشف عن هرمونات النمو وامراضه ، اعتذر له الرجل قائلاً : ان قانون الجامعة لا يبيح الاحتفاظ الا بحيوانات التجارب فقط من أمثال الفيران ، والخنزير الغيني ، والأرانب ، ولكن القانون لا يوجد به مادة تبيح الاحتفاظ بانسان تجارب ، لو فعلها لحاسبه ديوان المحاسبة حساباً عسيراً ولعاقبته الجامعة ، حتى الصحف والتلفزيون والاذاعة ، حين شاعت قصته في الأوساط العليا جرى مندوبو الصحف يبحثون عنه حتى وجده عند استاذ من أساتذة الجامعة وأخذوا له عشرات الصور الفوتوغرافية ، واعطى عشرات الأحاديث وعملوا معه أكثر من لقاء ، في التلفزيون ، وأمامه وعيني عينك كانوا يحضرون بعض اساتذة الطب ليقولوا رأيهم فيه ، وفي الاستديو كان حين يتكلم يحس بالدنيا كلها منصتة إليه ويبدأ يتفاعل ويفتح لهم صدره ويطلب منهم ان يجدوا له عملاً يتناسب مع مركزه العلمي ومؤهلاته وكان ما يكاد يذكر حكاية العمل وحاجته اليه ويطلبون منه ان يقترح عليهم نوع العمل الذي يريده وما كان يذكر كلمة مدرس أو معيد أو حتى محضر في معمل ، حتى انفجروا ضاحكين مقهقهين ، مشيرين اليه وإلى حجمه وساديين في الضحك ، عليه لا بد . وكالعادة لم تستمر موجة الاهتمام به كثيراً ، بعد اسبوع أو أقل فتر الحديث عنه ، ولم يعد ظهوره في التلفزيون حادثاً كبيراً ، كما كان الأمر في أوله الى درجة أن أحد منتجي القطاع الخاص كان أثناء موجة ازدهاره قد فكر ان ينتج عن حياته فيلماً ، خبر أسعد النص نص وأفرحه فهو على الأقل سيأخذ ما لا يقل عن شهرين أو ثلاثة من العمل والاستعداد ، غير ان هذا الأمل نفسه ما لبث ان خاب حين وجد نفس المنتج ان فكرة الفيلم ممتازة هذا صحيح ، ولكن المستحسن ان يقوم اسماعيل يس ببطلته ويسمونه اسماعيل يس في الجامعة .

وبالعدل عن فكرة الفيلم وانتهاء الحديث عنه في وسائل الاعلام وجد النص نص نفسه بين

يوم وليلة يحيا في فراغ كامل تام . وجد كل الأبواب التي كان يتخيل أنها مفتوحة على مصاريحها في انتظاره تغلق دونه الواحد وراء الآخر بلا سبب معلوم وكأن هناك مؤامرة خفية هدفها ان يفقد عقله أو يرتكب عملاً أحمق . وكان قرران يرتكب هذ العمل وينتحر ، فقد ضاقت به الدنيا حتى أصبحت أضيق من « خي » حبل المشنقة .

ولم يتطلب منه الأمر تفكيراً كثيراً ، وعلى الفور شرع في اتخاذ طريقه الى مبنى المجمع في ميدان التحرير ، وعلى قدميه صعد الطوابق الكثيرة اذ هو لم يكن يستطيع أخذ الاسانسيرات أو ركوب الاوتوبيسات مخافة ان يفحصه أحدهم دون أن يحس أو يشعر . خرج الى سطح المبنى ، وأشرف على حركة المرور الهائلة في الميدان . وراجع حياته وما ينتظره عله يجد قشة أمل يتعلق بها في لحظاته الأخيرة ، ولكن كان واضحاً تماماً أن قصته مع الناس قد انتهت وانه لم يعد بإمكانه ان يعيش بالطريقة التي يريدها ، كان يستطيع ان يعيش على هامش الحياة مثلما يحيا الآلاف والملايين غيره ، يأكل كيفما اتفق ، ويسكن كيفما اتفق ، ويوجد كيفما اتفق ، ولكن كنوز المعرفة التي نهل منها جعلته يرفض أي حياة أخرى الا الحياة التي يريدها هو ، الا ان يفرض على الحياة حياته فإذا فشل في هذا الغرض كان عليه في صمت وبطولة ان يموت . واغلق عينيه وقفز من حافة السور الصغير المقام فوق السطح وأحس بنفسه يهوي ويهوي وبوعيه يبهت ويبهت كأنه الشمعة تتعرض لتيار هواء قوي ، حالاً ستنطفئ الشمعة ، ويفقد الوعي تماماً وإلى الأبد ، غير ان اللحظات طالت ، حتى جرو على فتح عينيه فوجد نفسه يقترّب من الأرض بسرعة فعاد يغمض عينيه وفي اللحظات التالية بدلاً من فقدان الوعي اصطدم بالأرض ولم يتحرك من مكانه منتظراً الموت غير ان الموت لم يأت . كل ما في الأمر أحس بالأم هائلة ، أه ، كيف فاته وهو العالم الكبير ان يسقط من في وزنه لا يمكن أن يؤدي الى وفاته أو حتى كسر عظامه . هذه المرة غضب . وفي غضبته راح يبحث بسرعة عن وسيلة أخرى يقضي بها على نفسه ، لم يكن أمامه الا ان ينام فوق قضيب السكة الحديد وينتظر القضاء تحت عجلات القطار ، ولكن القضاء لم يحل ، فالهواء الناتج عن القطار القادم تكفل بنفخه حتى طار من فوق القضيب واستقر كالريشة ، على الزلط ، حتى الغرق في النيل جربه ، فوجد نفسه ، وفقط بحجم ما يرتديه من ملابس ، يطفو على سطح الماء ، ولم يفكر في خلع ملابسه مخافة ان تفشل الوسيلة فيضطر الى أن يعيش عارياً وهو مصير لم يكن يتصوره .

تكفل فشل هذه الوسائل جميعها برد بعض التعقل اليه ، وكان نية الموت لها حد محدود بحيث بعد محاولة أو محاولتين لا يصبح الانسان قادراً على أن يظل منتوياً الموت . وهكذا وهو طاف على سطح ماء النيل بعد فشله الثالث ، قرر أن يحيا ، أن يكافح ليحيا كما يريد ، وينتزع الحياة بأظافره وأسنانه ما دام الناس لا يستطيعون ان يقدموها اليه على طبق من الفضة . ولكي تقرر أن تحيا ، عليك أن تقرر أيضاً ماذا تفعل بحياتك . وهكذا في نفس اللحظة كان النص نص قد قرر أن يحل بحياته القادمة المقبلة كل ما استعصى على البشرية ، حتى ذلك اليوم ، حله .

ونفس الشيء الذي كان يقف حائلاً بينه وبين حقه في الحياة كالآخرين ، نفس صغر حجمه ، توسل به كي يحيا كما يريد ، الآن باستطاعته ان يختار أفخر مكان يريد الإقامة فيه وأحسن مكان يعمل فيه ويجرب .. واختار هيلتون ليقيم فيه ، أما رقم حجرته فهو رقم أي حجرة لا يشغلها قاطن ، وان كان الفندق كله مشغولاً فهو رقم حجرة أجمل قاطنة من قاطنيه ، على شرط أن يصحو قبلها ، مخافة أن ترفع البطانية وتكتشف شريكها في الفراش ويغشى عليها من الرعب .. أما العمل فقد اختار معامل الكليات جميعها بعد انتهاء اليوم الدراسي حيث تصبح كلها تحت أمره . والآن وقد توفر له السكن والمعمل والأثاث لم يعد أمامه إلا أن يستغل ما يحفل به عقله من كنوز المعرفة ، ويعمل ، وكان أول موضوع اختياره وأراد أن يلقي به درساً على كل هؤلاء الذين تجاهلوه وأزوروا عنه . كان الوصول الى القمر ، وبعد أبحاث لم تستغرق سوى بضعة أسابيع كان قد اكتشف الطريقة ، لا لم يستعمل الصواريخ ولا الوقود ، استعمل طريقة أبسط من هذا بكثير فقد اكتشف كنه الجاذبية وأدرك انها شحنة نوعية بمعنى انك اذا استطعت ان تشحن مادة بنفس شحنة الجاذبية الأرضية فانها تتنافس مع الأرض وتصدر الى أعلى ، وهكذا استطاع أن يشحن مركبة الفضاء الصغيرة التي صنعها في معمل الميكانيكا بكلية الهندسة بواسطة جهاز صغير مركب داخل السفينة وبتشغيل الجهاز تنافرت المركبة مع الأرض وبثقوية الشحنة أمكن أن يسرع بها الى درجة انها قطعت المسافة بين الأرض والقمر فيما لا يزيد عن الساعة ، وحين اقترب من القمر أعاد شحن السفينة بنفس جاذبية القمر . وهكذا تعادلت قوة تنافرها مع القمر مع قوة اندفاعها الأولى وهبطت على سطح القمر بسلام . وطور بعد هذا اختراعه ليستطيع أن يسافر الى الكواكب الأخرى . وهكذا كان يكفيه ان يشغل الجهاز بحيث يمنع عن السفينة الجاذبية الأرضية وفي نفس الوقت يشحنها بجاذبية مضادة لجاذبية المريخ أو الزهرة أو أي كوكب يختاره ، فاذا بجاذبية ذلك الكوكب تتفاعل مع جاذبية السفينة ودون حاجة الى بوصلة أو ملاحاة فضائية أو مرشد كانت السفينة تنجذب تلقائياً الى الكوكب بقوة عظمى حتى لقد استطاع أن يصل بالسرعة الى مليون كيلومتر في الثانية وهي أضعاف سرعة الضوء . وهكذا كان يستطيع الوصول الى القمر في نصف ثانية ، والى المريخ في ٢٥٠ ثانية ..

وهكذا وضع قدمه على الطريق للسفر الى العوالم الأخرى التي تفصلها عنا مئات السنوات الضوئية ، إذ هو لم يجد حياة على المريخ كما كان العالم يتوقع ، ودراساته وتلسكوباته الرادارية أمكنه أن يكتشف ان هناك قانوناً أساسياً من قوانين الكون ، قانون التماثل بمعنى ان كل مجموعة نجمية توجد فيها الشمس والأقمار بنظام واحد ، بمعنى ان المجموعة الشمسية المقابلة لمجموعتنا في الكون الآخر لها هي الأخرى شمس مثل شمسنا وعلى نفس البعد منها يوجد مريخها وزهرتها وأيضاً على بعد ٥٢ مليون ميل منها توجد كرتها الأرضية ، وهكذا .. فالحياة لا توجد إلا في الكرة الأرضية الموجودة في المجرة المقابلة لمجرتنا ، وهي كرة تبعد عنا بحوالي

من الأشعة فوق البنفسجية ، أمكن لهذه المواد ان تختار النسب التي تتحد بها مكونة البروتوبلازم الحي ، ولأنها مواد معلومة الوزن وقد أمكنه ان يعرف نسب هذه المواد التي دخلت في تركيب البروتوبلازم ، أمكنه ان يصل الى هذا اللغز المعقد ويعرف سر تركيب المادة الحية . بل أمكنه ان يخلق خلايا حية في كأس زجاجي ، الخلية منها في حجم البيضة ، تتفاعل بالضوء وتتجذب او تنكمش لدى اقتراب الخطر وقادرة على تغذية نفسها بل وان تنقسم في النهاية الى خليتين . وكان يعتقد قبلاً انه لو وصل الى هذا الحد لتكشف له سر الحياة ولا يمكنه ان يصل الى تركيب كائنات أرقى بكثير من كائنات الخلية الواحدة ولكن المشكلة التي واجهته جعلته يكتشف ان هناك لا بد سرأً آخر غير مجرد التركيب الكيميائي ، ذلك السر الذي يبدو كأنه كامن في الخلية الحية الحقيقية يجعلها لا تنقسم ولا تتكاثر وتحرك فقط ولكن يجعلها - وهذا هو أهم شيء - تتطور لتأخذ باستمرار أشكالاً أخرى . الخلايا التي أوجدها لها نفس تركيب الخلية الحية الكيميائي ، فماذا اذن يجعل الخلية الحية قابلة للتطور بينما خلاياه هو خاملة لا تتطور ؟ .. ذلك هو السؤال . سؤال كان يبدو عويصاً الى الدرجة التي جعلته يؤجل الاجابة عنه ليبتكر للبشرية بعض الأشياء التي تحتاجها بشدة مثل السرطان وعلاجه . ولكي يعالجه كان عليه أن يعرف سببه وقد اكتشف السبب من نفس تجربته السابقة ، إذ هناك خميرة معينة داخل الخلايا الحية مسؤولة عن انقسام تلك الخلية وتكاثرها ، حين يصل الحجم بالخلية الى درجة معينة أو يصل بها العمر الى زمن معين محدد تعطي الخميرة الاشارة وتبدأ الخلية تنقسم . هذه الخميرة ليست مستقلة في عملها ولكنها خاضعة لاحتياجات الكائن الحي ككل بحيث حين لا تستدعي الحاجة يستطيع الجسم ان يؤجل التكاثر والانقسام أو يشرع به اذا استدعت الضرورة ، وذلك بواسطة هرمون معين ، والسرطان ليس سوى تحرر خمائر الانقسام الموجودة داخل الخلايا من أثر هذا الهرمون ، بحيث تبدأ تتكاثر أوتوماتيكياً دون هرمون ينجرها أو يوقفها عند حدها . وعلاجه لا يتعدى تزويد الانسان بجرعات من هذا الهرمون تعيد اخضاع الخلية للمراكز العليا واحتياجات الجسم .

وهكذا حل النص نص مشكلة السرطان . أما السل وبقيّة الامراض فلم ينفق وقته في ايجاد علاج لها كل على حدة ، وانما توصل الى معرفة نوع من المنشطات الحيوية ، تلك التي تفرزها الخلية الحية اذا أشرفت على الموت ، قبل موتها بثوان ، وكأخر سلاح لديها تطلق الخلية خميرة سماها العلماء المنشط الحيوي تقضي على كافة اعداء الجسم من ميكروبات وتنقذ المريض في آخر لحظة ، استطاع النص نص ان يتوصل لمعرفة نوع منها قادر على الفتك بأية ميكروبات مهما بلغت قوتها ، بل وبواسطة قرص واحد منها يأخذه الانسان كل أسبوع يستطيع أن يضمن الانسان بقاءه سليماً معافى من كل الأمراض . حتى الأمراض الاجتماعية ، وبواسطة لتر من الانتي كابتال يوضع في كل مليون متر مكعب من ماء الشرب يستطيع هذا العقار ان يغير من أفكار الناس بحيث لا يعودون يطبقون الجشع الرأسمالي ويصبحون أكثر حساسية في كل ما

يتصل بالغير بحيث لا يرضون ظلمه أو الجور عليه ، حتى روح الحرب والعدوان يستأصلها إذ هو يضحك مركز الغيرية في المخ ، ذلك المركز الذي تصدر منه كافة الأفعال والتصرفات الانسانية وتهدف الى المحافظة على النوع من خلال المحافظة على المجموع عكس المركز الآخر الذي يضم بانتي كابيتال ويذوي ، مركز المحافظة على النوع من خلال الذات ، حتى السينما والتلفزيون استطاع النص نص ان يبتكر عدسة التصوير وعدسة العرض التي تجعل الفيلم يبدو حياً بنفس أضياء الحياة وطعمها وتجسيماتها .

وأخيراً توج النص نص أبحاثه ، في خلال بضعة شهور بأن استطاع اكتشاف نظرية جديدة لتركيب الكون ، إذ كان الناس يتصورون الكون من خلال تصورهم للجزء الذي يستطيعون رؤيته منه أو حتى من خلال الجزء القادرين على تصور مقياسه ، والتصور البشري يبدأ من تصور جزء على عشرة مليون جزء من المليمتر الى ألف مليون سنة ضوئية تلك هي المسطرة التي كنا نقيس بها الكون ، في حين ان هذه المسطرة لو وضعت على المقياس الحقيقية للكون لبدت وكأنك تضع مسطرة طولها قدم واحدة على المسافة بين الأرض والشمس ، فهناك مقياس نسميها أصغر بكثير من الجزء على مليون جزء من المليمتر ومقياس أكبر بكثير من الألف مليون سنة ضوئية ، اصغر الى ما نسميه المالا نهاية وأكبر من المالا نهاية المزعومة ، في حين لا توجد المالا نهاية ، والذرة ليست سوى كون كامل يشبه مجرتنا والالكترون الموجود في الذرة ليس سوى كرة أرضية بأكملها وداخل هذا الالكترون توجد مجموعة الكترونية عبارة عن نواة وحولها أجسام تدور وكل جسم منها عبارة عن فلك كامل ، وهكذا الى ان تصل الى دقائق تنجذب الى بعضها البعض بسرعة فائقة حتى تصل الى الحد الأدنى من القرب وحينئذ تبدأ تتنافر وتتباعد ، وهذا هو نبض الكون إذ نفس هذا النبض يحدث وب نفس السرعة للأكوان الكبيرة التي تتجاذب الى الحد الأدنى من المسافة لتعود تتنافر وتفقد تكوينها مكونة السديم الذي يبدأ يصنع منه التجاذب الأصغر فالأكبر فالأكبر حتى تتكون المجرات والافلاك ويحدث التجاذب من جديد ، سرعة نبض الكون ثابتة ولا يوجد أكبر أو أصغر ، فطريق التقائه ليس سوى تجمع لذرات نراها نحن من داخلها في حين انها من الخارج قد تكون جزءاً من مادة أو حتى جزءاً من جزيء داخل في تكوين كائن حي من الصعب تصور حجمه ، القانون الواحد الذي يحكم هذا الكون كله هو قانون التجاذب للتنافر أو التنافر للتجاذب ، على أساسه يمكن تفسير كل شيء ، حتى تفسير نشأة الحياة وتعدد الأنواع ، فالجزيئات تظل تتجمع وتكبر الى ان تصل الى الأعلى فتتفافر وتنقسم وتتحد مكوناتها الجديدة مكونة أنواعاً أخرى من الجزيئات حتى يؤدي التجميع الى الانقسام ، وإعادة التكوين الى جزيء الحمض الاميني الذي يتجمع على هيئة خلية واحدة تظل تنمو الى الحد الأعلى ثم تنقسم ليحدث بين مكوناتها المنقسمة وبين مكونات خلية أخرى مختلفة معها قليلاً ، نوع من التزاوج يؤدي الى ظهور الحيوان عديد الخلايا ويكرر العملية تتعدد الأنواع حتى

تصل الى القرد والانسان الذي يتطور بعد هذا بسبب تطور العلاقات الاجتماعية التي تحكم الصلة بين أفرادها .

وعشرات غيرها من الاكتشافات والاختراعات ، حتى انه اكتشف فيما اكتشف دواء لمعالجة الذمم الخربة لأصحاب البيوت ، بحيث ان ملعقة منه قبل توقيع العقد تستطيع أن تجعل صاحب البيت يتنازل بمطلق ارادته عن جميع الشروط الواردة بالعقد ، وكلها للأسف حقوق لصاحب البيت لدى المستأجر .

وان يعمل ويكتشف كان مسألة سهلة كان باستطاعته ان يصل الى ما هو أخطر وان يكتشف أشياء أهم بكثير من تلك ، ولكن المشكلة التي كانت تؤرقه انه لم يكن يستطيع ان يفعل بهذه الاكتشافات شيئاً . كان يحملها ويذهب بها الى أصحاب الشركات واساتذة الجامعة والمسؤولين فينظرون اليه نفس نظرتهم الى حيوان غريب ويضحكون ، وأحياناً يقبضون عليه ويحملونه في جيوبهم ليفرجوا عليه زوجاتهم ويجعلوا الاولاد يلهون به بعض الوقت ، وذات يوم ضاق به أحدهم الى الدرجة التي أمسكه وقذف به من النافذة فسقط فوق رأس فلاح ما كاد يراه حتى استبشر وقال : يا ما انت كريم يا رب ، وأخذه الى بيته في القرية وابقاه محبوساً ستة أشهر حتى يحين موعد القطن كفأل حسن ، وحين لم يزد المحصول كما كان يتوقع أقسم أن يطعمه لحماره ، ولم ينقذه في اللحظة الأخيرة الا زوجته حين راحت تستحلفه ان يبقيه لكي يجلب لاختها العاقر الحمل ، وبالتأكيد لم يستطع أن يجلب شيئاً ولكنه أفلح في الهرب ووصل الى حيث العمل ومركبة الفضاء التي كانت قد تمت وبغيط أدار الجهاز وبعد سبعة وثلاثين يوماً كان في الكرة الأرضية المقابلة وحين هبط فوجيء بأعظم وأروع فرحة في حياته ، فقد وجد الناس هناك في مثل حجمه ، ورحبوا به وطافوا به أنحاء الكرة وممالكها باعتباره « انسان الأرض » الذي ترقبوه طويلاً ، ولأنهم كانوا يبرون بنفس الطور الحضاري الذي تمر به كرتنا الأرضية فقد زودهم باكتشافاته التي طبقوها في الحال ، وجعلت من حياتهم جنة فأقاموا له التماثيل ، وكاد قسم كبير من سكان تلك الأرض يقدسونه ويعبدونه من دون الله سبحانه ، ولكنه كان في شغل عن التكريم والتقديس والعبادة بالشوق الغريزي الشديد الذي كان يحسه لكرتنا الأرضية وقاهرته ، ومصر ، شوق جعله يكتشف قانوناً آخر من قوانين الكون وهو ان المادة الحية تحن الى المواد الخام المخلوقة منها وهكذا يحن الانسان الى مسقط رأسه ويحن الجزء من الشيء ، إذا انفصل عنه ، للجزء الأكبر ، حتى سفينة الفضاء تحن الى المعمل الذي صنعت فيه ، وهكذا جاء عليه اليوم الذي لم يعد يطيق ، وتحايل حتى وصل الى سفينة الفضاء وبكل ما يهزه من شوق شغل الجهاز ، وما أروعها من أرض كروية وما يغطيها من سحابات تلك التي طالعت في صباح اليوم السابع والثلاثين .. ما أروعها من شريط رفيع ينحني ويتهادى وبرفق يصب في بحره الأبيض ، ما أروع مصر التي هبط في صحرائها حيث غادر المركبة قرب أهرامها وما لبث ان ضاع في زحمة مدينتها يقيم حيثما اتفق ويأكل وينام كيفما اتفق

وسعادته كلها انه يحيا على الأرض ... أرضه حتى لو كان قد تخلى عن كل طموحه .

الشيء الذي لم يحسب له النص نص حساباً قط هو ان يستخدم أهل الأرض المقابلة معلوماته التي أعطاها لهم الى درجة ان يصنعوا مراكب فضاء مثل مركبة فضائه ، وان يفاجأ أهل الأرض ذات يوم بسرب من هذه المركبات وقد ظهر يحوم حول مدن الكرة الأرضية الكبرى ويرقب الحياة التي تموج فيها .. ولا تحدث عن الحمى التي اجتاحت الدنيا لهذا الحادث الخطير ولا عن الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، خاصة في امريكا ، وقد خرجت تتحدث عن غزو الأرض وتطلب من حكوماتها اخراج ما لديها من قنابل ذرية وايدروجينية لاستعمالها ضد الغزاة « تماماً نفس العقلية التي كانت تصنع أفلام الفضاء » ولكن قبل ان يحدث شيء من هذا كان سرب المركبات قد هبط فوق جبال سويسرا وخرج منه سكان الأرض الثانية في حجم عقلة الأصبع يستعملون أجهزة الترانزستور في تضخيم اصواتهم الى الآخرين وفي استقبال أصوات الآخرين ، واندفعت الى سويسرا جموع هائلة من الصحفيين والمخبرين ومحبي الاستطلاع يريدون الوقوف على أسرار تلك الحضارة الراقية التي غزت الفضاء بمثل ذلك الاعجاز وغزت الأرض .. وكانت المفاجأة المذهلة حين ذكر رجال الفضاء هؤلاء ان سفن الفضاء تلك ليست من ابتكارهم انما هي من ابتكار واحد من أهل الأرض اسمه النص نص من بلد اسمها مصر ، كان قد زارهم في مركبة مماثلة منذ عام مضى وزودهم بمعلومات هائلة عن المادة والحياة والأحياء من ضمنها هذا الجهاز الذي أمكنهم به ان يتغلبوا على جاذبية أرضهم وأن يسافروا بتلك السرعة الخارقة في الفضاء حتى يتمكنوا من الوصول الى بنت عمتهم الأرض .

وهكذا في أقل من ساعة كان الناس قد فقهوا الاهتمام بأهل الكوكب الآخر كلية حتى لم ينتظر أحدهم ليودعهم وهم في الطريق مرة أخرى الى كرتهم واندفعوا في أعداد هائلة يحجزون الأمكنة في الطائرات الى القاهرة حتى اضطرت شركات الطيران الى تحويل خطوطها جميعاً الى القاهرة .

ولم ينتظر المصريون وصولهم ، فهم منذ اعلان تلك الأنباء وجموعهم في حالة بحث دائم عن النص نص . ولأول مرة يعترف أساتذة الجامعة الذين امتحنوه ، ولأول مرة يذكره أولئك الذين ذهب يطلب منهم العمل وهزوا به ، والجميع من سائل الى مسئول قد ركبته حمى البحث ، والكل يحاول ان يتتبع الخيط ، وكل خيط ما يكاد ينمو وينمو معه الأمل حتى ينقطع فجأة وعلى غير انتظار - حتى الفلاح الذي احتفظ به كفال حسن وقصته معه - ثبت خيط تتبعه الناس الى أخت زوجته العاقر ثم انقطع تماماً . ولكن كان لا بد ان تنتهي مرحلة الفوضى التلقائية تلك ، فالأمر جد خطير للعالم كله ، ولا بد من العثور على النص نص ومن الشرق والغرب جاء خبراء البحث والتقصي واعيد استجواب كل من سبق وكان له بالنص نص أي اتصال لمعرفة الاماكن التي يحبها او اين كان يمضي وقته ، حتى خدم السلطان الذين أصبحوا مرشدين سياحيين في قصره الذي تحول الى

متحف ، استجوبوهم بدقة ، وكانت النتائج دائما مخيبة للآمال ، فقد بدا ان باستطاعته ان يوجد ويعيش في أي مكان بالقاهرة او غيرها من المدن في أي اثني سنتيمتر مكعب يمكنه ان يبقى الى الأبد مختفيا ، النتيجة الايجابية الوحيدة التي خرج بها الخبراء المحليون والعالميون من بحثهم واستقصائهم انه قال ذات مرة : انه يحب أن يمشي على بلاج الاسكندرية ، خاصة في الشتاء ، والى هذا البلاج تحول البحث كله ، ليس فقط بحث الأجهزة والاختصاصيين وانما بحث الناس العاديين ، ناس ، آلاف الناس المزدحمة صيفاً وشتاء ، لا يطلبون أسرار قوانين الكون والحركة والجاذبية وانما يطلبون أشياء تبدو أسهل بكثير ، الأصلع يريد دواء ينبت له الشعر ، والآخر الذي يريد القضاء على الشيب ، والسيدة العاقر التي تنام وتحلم بالولد ، والمقطوع الساق والأعمى والأعور ، والأبرص والذي به داء استعصى على الشفاء ، جيوش المرضى من أيام موسى وعيسى ، ومحمول النوايا ، القاهرة التي تفيض بها أضرحمة المشايخ وأهل البيت ورسائل المحبين اليهم ، بعدد سكان الأرض وسكان مصر ، لكل كونه المفقود الذي يبغى العثور عليه ، عالمه الطلمسي الذي يود لو عرف قوانينه ، والجماعات ، جماعات وأفراداً ، في حالة بحث دائب ، في الصيف ، وفي الشتاء ، في الربيع وفي الخريف ، الى أقصى ما يستطيع ان يصغر كل منهم خده ويكبش من الرمال ويغربل ، عله هذه الكتلة ، عله تحت هذه المحارة ، عله في كومة حشائش البحر تلك ، عله من تلقاء نفسه يظهر غداً ، ومن كل صوب تنهال الاتهامات : السبب أساتذة الجامعة الذين لم يعيروه اهتماماً ، السبب البيروقراطية ، والبيروقراطيين الجالسين فوق المكاتب يمنعون العبقريات عن الظهور ، بل كلنا مسئولون .. هكذا كتب صحفي كبير ، عن الجريمة ، كلنا اهملناه واحتقرنا شأنه وها نحن اليوم نقبل الأرض بحثاً عنه ، كلنا مسئولون .

* * *

وعن الجماعة التي اتجهنا إليها صدرت صيحة وكأنها صيحة رعب ، تلتها اندفاعات وصراخات واستغاثات كأصوات الهنود الحمر حين تهجم أو فرق الصاعقة ، وفجأة أيضاً وجدنا المجموعة وقد استحالت إلى كتلة بشرية متكورة ، كتل متضاربة متصارعة صارخة مولولة ممزقة ، لا تحسبن أنهم عثروا عليه ، فهكذا الحال دائماً ، انه واحد منهم خيل اليه ان قطعة الطين التي اصطدمت بها يده هي النص نص وتسابق الآخرون ينتزعونه منه ، تلك كانت آخر كلمات صديقي ، ليس في ذلك اليوم فقط ، وانما في كل الأيام ، إذ ما لبثت الكتلة البشرية أن راحت تتضخم وقد فقد الكل عقله ولم يكن هناك أحد ليتابع ، فمئذ اللحظة الأولى يتحدد الوقت وقد كتب عليك الصراع : إما صراع من أجل الحصول على النص نص المزعوم أو صراع من أجل استخراج نفسك من كثرة البشر المتزايدة المتضخمة المهدة بفحص كل من يقربها أو تقربه ، وفجأة تطلعت فلم أجد صديقي ، كانت الكرة قد ابتلعتة ولم أره إلا في اليوم التالي بين عشرات الجثث الممددة فوق رمال الشاطئ .

لم تكن آخر كرة بشرية تتكون أو أول كرة ، فهكذا الحال دائماً ، وكل بضع ساعات أو أيام تحدث الصرخة التي يعقبها التدافع والتكور والفحص .

أما النص نص نفسه فمنذ ان عاد الى الكرة الأرضية ووطأ بقدميه القاهرة فلم يعرف له أحد مكاناً ، البحث قاد حقيقة الى مركبة فضائه التي استعملها ، أما أين وكيف يعيش الآن ؟ .. فذلك لغز لم يستطع أحد ولن يستطيع حله ، من يدري ربما يكون هذه الكتلة البارزة من الرمل أو من التراب ، ربما تحت هذه المحارة أو أسفل كومة الحشائش ، ربما في جيبك أنت ... وأنت لا تدري ..

من مجموعة النداهة

الأختان وفاكهة من الشوك

* جبرا ابراهيم جبرا

« يجب على الطبيب أن يسعى جهده فلا ينمي في نفسه هوسا لتعليل كل شيء . وعليه أن يتذكر أن الطبيعة شديدة الغموض في أكثر مسالكها ولا سيما الأمراض . عليه أن يكون مراقب الطبيعة ، لا أمين أسرارها » .

البارون نيكولا كورفيسار

رئيس أطباء نابوليون

« لا ، لا ، مستحيل . انني واهمة . لن تفعل ذلك ، وهي أختي الكبرى . الكبرى ، لا الصغرى فاستطيع أن أنصحها . ولكنني واهمة » .

تقلبت ثريا في فراشها ، وزقزق سريرها ، كأنه أفاق هو أيضا من نومه ، ثم هجع . ولم تفتح عينيها ، رغم الأرق ، أملا في أن تستعيد نومها . ولكنها كانت تحس بوجود أختها على السرير الموازي لها ، كأنها تراها بعينين مفتوحتين . « ما الذي رأيته فيها ؟ ما الذي رأيته فيها ، والفتيات كلهن يرفرفن حوله دون مشقة منه - ما الذي رأيته في هدى ، بعد كل ما حدث ؟ » .

وتقلبت مرة أخرى ، وزقزق سريرها مستجيبة ، قلقاً مثلها ، « بعد كل ما حدث . ولكنني واهمة : والا ، فانني سامقته ، سأتمنى موته . أما هدى الحمقاء ، فانني أشفق عليها . أكرهها . لا ، لست أكرهها ، بل أشفق عليها . ولكنني واهمة ، أف ، أريد أن أنام » . وهزت رأسها على الوسادة يمنة ويسرة ، وأزاحت اللحاف عن صدرها ، وعيناها مغلقتان ، وهي ترى هدى (« ترى هل هي نائمة ، أم أنها مستيقظة ولكنها تخشى التقلب لئلا أسمعها ؟ ») وراء أجفانها المطبقة . ولكنها لا ترى هدى وحدها . أنها تراه هو أيضا . هو . تكاد أحيانا لا تذكر له اسما . اسمه هو وجهه ، يده ، عيناه ، مشيته - رافد داود الحلبي . ما الذي قرن رافد بداود ، ما الذي قرن ذلك الصوت ، تلك الكلمات باسم معين ، وهوية معينة ، بشهادة الطب وعيادة في الطابق الثاني في شارع مأمن الله ؟

* جبرا ابراهيم جبرا : أديب فلسطيني ولد في مدينة بيت لحم عام ١٩١٩ ، وتلقى تعليمه في الكلية العربية في القدس ، ثم في جامعتي كامبردج وهارفارد . غادر فلسطين نهائيا عام ١٩٤٨ ، وأقام في العراق . كتب روايات باللغتين : العربية والانكليزية ، والقصة القصيرة ، والدراسات النقدية - المؤلفة والمترجمة إضافة الى كونه رساما . من أعماله : (السفينة) و (صيادون في شارع ضيق) و (البحث عن وليد مسعود) ومن مترجماته (الصخب والعنف) لوليام فولكنر و (السونيات) وعدد من المآسي لشكسبير .

« أحبب ؟ لماذا ترددين هذا السؤال ؟ أحب الجبال ، أحب الشوك على السفوح ، أحب جماجم الدواب التي أجدها بين الحجارة مع الزبالة والنفاية » ، لقد رأيته يحمل تلك الجمجمة الكبيرة - لعلها جمجمة حمار - الى بيته ويغسلها في المطبخ ثم ينشفها ويضعها على مائدة جانبية ثم يصيح : « ثريا ! هيا معي لنحضر باقة من الشوك » .

- باقة من الشوك ؟

- نعم . لنزين بها مكتبتني .

ونزلت معه الى الحديقة وخرجا الى التلة المجاورة التي كانت مغطاة بالحجارة والشوك ، وجعل يجتث (وهي ترقبه) عساليح الشوك من عروقها ، وأدمى أصابعه ، وهو يضحك .

- ثريا . لقد أدميت أصبعين بالشوك .

وصعدا الى المكتبة ، ودس عروق الشوك في عيني الجمجمة ، وبين فكيها الكبيرين . ثم أوقفته ، تصدت له بعينيها ، بصدرها النافر ، بشفتيها الجافتين قلقلًا ، وقالت : « أحببني ؟ » .

- أحبب ؟ لماذا ترددين هذا السؤال ؟ أحب الجبال ، أحب الشوك على السفوح -

« أف ! أريد أن أنام . أنام . أنام » . وتقلبت واستجاب السرير وزقزق .

« أدميت أصبعين بالشوك ! » وأحسست بالسلاميات في كل أصبع من أصابعه . كانت يداها تتلمسان يديه في استكشاف عقيم ، ولكنه لا ينتهي : لقد أرادت أن تتلمس الحركة التي تأتيها يداها ، وكل أصبع من أصابعه ، في تلك الثنيات والانحناءات والايماءات التي تتوالى وهو يتكلم كأنها رقص تلنذ عيناها بتتبعه . ولكنها لم تستطع . « عجزت ، فشلت . وتملص من بين يدي . ولكن هدى - هدى التي تلثغ وتتلعثم اذا تكلمت ، والتي لا تفهم ما يقال لها فتضحك - كيف خطر له أن ينظر اليها ويطليل النظر ؟ رافد ، لا بل هؤلاء الشباب كلهم الذين يدعون العلم ويتكلمون كأنهم كتب تتلى عن ظهر قلب ، أطباء وغير أطباء ، كلهم كاذبون ، كلهم لا هم لهم الا لمس وجه جديد وصب مبالغاتهم في أذان جديدة .. رافد .. وهدى نائمة كالحطبة في هذا السرير » . وسمعتها تتنفس بانتظام . وتقلبت مرة أخرى .

« أخبرها إذن ؟ ولكن لعلني واهمة . لعل التقاءهما عدة مرات من قبيل الصدفة . أيراها في العيادة ؟ سأخبرها بقصتنا . انها لا تعرف كم كذبت عليها وموهت لكي أخفي عنها أمري مع رافد . سأقص عليها كل شيء . ألن أنام هذه الليلة أيضا ؟ سأقص عليها كل شيء ... » . ودست يدها تحت الوسادة وأخرجت زجاجة صغيرة أخذت منها حبة واحدة بلعتها وهي تقول : « ليتها تنومني سنة كاملة . هذه هي الليلة الثامنة » .

وأفاقت ثريا فجأة حين هزت يد كتفها برفق ، ورأت أختها هدى واقفة عند رأسها تبسم ، وقد ارتدت ثيابها وحمرت شففتيها .

قالت هدى : « السابعة والنصف . ألسنت ذاهبة الى المدرسة اليوم ؟ »

لم تشعر ثريا بأنها نامت اطلاقاً . وقالت لنفسها « فمها جميل » ثم قالت : « السابعة والنصف ؟ » وفزت من فراشها .

« اني ذاهبة . قمت في السادسة والنصف اليوم . لقد حضرت الأسئلة والحمد لله ! » قالت هدى ذلك وأخذت حقيبة اليد ودست فيها بضع ورقات ، وتناولت مجلة كانت على المائدة الصغيرة قرب فراشها ، وخرجت وهي تصيح : « مامي ! أنا رايحة ! » .

وأجابت أمها من الرواق : « مع السلامة ! » ثم أضافت بنبرة عالية : « وأنت يا ثريا ؟ أراك تأخرت اليوم . حتى هدى سبقتك ! من كان يصدق أن أختك ستصبح معلمة ، وتذهب كل صباح الى مدرستها دون تردد ؟ » .

* * *

« العينان واسعتان .

« الأنف قصير يندفع طرفه السفلي الى الأعلى

« الفم أميل الى الكبر ينفرج عن أسنان نضيدة ، اذا تمعن فيه الناظر رأى سنين في الداخل تلتمعان بالذهب .

« الوجه أقرب الى الاستطالة ، سمرة خفيفة ، فيه شحوب .

« الشعر أسود مفروق عن جنب ، لا هو بالطويل ولا بالقصير ، يبدأ بعضه كالزغب قريباً من الحاجبين لكثافته .

« القد أقرب الى الطول ، أو هو يبدو كذلك لطول الساقين ، وارتفاع الردفين ، وصغر النهدين .

« البشرة ملساء .

« النتيجة : فتاة يبدو عليها الشرود ولكنها ليست شاردة ، ضحكتها تكاد تكون دائمة ، وهي اذا فرحت طفرت في الهواء ورفعت فستانها فوق ركبتها لتطفر في الهواء طليقة الحركة مرة أخرى . فيها جذب دون اغراء متكلف ، ولا أظنها تعرف عن الحب الا ما قرأته في الكتب » .

بعد أن فرغ الدكتور رافد الحلبي من كتابة هذه الأسطر على احدى أوراق العيادة الصقيلة التي يستعملها للوصفات ، كتب في أعلاها : « ه . م . » ثم أعاد قراءتها وقال لنفسه : « ترى أتعرف هدى لو قرأت هذا الوصف انني اياها أعني ؟ » ولكن هدى ليست من الذين يسمح لهم رافد بقراءة هذه الورقات التي يضيف اليها كل يوم شيئاً جديداً (وهو جالس الى منضدته الطبية في انتظار المرضى) ويحفظها في درج مقفول ، وما الداعي الى اطلاعها على ما يقول بينه وبين نفسه ؟ انما المهم أن يراها كل مساء اذا أمكن . وهي على كل لا تحتاج الى اغراء شديد « لتطل » عليه بعد انصراف خادمه عبد في السابعة في أكثر الأماسي ، أو تزوره أحياناً في البيت مع أمه

وأخيه بحجة ما بين العائلتين من قرابة ، (لقد تزوج خال هدى ممدوح من ابنة عم أمه - فنشأت بين العائلتين علاقة تشدد وتضعف حسب الظروف ، لقد اشتدت حين تعرف بالأخت الصغرى ثريا في بيت خالها ، ثم كادت تتلاشى حين أدركت ثريا الا أمل يرجى منها ، ثم انتعشت من جديد حين رأى أختها هدى ثلاث مرات متوالية ، وقال لها المرة الرابعة ، وقد اختلى بها في مكتبته في البيت لدقيقتين : « هدى ، أين كنت مختبئة بهذا الجمال ؟ » . فقالت : لم أكن مختبئة . ولكنك لم تلتفت الي قط في الماضي) .

« هذه القرى حجة لالتقاءاتنا » ، كتب رافد هذه العبارة في صفحة أخرى . « أكنوبة أخرى بالطبع ، لا بد من الأكاذيب للمجتمع ، والمجتمع لا ينخدع بأكاذيبه دائما ، ولكنه في أغلب الأحيان يراعي أصول اللعب ، فيحترم الأكاذيب » .

جاءه المضمّد عبد وقال : « هل انتظري يا دكتور ؟ »

فنظر الى ساعته ثم قال : « لا . اذهب الى البيت » .

وبعد ذلك بقليل سمع وقع أقدام على الدرج ، فأسرع الى الباب وفتحه ، ليرى هدى تصعد آخر درجة وفي يدها حقيبتها الصغيرة .

* * *

جلست ثريا قرب الشباك ، وبين يديها رزمة من أوراق الامتحان عادت بها ظهر ذلك اليوم . وقد وعدت طالباتها باعادتها صباح اليوم التالي ، ولكنها ما أن جلست قرب الشباك ، والشمس على وشك المغيب ، حتى شعرت باستحالة البر بوعدها ، ورقة فوق ورقة كتبت بقلم الرصاص ، كلها تعيد وتكرر ، بأساليب متقاربة ، غزوات الجرمان للامبراطورية الرومانية جوابا على السؤال الذي كتبته على اللوح حال دخولها الصف ، لاشغال الطالبات ساعة الدرس . لم تكن في حالة من الذهن تساعد على خوض بحث جديد عن القرون الوسطى ، وهي قد قضت الليلة السابقة في أرق وتقلب . (ولم تنس أن تذهب ، عند عودتها ظهرا ، الى صيدلية لشراء زجاجة أخرى من حبوب النوم) . وهي الآن والهواء البارد يهب متكاسلا من النافذة ليست بأحسن حالا مما كانت عليه في الصباح . انها تريد الاستسلام للنسيم ، للأصيل ، لكل ما يترقرق في السماء من نور أزرق فضي .. يكاد يشبه زرقة الفجر ، فجر ذلك اليوم عندما أفاقت في الرابعة في انتظار الساعة السابعة -

كأنني سأزف ذلك الصباح . كأنني سأبدأ برحلة الى امريكا - متتكرة بالطبع . أميرة في زي العوام - في زي معلمة . وقد أخذت كتيبي وأوراقي وياقة القرنفل وركبت الباص . ولكن نزلت منه قبل وصولي الى المدرسة . وأخذت باصا آخر . يا ربي ! زالت الساعة السابعة والرابع . ومشيت مسافة طويلة . ثم مشيت المسافة نفسها عودة . وقصدت البيت . ألعله نائم بعد ؟ الساعة

والنصف . بل تقريبا الثامنة الاثنا . ضغطت زر الجرس . وجاء الى الباب في بيجامته . ورأى بين يدي باقة القرنفل ...

– ثريا ! قرنفل ...

ادخلني كمن يدخل ضيفا . واعتذر عن نومه حتى تلك الساعة . لم يكن يتوقع مجيئي . ألم يعرف أنني كنت في انتظار سفر أمه مع أخيه لاستطيع الاختلاء به في البيت ؟ ألم أعده بذلك ؟ (« ثريا ، حالما تسافر أُمي ، حاولي أن تأتييني هنا بعد المدرسة بالطبع » . فقلت : « وقبلها اذا قدرت ») .

– أتذهبين الى المدرسة ؟

– سأغيب اليوم . سئمت الوظيفة . وغدا آخذُ الى المديرية تقريراً طيباً – منك !

– ثريا ، أنت شريرة !

فضحكت وبحثت عن مزهرية لاضع فيها الزهور . وعندما توارى في الحمام قلت : « أفاجئه بتحضير الفطور » .

حالما خرج من الحمام ورأى الفطور قبلني قبلة قصيرة وضحك . وأكل . وخرج الى البلكون . ثم عاد . وأخذني الى مكتبه . نحن والحضارة ، والكاتب السوري القديم لوقيان يسخر من كل شيء وسوفوكليس يحلل مأساة البطولة والكبرياء في وجه الآلهة ، والهواء ما زال يهب بارداً في الظل . ثم أمسك بي فذابت ركبتي ولم أستطع الوقوف على قدمي . كانت شفتاه حارتي وتشبثت به . أخيراً ... أخيراً .. وشعره يتشعث فوق عينيه . ويده تصران على تحسس صدري والكتب تحيط بنا ...

– لماذا ترتجفين ؟

– لست أدري . هيء هيء . لست أدري (لماذا ضحكت كالبلهاء ؟) أوه أخيراً ... أقلعت بي الباخرة . ملذات الدنيا تلقى بين يدي الأميرة . ثريا تستلقي على الطنافس . على الجسم أن يتلقى أشعة الشمس عارياً .. وفي الصف تلك الساعة ثمان وعشرون فتاة يقرأن عن هانيبال وقرطجنة والأفيال تعبر فجاج جبال اسبانيا ... والشمس خلال النافذة تشتعل فوق تلال خضراء ونحن نركض على السفح وندوس الزهور الصفراء والشقائق التي تنمو من الدم وتتضخم به وأقدامنا تزلق على الدم ورافد يصيح اتبعيني الى حيث أشجار الصنوبر تتراص كمظلة واحدة مترامية تتيه فيها النساء والرجال حيث جمجمة الحمار وجمجمة الخنزير وأنا أنوح مستلقية على السفح والبحر من بعيد يشتعل بالشمس ورافد ينتظر قدوم المساء . ذلك اليوم الذي انفجرت فيه قنابل مؤقتة في سوق الخضرة ووجدوني مغمياً علي بين القتلى والجرحى وسمعتهم يقولون اليهود اليهود ، ورافد وهدي وأمي وأبي يبحثون بين القتلى والجرحى في ردهة المستشفى الكبيرة البيضاء والملابس البيضاء .

والنواح والعيول - الحمد لله على سلامتها ، جرح بسيط في الفخذ ، جرح بسيط الحمد لله ، نزيف بسيط ، اعطوها مسكنًا ، دكتور نصار ! دكتور كمال ! دكتور رافد ! سسستر نزيهة ، سسستر جورجيت ، سسستر مارشل - أوف رجعتا ؟ رجعتا ؟ - « أتحبني ؟ » ،
« عزيزتي ثريا ، ماي دارلنغ ، ثريا ، توتو ، الحياة لا تحد ، الحياة تطالب بالحياة ، يونووت أي مين » ، « سأزورك في البيت حالمًا تذهب أمك و - » ،

- ثريا ! أين هدى ؟

- نعم بابا ؟

- قلت أين هدى ؟

- لست أدري ، أعتقد أنها ذهبت لحضور محاضرة في النادي ،

- لعن الله المحاضرات ! أما تنتهي ؟ قومي ساعدي أمك ، نريد أن نتعشى ، محاضرات ، علم ، حكي فارغ ، ما الذي استفدناه من كل هذا العلم ؟ طلعت روجي وروح هذه المرأة أمك الى أن أنهيتما المدرسة أنت وأختك - وما الذي رأينا منكما ؟ بضعة دريهما في آخر الشهر ، قومي ، قومي ساعدي أمك ! نريد أن نتعشى ،

لم تجب ثريا بشيء ، بل قامت وأخذت تهيب المائدة وهي تقول لنفسها : « عاد الى عصبيته ، سيقم لنا عرسا هذه الليلة ، أين هدى ؟ مع رافد ولا شك في هذه اللحظة ، يجب ، يجب ، يجب أن أخبرها بقصتي معه » ، ورأت أباه يدخل ثقيلا الحركة الى المطبخ ليغسل عن ذراعيه ووجهه لوثات السيارات التي يشتغل بتصليحها وقالت : « متى سيكون لدينا حمام منفصل عن المطبخ يا ربي ؟ » ،

* * *

- اننا منهمكون دائما في ملء حفرة لا قرار لها ، ولذلك فسنبقى منهمكين وستبقى الحفرة فارغة ،

- لماذا اذن لا نتوقف عن عملية كهذه ، ما دما نعرف بطلانها ؟

- لأننا اذا توقفنا ولجأنا الى السكون أصابنا الشلل ، فإما شلل السكون أو حركة باطلة ، أيا تفضلين ؟

- لست أدري ، لم أنظر الى الحياة بهذا الشكل من قبل ،

- لا حاجة بك الى ذلك ،

- أرجوك ، اني أريد أن أعرف وأن أفهم وأن أعي ، أريد أن أطل فوق الحفرة وأنظر الى قراها ،

- قرارها الذي لا يوجد ؟ وإذا وقعت فيها ؟
- لا بأس . سأظل في هبوط مستمر ... مستمر ... الى ما لا قرار ... مخيف !
- اذن فالحركة هي ما تبغين ؟
- هذا ما يبذولي . الحركة .
- رغم عبثها وبطلانها ؟
- رغم العبث والبطلان .
- فأمسك راغد بيد هدى . وحدق بعينيها في صمت سمع أثناءه السيارات تمرق هادرة في الشارع تحت النافذة .
- ثم قال ببطء ، محاولا أن يستخلص من مبهماتة فكرة واضحة محددة : هدى ، أشعر أنك تركضين وأنا ألاحقك . ثم تنقلب الآية فجأة فأهرب أنا وتلاحقيني أنت .
- ألسنت واثقا من شيء ؟
- لست واثقا الا من لمس يديك ، ورؤية هاتين الحفرتين من السواد : عينيك . في كل منهما نقطة من البريق .
- فسحب يدها من قبضته وقالت : " أما أنا فواثقة من أشياء كثيرة " . ورفعت يدها الى صدره ، وصوبت شفتيها نحو فمه .
- مثلاً ؟
- مثلاً ..
- ورفعت يديها الى وجهه ، وأخفضت رأسه نحوها حتى كانت شفاتها بين شفتيه وراحت أصابعها تمر بين خصل شعره بعنف ، والقبلة تطول وتشتد . ثم جعل راغد يمر بشفتيه على خدها وفكها ، وعنقها ، وإحدى يديه تضغط نهدها دون هواده .
- ثم قال : « تعالي معي الى البيت . ألم تسأمي رائحة الأدوية هنا ؟ » .
- ولكن أمك ؟
- خرجت أُمي هذا المساء للزيارة ولن تعود قبل العاشرة .
- لا بأس .
- ونزلا بسرعة الى الشارع حيث كانت سيارته ، فركباها وانسابتا بهما الى بيته في الطالبة .
- وفي غرفة المكتبة ، بين الكتب وياقات الشوك ، جلست هدى على الصوفا جلسة غير مريحة تنظر حولها كفأر حذر .
- وإذا فاجأنا أمك ؟

- كفاك خوفا !

وألصق فمه بفمها ، ومالت بجذعها الى الوراء وأصابعه تسرح على جسمها ، وإذا استقرت لحظة غارت في جسمها ، ثم عادت لتسرح على أعضائها من جديد .

* * *

كانت الساعة تقارب التاسعة والنصف عندما نزل رافد وهدى درج البيت . وانتظرت هدى عند البوابة تلقي حولها نظرات جزعة ، كأنها قد خرجت من البيت بشيء ثمين قد يراه أحد المارين فيصيح في وجهها : سارقة ، لصة ! انها لتتحسس هذا الشيء بين ذراعيها ، على شفتيها ، لصق أهابها ، ولا تريد أن يراها أحد وهي تتمسك به ، ريثما أخرج رافد مفتاح السيارة وفك بابها ودخلها وسحب الرتاج لبابها الآخر . فتحت هدى بسرعة وركبت الى جانب رافد وصفقت الباب ، وللحال أحست بالأمن والطمأنينة . ثم أحست بالترف الذي يبثه مقعد السيارة الوثير . أخفضت زجاج الشباك ، ولكن الهواء قرس وجهها وصدرها فرفعته ثانية ، فاشتد احساسها بالترف والطمأنينة .

نظرت الى بروفيل رافد وهو يسوق ، فلمحها من زاوية عينه اليمنى والتفت اليها وقال :
« أضروري أن تعودى الى البيت الآن ؟ » .
- جداً .

وتذكرت أباهما جالسا الى مائدة الأكل يقابلها مغضبا ، وأما تحاول تسكين غضبه فقالت لنفسها « سأدعي ان المحاضرة كانت طويلة ، طويلة جداً » .

- ما رأيك في جولة قصيرة ؟
- ولكن أبي ، ما الذي أقوله لأبي ؟
- لا بأس ، أنت محقة . فلنبتعد عن المشاكل .
فتأثرت وقالت : « ولماذا نبتعد عن المشاكل ؟ لقد قضيت حياتي وأنا أبتعد عن المشاكل ، فماذا حصلت ؟ » .

فأجابها بإصرار :

- لا يا هدى ، يجب أن أخذك الى البيت ،
- اني أكره البيت . اذا لم تسق بي في جولة خارج البلد الآن ، لن أكلّمك مرة ثانية .
فضحك رافد وقال : « يا أعند نساء الأرض ! » وعند أول منعطف في الشارع أدار سيارته ليبتعد بها عن البيت الذي « تكرهه » .

* * *

بعد ما يقارب الساعة دخلت هدى البيت .

والحال قلّصت أساريها المنبسطة حتى تلك اللحظة ، وبالغت في التقطيب عندما أُلقت حقيبتها من يدها على أقرب كرسي ، وجاعتها أمها متهلفة قلقة لتسألها بصوت منخفض يوحى بخطورة سؤالها : « أين كنت حتى الان ؟ » .

لم تستطع مجابهة أمها بعينيها ، فأجابت وعيناها في اتجاه غرفة نوم والديها ، كأنها تخشى أن يسمعها أبوها - ان كان في فراشه - فلا يصدقها : « في النادي . تأخر المحاضر المحترم في القدوم ، ثم القى محاضرة طويلة أعقبتها أسئلة وأجوبة كثيرة . كان النقاش في الواقع أمتع من المحاضرة نفسها . فما استطعت الخروج . ولما خرجنا أخيرا لم أستطع الحصول على مكان في الباص لشدة الازدحام . فانتظرت وانتظرت - وما أنت ترييني يا ماما » .

نظرت الى أمها نظرة عجلت لتتبين مقدار اقتناعها ، فأدركت أن أمها لم تقتنع . غير أنها قالت : « طيب يا هدى . من حسن حظك أن أباك قد خرج للسهرة بعد العشاء فورا . ولن نقول له متى عدت . ألسنت جائعة ؟ »

- لا . أين ثريا ؟

فجاء الجواب من غرفة أخرى : « في الفراش . تعالي حديثني عن المحاضرة » .
فأسرعت الى غرفة النوم التي تنام فيها مع أختها ، وجلست على سريرها ازاء ثريا .

* * *

كان البيت مضاء عندما عاد رافد ، فأدرك أن أمه وأخاه قد سبقاه في الوصول . وقد سمع صوت أمه تتحدث وهو يصعد الدرج دون أن يستبين الكلام ، ولكن علوصوتها على ذلك النحو لم يكن أمرا عاديا . وحالما دخل غرفة الاستقبال انقطع الكلام فجأة . « مساء الخير » .
فأجاب أخوه مازن : « مساء الخير » ، غير أن أمه لم تلتفت اليه .

كانت أمه تلبس السواد الذي ما نزلته في السنتين الأخيرتين منذ وفاة زوجها داود الحلبي . في عينيها الكبيرتين الرطبتين وأنفها الطويل وشفتيها المزمومتين ما يوحى بالحزم والتمتع بالسلطة .

- ما الخبر ؟ خير ان شاء الله ؟

فقال مازن : « ليس لكلام الناس نهاية » .

- أي كلام ؟

- أنت أدرى . قيل وقال ، زيجة وزواج .

فضحك رافد وقال : « أريدون ايقاعك في الفخ ؟ »

فالتفتت أمه اليه : « بل ايقاعك أنت » .

- ايفاعي أنا ؟

فأجابت وعيناها تبرقان رغم الظل الساقط عليهما :

« رأيناك الليلة في لحظة خاطفة ، ويا ليتنا لم نرك ، وقد جلست بقربك فتاة » .

فضحك رافد قائلاً : « تلك كانت هدى ، وقد أوصلتها الى بيتها ، أفي ذلك ما يغضبك ،

ماما ؟ »

فقال مازن : « من الصدف الغريبة ان أمك سئلت هذه الليلة ان كنت تنوي الزواج من

هدى » .

فقاطعت أمه : « سألتني أم حبيب أصحيح أن الدكتور سيتزوج ؟ فقلت ابني يتزوج ؟ لم

يستقر بعد منذ رجوعه من الجامعة في بيروت ، فكيف يتزوج . فقالت سمعنا أنه سيتزوج . قلت

ممن سمعتم ، قالت غير مهم . قلت لا ضروري أعرف . قالت سمعنا أنه سيتزوج هدى ممدوح .

قطار عقلي وقلت : أعوذ بالله من أسنة الناس . من هي هدى ممدوح حتى يهتم بها ابني ؟ قالت -

وأنا أعرف أنها تكايدني - قالت : لا بأس بالفتاة . انها جميلة . قلت جميلة لأمها وأبيها . الله يستر

عليها . ولكن أرجوك ألا تعيدي مثل هذا الكلام . فقالت : هذا ما سمعته من أناس يرونهما معا .

قلت : مستحيل . انها محسوبة قريبتنا فهي أحيانا تزورنا . ولكن ما دخل ذلك بالزواج ؟ فقالت : لا

يا أم خليل ، المسألة ليست مسألة قرابة وزيارة . المسألة - »

فقال مازن : « كفى يا أمه » .

فرفعت يدها في حركة عنيفة وقالت : « لا أريد أن أسمع مثل هذه الأقاويل أبدا . ومن هي

هدى ممدوح حتى يقرنوها باسمك ؟ معلمة أطفال ! لقد تقطعت يدا أبيها في تصليح سيارة

المرحوم أبيك ، وزيادة في الازعاج أراها في السيارة جالسة بقربك ! لحظة خاطفة ولكنها كانت

كافية . يجب أن تقطع أسنة الناس . سيقولون صام وصام وأفطر على بصلة . هذا ما سيقوله

الناس » .

لم يقل رافد شيئا . ظل متكننا بعجزه على ظهر أحد الكراسي ، وقد كتف ذراعيه ، كأنه

يجعل من كلام أمه أمواجاً تمر به وتغمره ، ولكن رأسه طاف فوقها ، ثم جاءت موجة أخيرة : « أنت

طبيب الآن . حافظ على مركزك ! » .

ونفضت أمه من كرسيها وهرولت الى غرفتها مغضبة . أما مازن فقد ظل جالسا في كرسيه

بادي الحرج ، كأنه يريد أن يقول شيئا ولكنه يخشى اثارة أخيه . ثم قال : « لا تزعل يا أخي . أنت

أدري بعقول النساء » .

فقال رافد : « تقوم الدنيا وتقع ، يفجرون القنابل المؤقتة بالبراميل في شوارعنا ،

يهددوننا بالمحق والدمار ، والنساء اللواتي مثل أمي ما زلن يفكرن بالمركز الاجتماعي والفوارق

الطبقية » .

- ولكنها تفعل ذلك لمصلحتك . اني معك في كل شيء كما تعلم ولكن قضايا الزواج شيء آخر . ثم من قال انك تريد الزواج من هدى ؟ سيتلطح اسمها بين الناس بعد قليل ، وقد تفقد وظيفتها كمعلمة ، ثم يضعون اللوم كله عليك .
- بحياتك كفى يا مازن ، لن أقبل تدخل بشؤوني الشخصية .
- حتى من أمك وأخيك ؟
- ولا من أحد .
- تذكر انك في القدس ، في بلد عربي . أنت لست في لندن أو نيويورك .
- أشكر لك النصيحة .
- قالها رافد ، واتجه نحو المكتبة . فتبعه أخوه الى الغرفة الصغيرة التي هي صدفه رافد ، مملكته الصغيرة وبيت أسرارته ، وقال : « أتذكر حكاية أختها ؟ »
- فانزعج رافد والتفت اليه محتدا : « وما شأن أختها ؟ » .
- لقد عالجتها عندما جرححت في حادثة القنبلة .
- ثم ماذا ؟
- ولكن بعض ذوي الألسنة الشريرة علقوا بأنك أوقعتها في حبك .
- فتأفف واستلقى على الصوفا (وهي ما زالت تحمل أثر هدى : فقد خيل إليه أنه يشم بقايا عطرها) قائلا : « مسكينة ثريا . كادت تفقد إحدى ساقها . ولكن الناس يستطيعون الايلاء أكثر من العطف ، فلم يفرحوا لشفاؤها بل بحثوا عن القذارة قبل كل شيء » .
- وفجأة تذكر جمجمة الحمار (التي كانت قد حيرت ثريا حين أصر على غسلها) وأزجى إليها نظرة وقد استقرت على أحد رفوف المكتبة بمحجرين أجوفين ، وقواطعها العليا مطبقة على الفك الأسفل الطويل بعناد وصلابة ، وأرهمف :
- « أترى هذه الجمجمة بين الكتب ؟ هذه الكتب كلها لا تتنفس الا أنفاس الشك والتساؤل . والجمجمة هي اليقين الوحيد في عوالم الشك والتساؤل هذه كلها . الموت هو اليقين ، ولعل العكس صحيح أيضا ، اليقين هو الموت . أما الحياة فهي الشك . أنا لا أعلم ان كانت ثريا وقعت في حبي أم لا ، ولا أعلم ان كنت أحب هدى أم لا . ومن كل أمر في حياتي أنا في شك . لا يقين الا في الموت - أو تحدي الموت . عندما أرى جماعة من شبابنا يدرجون برميلا من الديناميت في حي يهودي جوابا على فتك اليهود بنسائنا في سوق الخضرة ، أدرك أن هناك من بلغ يقينا في حياته . أما البقية - » .
- ولكن يا رافد ، قضية فتاة تعرض نفسها -
- للوم الناس ؟ أمر غير مهم .

- طيب ، طيب .
- أتعرف عبارة هاملت المشهورة ؟
- أي عبارة ؟
- « بوسعي والله أن أعيش في قشرة جوزة وأعد نفسي سيد الرحاب التي لا تحد ، لولا أنني أرى أحلاما مزعجة » .

فهز مازن برأسه غير فاهم ، وقد ينس من حديث أخيه .
ثم قال رافد : « اننا نرى أحلاما مزعجة . متى سنخرج من قشرة الجوزة ؟ »
فأجاب أخوه وقد ضاق صدره : « أفهم أُمي هذا الكلام - ان استطعت » وخرج من المكتبة .

* * *

- كيف كانت المحاضرة ؟
- لا بأس .
فضحكت ثريا ضحكة ساخرة وقالت :
- انك تعيدين دوري من جديد .
فانتصبت هدى في جلستها وقالت :
- ماذا تقصدين ؟
- جعلت تكذابين كما كنت أكذب مرة بعد أخرى .
لم تكن في النادي أية محاضرة الليلة .
- يعني ؟
فلم تجب ثريا للحظتين ثم قالت بصوت منخفض ، وقد ركزت عينيها في عيني أختها :
- كنت مع الدكتور رافد .
فأصفر وجه هدى وقالت هامسة :
- هس ، لئلا تسمعك ماما .
فأحست ثريا برجفة في يديها وركبتيها حاولت تغطيتها ، وحاولت ما استطاعت أن تمنع التهديد من الظهور في صوتها اذ قالت ، وقد صممت على القذف بكل ما يفور في دماغها :
أتعرفين لماذا فسخت خطوبتي ؟
- لأن خطيبك كان نذلا .

- لا يا هدى . لم يفسخ شكري الخطبة الا للسبب المألوف الذي يسعى الجميع في اخفائه .
لقد فسحها لأنه عرف بعلاقة لي سابقة مع رجل آخر ، والرجل الآخر هو ... رافد .
وقع الاسم كصفعة على خد هدى - صفعة قوية يمتزج فيها الألم والاهانة .

- رافد ؟
- لم تدم علاقتي برافد أكثر من خمسة أسابيع أو ستة بعد أن عالج ساقى ، ولكنها كانت كافية لتحطيم حياتي .
- ثريا حبيبتي ، أرجوك ألا تبالغي .
- لا لست أبالغ ، بل مهما قلت ومهما فعلت فلن أستطيع إلا إعطاء صورة مصغرة عما حدث لي . لم يعرف أحد منكم في البيت أي نار كنت أتقلب فيها .
- ولكن هدى استعادت عبارة أختها لتكتشف معناها من جديد :
- علاقتك برافد ؟ رافد ؟ متى ؟ كيف ؟
- قبل خطبتي بأيام . ذهبت اليه وقلت له : رافد أتعرف شكري الجاسم ؟ فقال : نعم . قلت انه يريد أن يتزوجني . وإذا بوجهه يشرق ، وعينيه تلتصعان ، كأني بشرفته بأشهى ما يتمناه ، وقال : تزوجيه ، انه شاب ممتاز !
- ولكن هل كنت تحبينه - أعني هل كنت تحبين رافد ؟ وهل كان يعلم ذلك ؟
- أجل يا هدى . لقد أحبيته كالمجنونة .
- وهل قال انه يحبك ؟
- طبعاً . وهذا ما لم أفهمه قط . كنت أقول لنفسي أنني أحب أعظم رجل في الدنيا ، وسوف أفعل أي شيء يريده مني . وصممت على المطالعة المتواصلة لأكون أهلاً له . أتذكرين الكتب التي كنت أجيء بها كل يوم وأنكب على قراءتها ؟ لقد كانت كتبه . والحفلات الموسيقية والمحاضرات التي جعلت أذهب إليها كلما سمعت بأن هناك حفلة أو محاضرة ؟ كان يتحدث عن أمور لا أفهمها ، ويملاً أحاديثه بأسماء يغيظني ألا أجد معنى لها ، وهي لديه كل شيء . فأقول طبعاً ، لقد درس وتثقف في الجامعة الأمريكية ، وأنا لم أدرس إلا في مدرسة ثانوية هنا . كنت أتهرب من عملي في المدرسة لأقضي معه ساعة أو ساعتين . ولكن - لم أستطع فهم موقفه مني . قلت له يوماً : كيف تشعر لو مت فجأة ؟ فقال : لا تكوني سخيطة . فأصررت على سؤاله : أتحنن جداً لو مت ودفنت ؟ فقال : لماذا تسأليني سؤالاً سخيلاً كهذا ؟ وللحال وجدنتي أبكي بين يديه ، وقلت : لست أدري ، أشعر أنك لن تهتم كثيراً بي ولو واراني التراب . وفي الحقيقة كنت أريد إيلامه ، فلم أولم إلا نفسي وتمنيت الموت لأنني أعرف أنني - أوه لست أدري . ثم كان يقبل علي ويعانقني .
- (تصورت العناقات بشدة ووضوح ، وتذكرت كيف كانت ركبناها تنويان اذا كانت واقفة فتداعى بين ذراعيه ، وتشتهي لو يقطع جسمها عضوا عضوا ، وتسأله باستمرار أتحبني ، وهو لا يجيب إلا بلمسات تخف وتعنف ثم يلقي بها عنه) .
- ويقول أنه يحبني وأنه لم يعرف فتاة مثلي ويطري على عيني وذراعي .

(كان يغضبها انه لا يمدحها ولا يبدي همه الا بتقبلها أو لمساها) .
ويقول أن خدي صقيلان مثل .. (لم تستطع أن تتذكر شيئاً صقيلاً لمقارنة خديها به) ..
أوه حبيبتي هدى لن تعلمي ماذا فعل بي رافد ...

اجتمعت في صدرها آلام أشهر طويلة من الجفاف ، وأخذت عليها الشفقة على النفس ، إذ شعرت بأنها ضحية هوت عليها السكاكين - لقد أحست بالطعنات في صدرها وأحشائها - فتفجرت عينها بدمع ثقيل سخين جرى على خديها متواصلا ، وتفلّع وجهها خطوطا رسمها الأرق ، ونشجت نشيجا طغى على ألفاظها .

غير أن هدى لم تتحرك ولم تقل شيئاً وهي تنظر الى بكاء أختها . سألتها :
« ثم ماذا ؟ »

فجاءت كلمات أختها متقطعة بدمعها :

« ثم .. لم يكن لي الا .. » وأحجمت عن قول ما عن لها فجأة في تلك اللحظة ، فترددت ونشجت ثم أكملت : « الا الانزواء والصمت . والآن جاء دورك » .
وبقيت هدى على د - حتها جامدة العينين ، ثابتة الوضع ، الى أن كفت ثريا عن در دمعها ،
فقالت :

« قبل ساعتين طلب مني رافد أن أتزوجه » .

فرفعت ثريا عينها الحمراءين وحدقت بعيني أختها :

- وماذا كان جوابك ؟

- أجبته بالموافقة .

فكادت ثريا تصرخ ، غير أنها حبست الزعيق في حلقها لئلا تسمعها أمها وقالت بحشيرة :
« أتوافقين على الزواج من رجل خليع ؟ رجل يقابل النساء سرا في عيادته ؟ رجل أحب أختك وحطمها ؟ » .

- ولكن لم تخبريني بذلك من قبل .

- والآن وقد علمت ؟

- لست أدري .

- لست تدريين ؟

- لست أدري .

- طبعاً تحبينه .

- لست أدري .

- لا شك أنه أسمعك أنواع الاطراء ، وأنواع الغزل ، وأنواع الفلسفة التي تبهرك لانك لا

تفهمينها . يجب أن ترفضى لا الزواج منه فحسب ، بل رؤيته أيضا .

- لا أظن أنني أستطيع .

- هدى ، هدى ، هدى ..

- شش ، ثريا .

وطئت أذنا ثريا طنينا ثقيلا كأن رأسها طبل تدق به العصي ، وتررت أن تقذف بأخر قنبلة تستطيع القذف بها في وجه أختها : « لن تعلمي هول الحبل بلا زواج . ولن تعلمي هول الاجهاض .. »

وانكفأت بوجهها على الوسادة لتدفن فيها نשיجا راح يهز بدننها هزاً عنيفاً ، وأختها جالسة على سريرها لا تبدي حراكا ولا تدري ماذا تقول .

كانت الساعة بعد الحادية عشرة صباحا ببضع دقائق وقد فحص الدكتور رافد خمسة مرضى منذ أن وصل الى العيادة . ثم جعل يكتب بخطه الصغير :

« لن تسمح أُمي بزواجي من هـ . من السهل جدا فهم الدوافع في مثل هذا الرفض . الزواج الناجح في رأيها هو الزواج الذي يتكافأ فيه الطرفان اجتماعيا وماديا مهما قال المحبون عكس ذلك . هذا اعتقاد لن تتزحزح أُمي عنه . وهو الى حد ما أمر معقول .

« ولكن هناك دائما الشاذ الذي يحطم كل قاعدة ولا يعمل بالمقاييس المألوفة ، فتنتفح به امكانيات للحياة جديدة . وأنا يهمني أن أبرز السخف في كل قاعدة اجتماعية ، والأأخضع للمألوف مهما تكن النتيجة ، وأن أجعل الناس - أُمي ، أخي ، الأقارب ، الأصدقاء ، الزملاء ، المعارف ، قراء الجرائد ، رواد السينما ، وغيرهم - ينبهرون وينزعجون ، ولو لمدة ما ، ويعودون الى تفحص « قواعدهم » التي يعيشون بموجبها ليروا ما فيها من عطب . الخارجون على المألوف هم الذين يطورون المجتمع .

« يعجبني أن هـ . ليست كثيرة التساؤل ولا كثيرة التأمل . هـ . تفكر بحواسها لا برأسها ، بعكس ث . لن تسمح هـ . لخيالها بالجموح بها ، ولكنها تتمتع دائما بما هو أمامها وبين يديها . أما ث . فلن تهنا إلا بتباريح خيالاتها وآلام تصوراتها . ولها من قوة الخيال ما يقنعها بحقيقة أوهامها ، ومتعتها هي في تصديق تلك الأوهام . من قبلتين خلقت لنفسها مأساة ، وجعلت تسألني كيف يكون شعوري لو وجدتتها ميتة بين ذراعي ! من ألف قبلة لن تخلق هـ . الا ملهاة ضاحكة فتقول : غدا أبحث عن ألف قبلة أخرى في مكان آخر . اذا تزوجتها فقد تزوجت نقيضا لي لا يأتبه للتحليل ولا للنظريات . ولا أستبعد امكانية خيانتها لي مع أي من أصدقائي - اذا كان جميلا . أما ث . فالويل لي من تشبثها والفسق الذي يعيث في دماغها ! »

بعد أن كتب ذلك صاح بمضمده : « عبد ! »

- نعم دكتور .
- هل من أحد في غرفة الانتظار ؟
- سيدتان .
- أدخل الأولى .
- أودع ورقاته الدرج ثم أقفله ، ولما دخلت المرأة قام لها مرحبا : « أهلا وسهلا . تفضلي اجلسي هنا ، كيف حالك ؟ »
- وما كادت المرأة تفتح فمها حتى دخل المضمّد وهمس بأذنه :
- « تقول السيدة الأخرى انها ليست مريضة وانها تريد رؤيتك في الحال » .
- فقال بلهجة حازمة :
- « قل لها انني سأراها بعد دقيقتين » .
- وانصرف الى المريضة .
- ولكن قاطع المريضة هذه المرة جرس التلفون .
- فتناول الطبيب السماعة وقال بكل رزانة : « هالو » .
- فجاءه صوت نسائي أشبه بالنشيج : « الدكتور رافد ؟ »
- نعم .
- من فضلك تعال الينا في الحال . أرجوك .
- من الذي يتكلم
- أم ثريا وهدي .
- فوجب قلب رافد بشدة فجائية ، غير انه حافظ على هدوء نبرته : « خير ، خير ؟ »
- ثريا .. دكتور ، ثريا ما قامت من نومها حتى الآن ... وهي صفراء ، صفراء جدا ،
- دكتور ... لا نعرف ... اذا كانت ..
- فقاطعها بلهجة الطبيب الواصل مما يجب عمله في كل حالة : « لا تمسوها الى أن آتي » .
- ولكن دكتور ... بحياتك ... أسرع ... لأنني خائفة انها ...
- لا بأس لا بأس . سأأتي في الحال .
- وأعاد السماعة الى مكانها قبل أن يعيد الصوت تكرار المخاوف ، وهو يقول لنفسه : « يجب ألا أبدي لهذه المريضة أي اضطراب أو امتقاع في اللون » . ثم قال بلهجة الطبية :
- « اسمك من فضلك ؟ » وانصرف الى تدوين ما تشكو منه المريضة ، ثم طلب اليها ان تضطجع على سرير الفحص وهو يفكر : يجب أن أعطي كل مريض حقه مهما كانت حالتي

الذهنية .

وحالما فرغ من كتابة الوصفة وخرجت المريضة نزع عنه معطفه الأبيض واذا بعبد يفتح الباب ويومئ الى الزائرة الأخرى ويقول : « تفضلي » .
وكانت الداخلة هدى .

فقال وهو يجمع أدواته في الحقيبة السوداء الصغيرة :
« صباح الخير ، هدى ، آسف انني لم أكن أدرك أن المسألة مستعجلة جدا » .

- ولكن أراك تريد الخروج ؟

- الى بيتكم . خابرتني أمك بالتلفون قبل دقائق .

- أمي ؟ ما دخل أمي بالأمر ؟ هل أخبرتها ثريا ؟

فتوقف رافد عما هو فيه ونظر اليها نظرة حادة :

- أليست قادمة من البيت ؟

- لا ، من المدرسة .

- اذن ألا تعرفين أن ثريا ..

- ما بها ؟

- فاقدة الوعي منذ ساعات ؟

فضغطت على حقيبة يدها بأصابع متشنجة وقالت : « هذا تطور جديد . عندما غادرت الدار في السابعة والنصف كانت ثريا نائمة - أو هكذا حسبتها - فلم أزعجها » .
- لنذهب بسرعة .

وأخذها من يدها ، وجرها الى الخارج جرا .

* * *

انقضى النهار ورافد وزملاؤه الأطباء الثلاثة الذين استدعاهم الى المستشفى ، حيث نقلت ثريا ، في استشارات متصلة وعمل دائب ، وفي الرواق خارج غرفتها عدد من النساء والرجال حول أم ثريا وأبيها في قلق وتساؤل يتراوحيان بين الجهر والهمس .

- لم تفق بعد .

- ستفوق بعد قليل .

- فرغوا معدتها .

قيأوها .

حقنوها .

- لم ترمش عيناها .

- صفراء ، ولا تتنفس .
- تتنفس قليلا .
- سم ؟
- اليود قتال .
- حبوب النوم قتالة أيضا .
- تتوقف على الكمية .
- أربع وعشرون ساعة ؟
- لا شيء ، قد تظل ثلاثة أيام .
- سيقتلها الجوع ، ولكن سيطعمونها بالأنبوب .
- وهي فاقدة الوعي ؟
- عجيب ، عجيب .
- وانتصف الليل والمرضات يحملن أوعية من مكان الى آخر ، ورافد يروح ويجيء والأطباء الثلاثة يخرجون ويدخلون .
- وكلما رأى أبو ثريا رافد يسأله :
- « هل ستعيش يا دكتور ، هل ستعيش ؟ »
- فيقول رافد : « يتوقف عليها ، ولكنني أعتقد أنها ستعيش » .
- وانصرف أكثر الزائرين ولم يبق في الرواق الا والدا ثريا ، وهدي .
- ولأول مرة في تلك الساعات كلها شعر رافد بوجود هدي . كانت صامته فوقف معها قرب والديها ، وأخرج سيكارة وأشعلها ، ولم يقل شيئا .
- فقال ممدوح بصوت خافت ، بلهجة من يعترف بسر لرجل يأتمنه : « دكتور ، أنت قريبنا ، ولذلك أحب أن أستاذشيرك ، تدري أن ثريا فسخت خطبتها قبل مدة . أعتقد أنها فكرت في الانتحار بسبب ذلك ؟ »
- فسحب رافد نفسا عميقا من سيكارته ، وقد أحس بالاعياء : « كل شيء جائز » .
- فقال الأم : « ثريا حساسة جدا ، وكثومة ، ولكن عشرات الفتيات يخطبن ثم تنفسخ خطبتهن ، ما كنت أتصور أنها حساسة لهذه الدرجة » .
- فقال رافد : « هناك عوامل كثيرة في قضية كهذه ، منها الظاهر ومنها الخفي . ولعلنا لا نعرف الا الظاهر منها ، وهو الأقل أهمية » .
- وفجأة ارتدى ممدوح على ركبتيه عند قدمي رافد ، وأمسك بيده وراح يقبلها ، وقال ، وقد انفجر بكأوه من حلقه ذبيحا يائسا : « بجاه الله وبجاهك ، خلصها ، ورحمة والدك خلصها ... » .
- فجر رافد يده بعنف وأمسك بكتفي ممدوح وأنهضه على قدميه ، وقال له : « أؤكد لك أنها

ستعيش . ستعيش .
وانسحب الى غرفة ثريا . ولما حاول ممدوح اللحاق به أوقفه بالباب وقال : « لا . لا تدخل الآن . بعد قليل . بعد قليل . الهدوء من فضلك » . وسد الباب .
ودنا من الجسد المستلقي أمامه دون حراك ، وأمسك بالرسغ وجس النبض . غير أنه أجفل حين أحس بظل يسقط عليه ، فالتفت وإذا هدى بوجهها الجامد تقول :
- هل كنت تحبها ؟
فقال بثبات : « لقد جاعتي عدة مرات » .
- هل كنت تحبها ؟
- لا .
- هل حبلى منك ثم أجهضت ؟
فشعر كأن الدم سيتفجر من رأسه غيظا : « من أين لك هذا القول ؟ »
- منها هي .
- منها ؟ وهم من أوهامها .
- وهم ؟ ألا تراها انتحرت لانها عرفت أنك تحبني ؟
لقد اعترفت لي بكل شيء ليلة البارحة .
- بماذا ؟
- بعلاقتكما .
- لم أمسها . لقد قبلتها . نعم . ولكنني لم ، لم أمسها قط . بعد ساعات ستعود الى وعيها ، بعد أن لفتت أنظار العالم الى تعاستها ، وسنرى .
- إذن لم تحبها ؟
فالتفت الى وجه ثريا الأصفر المستقر في الوسادة البيضاء وقال : « هذه مأساتها . لم يحبها أحد » .
ثم عاد فنظر الى هدى وقال : « هل ادعت أنها حبلى وأجهضت ؟ »
- نعم .
فصمت رافد متجهما ، ثم قال ببطء : « أؤكد لك أنها ما زالت عذراء . وأؤكد لك أنها لم تأخذ من حبوب النوم ما يكفي لموتها . وإذا ما أفاقنا وشفيت أرجو أنها ستعترف لك بالحقيقة » .
وفجأة انتفضت ثريا في فراشها مجعدة الوجه ، وقد انشدت زاويتا فمها الى الاسفل ، وتقطب حاجباها ثم رمشت أجفانها الزرقاء ، وأنت أنينا خافتا جعل رافد يدور على عقبه ، ويقفز صوب الباب . غير أن هدى أوقفته وقالت : « الى أين ؟ » .
فوقف رافد مكانه ويده على مقبض الباب وقال : « لأبشر والديك بحياة ثريا » . ثم ضحك

وأضاف هامسا : « ولأطلب منهما حياة هدى - واحدة بواحدة » .
وأنت ثريا مرة أخرى وهدى تجيب هامسة في شدة عصبية :
« لا ، لا ، لن تفعل ذلك ! لن تطلب حياتي - ولو أنني مستعدة الآن للقفز بها في البحر من أجلك » .

وأقبلت على سرير أختها لترقبها وهي تفتح عينيها بلأى وجهه ، بينما فتح رافد الباب وقال للوالدين القاعدين في الرواق : « أفاقت ثريا ! »
* * *

- ليتها ماتت !
- لا أقبل منك هذا الكلام .
- طبعاً لا تقبلينه ، لأنني طبيب ، ولأنك أم الطبيب الفخورة بالطبيب .
- لقد أرهقت نفسك يا ابني . لا بأس ، لا بأس .
- لا بأس بماذا ؟
- بغضبك عليّ .
- اذن لن تعترضني على زواجي من هدى ؟
- رافد ، أظلمت أسهر في انتظارك حتى الثانية صباحاً لتأتيني بذكر هذه البنت من جديد ؟
ألا ترى ماذا فعلت أختها ؟ تنتحر وتعرض نفسها لكل أنواع القيل والقال ؟
- ولكنها لم تمت . لقد أعدناها الى الحياة .
- من يدري أي مأزق كانت فيه ؟ ومع ذلك لا تتردد أنت -
- لا بأس ، أنا ميت من التعب . لقد بحثت ذلك كله مع هدى قبل مغادرتي المستشفى .
- رح نم يا بني . لأنهم سيحتاجون اليك في النهار .
وذهب رافد الى غرفة نومه وأضاءها وجعل ينزع ثيابه . ولما لبس بيجامته ، أطل من الباب عبر الرواق ، فوجد أن أمه ما زالت جالسة مكانها في غرفة الاستقبال . فعاد اليها وقال :
« أتدريين لماذا انتحرت ثريا ، أو بالأحرى لماذا حاولت الانتحار ؟ »
- لا يهمني أمرها كثيراً .
- لتحقق ما تريدينه أنت .
- لست أفهم .
- لكي تمنع زواجي من هدى .
- هي تمنع زواجك من هدى ؟ لم أفهم بعد .
- وقد نجحت . لقد أرهبت أختها بأن استحضرت شبح الموت وزرعت بيني وبين هدى . ولذا

فأن هدى تخشي الزواج مني الآن . شيء عظيم . يجب أن أسجل ذلك في ملاحظاتي الطبية .
أترين ؟ جعلت ثريا من مرضها ذريعة للهجوم ، فخرجت منتصرة . واستفدت أنت من حيث لا تعلمين
ولا هي تعلم . تصبحين على خير . أرجوكم الا توقظوني قبل العاشرة .

- رح نم حبيبي . تصبح على خير .

وقامت أمه المجللة بالسواد واتجهت نحو غرفة نومها (وهي تقول لنفسها : انه متعب .
سأسأله غدا ما الذي يعنيه بهذا الهذر) وتبعها رافد . وبحركة من أصبعه أطفأ النور في غرفة
الاستقبال . ثم أطفأه في الرواق . ثم أطفأه في غرفته . وتلمس طريقه الى الفراش في الظلام .

من مجموعة عرق وبدايات من حرف الياء

من الشعر العربي القديم

معلقة زهير بن أبي سلمى المزني*

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلِّمِ^(١)
 وَدَارَ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَا جِيْعٌ وَشُمٌ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمِ^(٢)
 بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَهُ وَأَطْلَانُ مَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ^(٣)
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرَيْنِ حِجَّةً فَلَيْلَاءُ عَرَفْتُ الدَّارَ بِعَدِّ تَوْهَمِ^(٤)
 أَثَافِي سَعْفًا فِي مَعْرَسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَنْتَلِمْ^(٥)
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا انْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمْ
 تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَانٍ تَحْمَلُنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ^(٦)
 جَعَلَنَ الْقَنَانُ عَنْ يَمِينٍ ، وَحَزْنُهُ وَكَمَ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحَلٍّ وَمُحْرَمِ^(٧)
 عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهِةَ الدَّمِ^(٨)
 ظَهَرْنَ مِنَ السُّوَيَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشْيِبٌ وَمُقَامِ^(٩)
 وَوَرَكْنٌ فِي السُّوَيَانِ يَعْلَوْنَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَ دُلُّ النَّاعِمِ الْمَتْنَعَمِ^(١٠)
 بَكْرُنَ بَكْرًا وَأَسْتَحْرَنَ بِسُحْرَةٍ فَهَنْ وَوَادِي الرِّسِّ كَالسَّيْدِ لِلْفَمِ^(١١)

* زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني : ولد في بلاد مزينة قرب المدينة وهو من الشعراء الجاهليين أصحاب المعلقات . تسمى قصائده بـ (الحواليات) إذ أنه كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقحها على مدار سنة . وقد كان والده وخاله شاعرين ، وكذلك كانت أخته سلمى وابناه كعب وجبير . يعتبر حكيم الشعراء لما ورد من الحكمة في شعره . توفي نحو عام ٦٠٩ ميلادية .

(١) أم أوفى : زوجة الشاعر - حومانة الدراج والمتلثم : اسم لمكانين .

(٢) الرقمتان : حرتان أحدهما قريبة من البصرة ، والأخرى قريبة من المدينة - نواشر المعصم : عروق المعصم

(٣) العين : هي البقر ذات العيون الواسعة - الأرام : مفرد ما رثم وهي الظباء ذات اللون الأبيض

(٤) الحجة : السنة

(٥) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور - سعفا : سوداء

المعرس : المكان الذي تنصب فيه القدور - المِرْجَل : القدر

النؤي : خندق صغير يحفر حول البيت لتجري فيه مياه الأمطار فلا تدخل البيت - الجذم : الأصل

(٦) جرثم : اسم عين ماء

(٧) القنن : اسم جبل لبني أسد - الحزن : كل ما غلظ من الأرض وكان مستويا

(٨) العقمة : الثياب الحمراء اللون

(٩) السويان : الأرض المرتفعة ، وهو هنا اسم جبل - جزعنه : قطعنه - القشيب : الجديد - المقام : الموسع

(١٠) وركن : ركن أوراك الدواب

(١١) بكرن بكورا : سرن بكرة - وادي الرس : اسم مكان

وفيهن ملهى للصديق ومنظر
 كأن فتات العهن في كل منزل
 فلما وردن الماء زرقاً جاماً
 سعى ساعياً غيظاً بن مرة بعدما
 فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله
 يميناً لنعم السيدان وجدتما
 تداركتما عبساً وذبيان بعدما
 وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً
 فأصبحتما منها على خير موطن
 عظيمين في عليا معد هديتما
 تعفى الكوم بالمتين ، فأصبحت
 يُجْمهُن قوم لقوم كرامة
 فأصبح يجري فيهم من تلادكم
 ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة
 فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
 يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
 وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

أنيق لعين الناظر المتوسم
 نزلن به حب الفنا لم يحطم^(١٢)
 وضغن عصي الحاضر المتخيم^(١٣)
 تزل ما بين العشرة بالسلم
 رجال بنوه من قريش وجرهم^(١٤)
 على كل حال من سحيل ومبرم^(١٥)
 تفانوا ، ودقوا بينهم عطر منشم^(١٦)
 بمال معروف من القول نسلم
 بعيدين فيها من عقوق ومائم
 ومن يستيح كنزاً من المجد يعظم^(١٧)
 يُجْمهُن من ليس فيها بمجرم^(١٨)
 ولم يهريقوا بينهم ملء محجم^(١٩)
 مغانم شتى من إفال مزتم^(٢٠)
 وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
 ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
 ليوم الحساب ، أو يعجل فينقم
 وما هو عنها بالحديث المرجم^(٢١)

- (١٢) فتات العهن : قطع الصوف المصبوغ - حب الفنا : عنب الثعلب
- (١٣) جامه : جمع جم الماء وجمته
- (١٤) قريش وجرهم : قبيلتان من قبائل العرب
- (١٥) السيدان : هرم بن سنان والحارث بن عوف ، وقد مدحهما الشاعر لاتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى أثر حرب داحس والغبراء - السحيل : كل ما قتل على طاق واحد - المبرم : كل ما قتل على طاقين ، ويقصد هنا الحال الضعيف والحال القوي
- (١٦) عبس وذبيان : من قبائل العرب - منشم : اسم لامرأة تباع العطر ، اشترى قوم منها جفنة من العطر ، وتعاقدوا وتحالفوا ، وجعلوا آية الحلف غمسهم أيديهم في ذلك العطر ، ثم قاتلوا عدوهم الذي تحالفوا لقتاله ، فقتلوا عن آخرهم ، فتطير العرب بمنشم ، وتشاعروا بعطرها ، فأصبحت مثلاً . وهناك رواية أخرى هي أن عطاراً كان يشتري من العطر ما يخط به الموتى ، فسار المثل بعطره
- (١٧) معد : من قبائل العرب
- (١٨) تعفى : تمحى - المتين : المتين من الابل
- (١٩) المحجم : آلة الحجام
- (٢٠) التلاد : المال القديم - إفال : مفردا أفيل وهو الصغير السن من الابل - المزتم : الذي له زمة
- (٢١) المرجم : الحديث المرجم الذي يرم فيه بالظنون

مَتَى تَبْعَثُوهَا ، تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً
فَتَقْرِكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا
فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشْنَأُ كُلِّهِمْ
فَتُغْلِلَ لَكُمْ مَا لَا تُغْلِلُ لِأَهْلِهَا
لَعَمْرِي لَنَعْمَ الْحَيَّ جَرُّ عَلَيْنِهِمْ
وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكْنَةٍ
وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقِي
فَشْدٌ وَلَمْ يُفْزِعْ بِيُوتاً كَثِيرَةً
لَسَى أَسَدٌ شَاكِي السِّلَاحِ ، مُقَدِّفٌ
جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ
رَعَوْا ظِمَامَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
فَقَضَوْا مَنَایَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمٍ نَوْفَلٌ
فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ
لَحْيٌ جِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ
كَرَامٌ فَلَانُوا السُّغْنِ يَدْرُكُ تَبْلَهُ
سَمِعْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ

وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضُرُّ
وَتَلْفَحُ كَشَافاً ثُمَّ تَنْتِجُ فَنْتِجُ (٢٢)
كَأَحْمَرَ عَادَ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطُرُ (٢٣)
قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفَايِزٍ وَدَرَاهِمِ (٢٤)
بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بَنُ ضَمْضَمِ (٢٥)
فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ (٢٦)
عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مَلْجَمِ
لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ (٢٧)
لَهُ لِبْدٌ ، أَظْفَرُهُ لَمْ تَقْلَمِ
سَرِيعاً ، وَلَا يُبْدَ بِالظَّلْمِ يَظْلَمِ
غِمَاراً تَقْرَى بِالسِّلَاحِ وَبِالْدَمِ (٢٨)
إِلَى كُلِّ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ
دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثْلَمِ
وَلَا وَهَبِ مِنْهُمْ وَلَا ابْنَ الْمُخْزَمِ
صَحِيحَاتِ مَالٍ ، طَالِعَاتِ بِمَخْزَمِ (٢٩)
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ (٣٠)
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يَسْأَمُ

(٢٢) الثفال : خرقه أو جلده تبسط تحت الرحى ليقع الطحين عليها - الكشاف : هو أن تلقح النعجة في السنة الواحدة مرتين

(٢٣) احمر عاد : هو ثمود الذي عقر ناقة صالح واسمه قدار بن سالف .

(٢٤) القفيز : المكيال

(٢٥) جر : جنى والجريرة الجناية - حصين بن ضمضم : رجل من بني ذبيان كان قد قتل أخوه هرم بن ضمضم على يد ورد بن حابس العبسي ، فلما كان الصلح بين القبيلتين ، استقر حصين لثلاثي طالبت بالدخول في الصلح ، وكمن حتى ظفر بأحد العبسين ، فقتله ، فثارت بنو عبس ، ولكن الأمر استقر بين القبيلتين على عقل القتيل

(٢٦) طوى كشحا : أضمر عداوة (٢٧) أم قشعم : الموت (٢٨) تفرى : تشقق

(٢٩) يعقلونه : من العقل ، وهي دفع دية القتيل المخزم : الطريق في الجبل

(٣٠) تبله : التبل الحقد وجمعها تبول

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءُ ، مَنْ تُصِيبُ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُبْخَلُ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يَسُوفُ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يَهْدُ قَلْبُهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلَنَّهُ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَعْصِرُ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ قَوَادِهِ
وَأِنْ سَفَاهَ الشَّيْخُ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ ، وَعَدْنَا فَعُدْتُمْ

وَلَا كُنْتُ عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ
ثُمَّتُهُ ، وَمَنْ تُخْطِئُ يَعْزُزُ قِيَرَهُ
يُضْرُسُ بِأَثْيَابٍ ، وَيَوْطَأُ بِمَشْمِمْ^(٣١)
يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الْبُشْتَمَ يَشْتَمُ
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفْنِ عَنْهُ وَيُذَمُّ
إِلَى مُطْمَئِنَّ السَّبْرِ لَا يَتَجَمِّعُ^(٣٢)
وَأِنْ يَرِقَ أَسْبَابُ السُّمَاءِ يَسْلُمُ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ ، وَيَنْدُمُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذِمِ^(٣٣)
يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَطْلُمُ النَّاسَ يُطْلَمُ
وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَا يَكْرُمُ
وَأِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ، تُعْلَمُ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي السُّكْلَمِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَوْرَةُ اللَّحْمِ وَالْدَمِ
وَأِنْ الْفَتَى بَعْدَ السُّفَاهَةِ يَحْلُمُ
وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسَالِ يَوْمًا سَيُحْرَمُ^(٣٤)

شرح المعلقات السبع للوزني

(٣١) المنسم : طرف خف البعير والنعامة ونحوها

(٣٢) يتجمع : يخفي

(٣٣) الزجاج : هي الحديد الموجود في أسفل الرمح ومفردها زج ، ويقالها السنان - اللهزم : السنان الطويل

(٣٤) التسال : السؤال بمعنى الطلب

لاصية العرب

* للشنفرى

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكُمْ
فَقَدْ حُمْتُ الْحَاجَاتُ ، وَاللَّيْلُ مُقَمَّرُ
وَفِي الْأَرْضِ مَنَائِي لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى أَمْرِي
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ : سَيِّدُ عَمَلَسُ
هُمُ الْأَهْلُ ، لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعُ
وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٍ ، غَيْرَ أَنْتَنِي
وَأِنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةً عَنْ تَفَضُّلٍ
وَأِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنَ لَيْسَ جَازِيًا
ثَلَاثَةُ أَصْنَابٍ : قُوَادُ مُشْيَعُ

فَأَنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَا أَمِيلُ^(١)
وَشَدْتُ لَطِيَّاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ^(٢)
وَفِيهَا ، لِمَنْ خَافَ الْقَلَى ، مُتَعَزِّلُ^(٣)
سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا ، وَفَوْ يَعْقِلُ^(٤)
وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ ، وَعَرْفَاءُ جِبَالُ^(٥)
لَدَيْهِمْ ، وَلَا الْجَانِي ، بِمَا جَرَّ يُخَذِّلُ^(٦)
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ ، أُنْسَلُ^(٧)
بِأَعْجَلِهِمْ ، إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ^(٨)
عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمَتَفَضِّلُ^(٩)
بِحُسْنِي ، وَلَا فِي قُرْبِي مُتَعَلِّلُ^(١٠)
وَأَبْيَضُ إِصْلِيَّتْ ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ^(١١)

- * الشنفرى : هو عمرو بن مالك الأزدي ، شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الثانية . وقد خلعت قبيلته وتبرأت منه ، وقتل على يد رجال من بني سلامة . اشتهر عنه سرعته في العدو حتى أنه قيل عنه : « أَعْدَى مِنَ الشنفرى » . لم يعرف تاريخ مولده على وجه الدقة ، ولكنه توفي نحو عام ٥٢٥ ميلادية .
- (١) أقيموا : فعل ، ماضيه أقام ، ويقال أقام صدر مطيته إذا سار - مطيكم : ناقاتكم - أميل : أميل
(٢) حمت : أصله حمم ، أي تهبأ الشيء وحضر - شدت : قويت
(٣) الطية : الحاجة ، وتعني أيضاً المكان المقصود - أرحل : جمع رحل وهو رحل البعير
(٤) المنأى : الموضع البعيد - القلى : البغض - متعزل : الموضع الذي يعتزل فيه
(٥) راغباً : محباً - راهباً : متخوفاً
(٦) سيد : الذئب - العملس : الخفيف السريع - أرقط : الرقطة هي كل لونين مختلفين ، ويقصد به هنا النمر - الزهلول : الأملس - العرفاء : الضبع طويلة العرف - جبال : اسم الضبع
(٧) ذائع : فاش - جر : جنى جنابة
(٨) الطرائد : مفرد ما طردت من الصيد وغيره (٨) الجشع : الطمع .
(٩) البسطة : السعة - التفضل : الاحسان - الأفضل : الذي يفضل غيره
(١٠) المتفضل : الذي يدعي الفضل على أقرانه
(١١) التعلل : التلهم
(١١) مشيع : الشجاع المقدم - الأصلية : السيف الصقيل المجرد من غمده - الصفراء : صفة للقوس .
- العيطل : القوية طويلة العنق من النوق والخيل

هَتُوفٌ مِنَ الْمُسِ الْمُتُونِ ، يَزِينُهَا
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السُّهُمُ حَنْتٌ ، كَأَنَّهَا
وَأَسْتُ بِمِثْلِهَا فَيُعْشِي سَوَامَهُ
وَلَا جَبًّا أَكْهَى مَرْبٍ بِعَرْسِهِ
وَلَا خَرَقٍ هَيْقٍ ، كَكَأَنَّ فَوَادَهُ
وَلَا خُفٍّ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ
وَأَسْتُ بِعَلٍّ ، شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ
وَأَسْتُ بِمِخْيَارِ الظَّلَامِ ، إِذَا انْتَحَتْ
إِذَا الْأَمْعَزُ الصُّوَانُ لاقى مَنَاسِمِي
أَذِيمٌ مَطَالُ الْجُوعِ ، حَتَّى أُمَيْتُهُ
وَأَسْتُ تَرْبُ الْأَرْضِ ، كَنَيْلَا يَرَى لَهُ
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يُلَفَّ مَشْرَبٌ

رَصَائِعُ ، قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلٌ^(١٢)
مُرْزَاةٌ عَجَلَى ، تُرْنُ وَتُغْوِلُ^(١٣)
مُجْدَعَةٌ سَقْبَانُهَا ، وَهِيَ بُهْلٌ^(١٤)
يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ^(١٥)
يَظْلُ بِهَ الْمَكَاءُ ، يَغْلُو وَيَسْقُلُ^(١٦)
يُرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ^(١٧)
أَلْفٌ إِذَا مَا رَعْتَهُ اهْتَاجَ ، أَعَزَّلُ^(١٨)
هَدَى الْهُوْجِلِ الْعَسِيفِ يَهْمَاءُ هُوْجِلُ^(١٩)
تَطَايَرٌ مِنْهُ قَبَادِحُ وَمُقَلُّ^(٢٠)
وَأَضْرَبُ عَنْهُ الذُّكْرُ صَفْحًا ، فَأَذْهَلُ^(٢١)
عَلَيَّ مِنَ السُّطُولِ أَمْرُقُ مُتَطَوِّلُ^(٢٢)
يُعَاشُ بِهِ ، الْآ لَدَيَّ ، وَمَا كَلُّ^(٢٣)

- (١٢) الهتوف : ومنها الهتف أي الصوت - المس : الملاسة - المتون : الصلبة
- رصائع : الرصعة خرز يعلق على الشيء لئلا تصيبه العين - نيطت : علفت
- المحمل : علاقة السيف وهو السير الذي يتقلد به
(١٣) زل : خرج - حنت : صوتت - المرزاة : كثيرة الرزايا
(١٤) المهياف : الذي يبعد بابله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها ويمشي بها - المجدة : السيئة الغذاء
- السقب : الذكر من ولد الناقة - البهل : مفردا باهل وباهلة وهي المخلاة
(١٥) الجبأ : الجبان - الأكهى : الكدر الأخلاق - مرب : المرب المقيم على امرأته لا يفارقه
(١٦) خرق : الخرق الدهش من الخوف أو الحياء والمقصود به هنا الخوف - هيقي : الهيق هو الظليم وهو ولد النعامة
- المكاء : طائر له صفير حسن وتصعيد وهبوط في الجو
(١٧) الخالف : المتخلف عن الخير أو الذي لا خير فيه - الدارية : الذي لا يفارق داره
- المتغزل : الذي يحدث النساء - المتكحل : الذي يكحل عينيه
(١٨) العل : الرجل المسن الصغير الجسم - ألف : الألف الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف وإنما يلتف وينام
الروح : الفزع - اهتاج : أسرع من الخوف إسراعاً بحمق
(١٩) المخيال : المتحير - انتحت : اعترضت - الهوجل : يراد به الرجل الطويل المتسرع الأحمق
- العسيف : الأخذ على غير الطريق - اليهماء : الغلاة التي لا يهتدى فيها
(٢٠) الأمعز : المكان الصلب الكثير الحصى - الصوان : الحجارة المساء - المنسم : خف البعير
- القادح : ما يخرج معه النار من الحصى - المغلل : المكسر
(٢١) المطال : من المماطلة وهي امتداد المدة - ذهل : نسي
(٢٢) أستف : التهم التراب - الطول : المن - المتطول : الممتن
(٢٣) الذام : ذام ، ذان ، زين ، ذم : كلها بمعنى عاب وحقر

وَلَكِنْ نَفْساً مُرَّةً لَا تَقِيمُ بِي
وَأَطْوَى عَلَى الْخُمْصِ الْخَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ
وَأَغْرَى عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ ، كَمَا غَدَا
غَدَا طَاوِيّاً يُعَارِضُ الرِّيحَ ، هَافِئاً
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَقْوَتُ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ
مُهْلَهَةً ، شَيْبُ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهَا
أَوْ الْخَشْرَمُ الْمُبْعُوثُ حُنْثُ دَبْرُهُ
مُهْرَتَةً ، فَوَهُ ، كَأَنَّ شِدْقَهَا
فَضْجٌ وَضَجَتْ بِالسَّبْرَاحِ ، كَأَنَّهَا
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ ، وَاتَّسَى وَاتَّسَتْ بِهِ
شَكَا وَشَكَتْ ، ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدَ وَارْعَوَتْ
وَفَاءً وَفَاعَتْ بِإِدْرَاتٍ ، وَكُلُّهَا
وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكَدْرُ ، بَعْدَمَا

على الذَّامِ ، الْآرِيئَمَا أَتَحَوَّلُ^(٢٤)
خَيْوطةً مَارِي تَفَارُ وَتُقْتَلُ^(٢٥)
أَزَلُ ، تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ ، أَطْحَلُ^(٢٦)
يَخُوتُ ، بِإِذْنَابِ الشُّعَابِ ، وَيَغْسِلُ^(٢٧)
دَعَا ، فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نَحْلُ^(٢٨)
قِدَاحُ ، بِكَفِّي يَاسِرٍ ، تَتَقَلَّقُ^(٢٩)
مَحَابِيضُ ، أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعْسَلُ^(٣٠)
شَقُوقُ الْعِصِيِّ ، كَالِحَاتٍ وَيُسَلُ^(٣١)
وَأَيَّاهُ نُوْحُ ، فَوْقَ عَلِيَاءَ ، تُكَلُّ^(٣٢)
مَرَامِيلُ عَزَاهَا ، وَعَزَّتُهُ ، مَرْمِلُ^(٣٣)
وَالصَّبْرُ ، إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُورُ ، أَجْمَلُ^(٣٤)
عَلَى نَكْظُ ، مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمَلُ^(٣٥)
سَرَتْ قَرَباً ، أَحْنَاهَا تَتَصَلَّصِلُ^(٣٦)

- (٢٤) مرة : أوبة - ريثما : قد رما
(٢٥) الخمص : الجروع - الخوايا : جمع حوية وهي ما تحوى في البطن اذا اجتمع واستدار - الماري : الفاتل - تغار : يحكم فتلها
(٢٦) أزل : الأزل هو الذئب الأرسع الذي لا أست له - التنايف : الأرض القفار - أطحل : لونه كلون الطحال
(٢٧) الطاوي : الجائع يخوت : ينقض ويختطف - الشعب : الطريق في الجبل - الإذناپ : الأواخر - يغسل : يمر مرأ سهلاً في استقامة
(٢٨) لواه : دفعه - نحل : ضوامر
(٢٩) مهلهلة : المقصود بهذا هنا رقيقة اللحم - القداح : السهام - الياسر : المقامر - تتقلقل : تتحرك وتضطرب
(٣٠) الخشرم : رئيس النحل أو النحل نفسه أو بيت الزنابير - المبعوث : الذي انبعث في السير - دبره : الدبر جماعة النحل - محابيض : مفردها محبض وهو العود الذي يكون مع مشتار العسل يشير به النحل - أرداهن : جاء بهن - سام : السامي الذي يعلو ويرتفع لاشتتار العسل
(٣١) مهرة : مشقوقة الفم شقاً واسعاً - شقوق : مفردها شقوق وهو جانب الفم - كالحات : مفردها كلوح ، تكشر في عيوس - بسل : كرية المرائى
(٣٢) البراح : الأرض الواسعة لا نبت فيها
(٣٣) اتسى : اقتدى - مراميل : مفردها مرميل وهو من نقد زاده
(٣٤) ارعوى : ترك (٣٥) نكظ : شدة الجوع هنا ،
(٣٦) أسارى : المفرد سؤر وهو البقية من الشراب في الإناء - قريا : القرب ورود الماء - أحناؤها : مفردها حنو ، والأحناء هي الجوانب

هَمَمْتُ وَهَمْتُ ، وَابْتَدَرْنَا وَاسْدَلْتُ
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِه
كَانَ وَغَاهَا ، حَجَرَتِي ، وَحَوْلَهُ
تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ ، فَضَمَّهَا
فَعَبْتُ غَشَاشاً ، ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
وَالْفُ وَجَهَ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا
وَأَعْدَلُ مَنْحَوْضاً ، كَأَنَّ فُصُوصَهُ
فَبِإِنْ تَبْتَنُّسُ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسْطَلُ
طَرِيدُ جِنَايَاتٍ ، تِيَّاسَرْنَ لَحْمَهُ
تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْطُي عُيُونُهَا
وَالْفُ هُمُومٍ ، مَا تَزَالُ تَعُودُهُ
إِذَا وَرَدَتْ أُصْدَرْتُهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا
فَبِإِذَا تَرَيْنِي كَابِنَةَ الرَّمْلِ ضَاحِيَاً
فَبِإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ ، أَجْتَابُ بَزَّهُ

وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلٌ^(٣٧)
يُيَاسِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلٌ^(٣٨)
أَضَامِيمٌ مِنْ سَفَرِ الْقِبَائِلِ نُزُلٌ^(٣٩)
كَمَا ضَمَّ الْأَوَادُ الْأَصَارِيمَ مِنْهَلٌ^(٤٠)
مَعَ الصَّبِيحِ ، رَكْبٌ ، مِنْ أَحَاطَةِ ، مُجْفَلٌ^(٤١)
بِأَهْدَأُ ، تَنْبِيهِهِ سَنَاسِنٌ قَحْلٌ^(٤٢)
كَعَابٍ دَحَاها لَاعِبٌ ، فَهِيَ مِثْلُ^(٤٣)
لَمَّا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى ، قَبْلَ أُطُولُ^(٤٤)
عَقْيِرَتُهُ لَأَيَّهَا حُمٌ أَوَّلُ^(٤٥)
حِثَّاشاً ، إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلَّغَلُ^(٤٦)
عِيَاداً ، كَحُمَى الرَّبِيعِ ، أَوْ هِيَ أَثْقَلُ^(٤٧)
تَثُوبٌ ، فَتَأْتِي ، مِنْ تُحَيْتٍ ، وَمِنْ عَلٍ^(٤٨)
عَلَى رَقَّةٍ ، أَحْفَى وَلَا أَتَنَعَلُ^(٤٩)
عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ ، وَالْحَزْمُ أَنْعَلُ^(٥٠)

- (٣٧) فارط : متقدم
(٣٨) لعقره : العقر هو مكان الساق من الحوض يكون فيه ما يتساقط من الدلو - حوصل : مفردا حوصلة وهي العضو الذي يتجمع فيه طعام الطير بعد التقاطه
(٣٩) وغاها : أصواتها - أضاميم : مفردا اضمامة وهم القوم ينضم بعضهم الى بعض - سفر : المسافرين
(٤٠) أَوَاد : جمع نود وهو ما بين الثلاث الى العشر من الابل
- الْأَصَارِيم : جمع صرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين
(٤١) غَشَاشاً : مستعجلة - إحاطة : هي قبيلة من الأزد أو من اليمن - مجفل : مسرع
(٤٢) أَهْدَأُ : شديد الثبات - تنبيه : ترفعه - السناسن : حروف فقار الظهر - قحل : جافة
(٤٣) أَعْدَلُ : أتوسد - منحوضاً : قليل اللحم - فصوصه : فواصله - مثل : منتصبه
(٤٤) القسطل : الغبار وأم اقسطل هي الحرب
(٤٥) طريد : المبعد - تياسرن : مأخوذ من يسر القوم الجزور اذا اجتزروها واقتسموها ومعنى ذلك اقتسمن لحمه
كانهن ضربين عليه بالميسر وهي القداح - عقيرته : العقيرة وهي النفس والجثة
(٤٦) تتغلغل : تتخلل
(٤٧) حمى الربيع : حمى تأخذ المرء يوماً وتدعه يومين
(٤٨) وردت : حضرت - أصدرتها : رددتها - تثوب : ترجع
(٤٩) ابنة الرمل : الحية - ضاحيا : بارزاً للقر والحر - على رقة : الهزال - أتتبع : ألبس النعال
(٥٠) اجتاب : المقصود بها هنا ألبس - البز : الثوب - السمع : هو ولد الذئب من الضبع

وَأَعْدِمُ أَحْيَاناً ، وَأَغْنِي وَإِنَّمَا
فَلَا جَزَعُ مَنْ خَلَّةٍ ، مُتَكَشِّفٌ
وَلَا تَزْدَهِي الْأَجْهَالُ حِلْمِي ، وَلَا أَرَى
وَأَلِيلَةَ نَحْسٍ ، يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا
دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَيَغْشٍ ، وَصُحْبَتِي
فَأَيْمَسْتُ نِسْواناً وَأَيْتَمْتُ السَّدَّةَ
وَأُصْبِحُ عَنِّي بِالْغَمِيصَاءِ جَالِساً
فَقَالُوا : لَقَدْ هَرْتُ بِلَيْلٍ كَلَابُنَا
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبْبَاءً ، ثُمَّ هَوُمْتُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لِأَبْرَحَ طَارِقاً
وَيَوْمَ مِنَ الشَّعْرَى يَذُوبُ لَوَابُهُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي ، وَلَا كُنْ دُونَهُ
وَضَافٍ ، إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ

يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ^(٥١)
وَلَا مَرِحٌ ، تَحْتَ الْغِنَى أَتْخِيلُ^(٥٢)
سَوْلاً بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أَنْمِلُ^(٥٣)
وَأَقْطَعُهُ ، السَّلَاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ^(٥٤)
سُعَارٌ وَارْزِيْزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ^(٥٥)
وَعُدْتُ كَمَا أُنْدَأْتُ ، وَاللَّيْلُ أَلِيلُ^(٥٦)
فَرِيْقَانِ : مَسْئُولٌ وَأَخْرُ يُسَالُ^(٥٧)
فَقَلْنَا : أَذْنُبُ عَسْ أَمْ عَسْ فَرَعْلُ^(٥٨)
فَقَلْنَا : قَطَاةٌ رِيْعٌ ، أَمْ رِيْعٌ أَجْدَلُ^(٥٩)
وَإِنْ يَكُ إِنْسَاءً مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ^(٦٠)
أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَائِهِ تَتَمَلَّلُ^(٦١)
وَلَا سِتْرٌ ، إِلَّا الْأَتْحَمِيُّ الْمُرْعَبِلُ^(٦٢)
لِبَائِدٌ ، عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَجَّلُ^(٦٣)

- (٥١) أَعْدِمُ : أصاب بالفقر - البعْدَةُ : اسم للبعد
(٥٢) الخَلَّةُ : الحاجة - المتكشِّفُ : الذي يظهر فقره وحاجته للناس - التَّخِيلُ : التكبر
(٥٣) تَزْدَهِي : تستخف - الاجْهَالُ : جمع جهل - أعْقَابُ : مأخِر - أَنْمِلُ : أنم ، مأخوذة من النَمِيْمَة
(٥٤) أَقْطَعُهُ : جمع قطع وهو السهم القصير العريض النصل - يَتَنَبَّلُ : يختار لرميه
(٥٥) دَعَسْتُ : دسْتُ - الْغَطْشُ : الظلمة - الْبَغْشُ : المطر الخفيف
- السُّعَارُ : حر يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع والبرد - ارْزِيْزٌ : أما أنها تعني الجمود في المكان
من شدة البرد ، أو صوت الأحشاء من الشدة - الْوَجْرُ : الخوف - الْأَفْكَلُ : الرعدة
(٥٦) أَيْمَسْتُ : جعلتهن أيامي بلا أزواج - الْإِلَادَةُ : الأولاد - أَلِيلٌ : للمبالغة وتعني ثابت الظلمة
(٥٧) الْغَمِيصَاءُ : تصغير الغمصاء ، وتثنية الأغمص وهو ما يخرج من العين ، والغَمِيصَاءُ من النجوم وهي أيضا
موضع قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناف بن كنانة
(٥٨) هَرْتُ : هزير الكلب هو صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد - الْفَرَعْلُ : ولد الضبع
(٥٩) النَّبَاةُ : الصوت - هَوُمْتُ : نامت - رِيْعٌ : أفزع - الْأَجْدَلُ : الصقر
(٦٠) كَهَا : الكاف للتشبيه ، أي ليس كمثل هذا
(٦١) الشَّعْرَى : الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء - لَوَابُهُ : لعابه ، ولعاب الشمس أشعتها التي ترى في شدة الحر
وهي كالخيوط يعرض للعين - الرَمَضَاءُ : المرض شدة وقع الشمس على الرمل
(٦٢) نَصَبْتُ : النصب هو الإقامة - كُنْ : الكن هو الستر - الْأَتْحَمِيُّ : ضرب من البرود - الْمُرْعَبِلُ : المقطع
الرقيق
(٦٣) ضَافٍ : سابغ - لِبَائِدٌ : مفردها لبيدة وهو ما تلبد من الشعر - تَرَجَّلُ : تسرح

بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالْقَلْبِ عَهْدُهُ
وَحَرْقُ كَظْهِرِ التَّرْسِ ، قَفَرٌ قَطَعَتْهُ
وَالْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهُ مَوْفِيَاً
تَرُودُ الْأَرَاوِي الصُّحُمُ حَوْلِي ، كَأَنَّهَا
وَيَرُكُدْنَ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنَّني
لَهُ عَبَسُ عَافٍ ، مِنْ الْغَيْسِلِ مُحُولٌ^(٦٤)
بِعَامِلَتَيْنِ ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يَعْمَلُ^(٦٥)
عَلَى قُنَّةٍ ، أَقْعَى ، مِرَاراً ، وَأَمْتَلُ^(٦٦)
عَذَارَى ، عَلَيْهِنَ الْمَلَأُ الْمَذِيلُ^(٦٧)
مِنْ الْعُصْمِ أَدْفَى ، يَنْتَحِي الْكَيْحُ ، أَعْقَلُ^(٦٨)

لامية العرب

- (٦٤) العبس : ما يعلق بأذناب الابل واليات الشاة من الأوساخ فيجف عليها - عاف: كثير - الغسيل : بكسر الغين هو ما يغسل به الرأس والجلد من الخطمي وغيره، وهو ما يقوم مقام الصابون في ذلك الزمن - محول : مر عليه الحول
- (٦٥) الخرق: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح - كظهر الترس : أي أن الأرض مستوية استواء ظهر الترس - العاملتان : رجلاه - ليس يعمل: غير مسلوكة ظهر هذه الأرض الواسعة
- (٦٦) ألحقت أولاه بأخراه : قطعتة وجزته عدواً - موفيا : مشرفا - القنة : أعلى الجبل - أقعى : قعد على ركبتيه وباطن الفخذين - أمثل : انتصب
- (٦٧) ترود: تذهب وتجيء - الأراوى: جمع أرويه وهي أنثى التيس البري - الصحم : الوعل التي يضرب لونها الى صفرة - الملاء : نوع من الثياب - المذيل : الطويل
- (٦٨) يركدن : يمكنن - الأصال : مفردا أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب - العصم: مفردا أعصم وهو الذي في ذراعيه بياض وقيل الذي في إحدى يديه بياض - الأدفى : الذي طال قرنه جيداً - الكيح : عرض الجبل - الأعقل : الممتنع

وقال البوصيري* يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته المعروفة بـ « البردة » أو « البرقة » وقد وفد بها على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مريض ، فعوفي من وقته وساعته

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِذِي سَلَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا
أَيَحْسَبُ السَّصْبُ أَنَّ الْحَبَّ مُنْكَتَمٌ
لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرُقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ
فَكَيْفَ تُتَكَّرُ حَبًّا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدَ خَطِيئَةً وَضَنْى
نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَارَقَنِي
يَا لَأَتَمِّي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مَعْدِرَةً
عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
مَحْضَتْنِي النَّصِيحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
فَإِنْ أَمَارَتِي بِالسَّوْءِ مَا اتَّعَظْتُ
وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْسِي مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي بِرِدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
فَلَا تَرُمُ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى
فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تَوَلِيَهُ

مَرْجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِسَدَمٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفْقُ بِهِمْ
مِمَّا بَيْنَ مُنْجَمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ
وَلَا أَرَقْتُ لِذِكْرِ الْبَبَانِ وَالْعَلَمِ
بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ
وَالْحَبُّ يَعْتَزُّ بِاللَّدَاتِ بِالْأَلَمِ
مَنْ لِي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ تَلَمْ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْخَسِمٍ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعَدَالِ فِي صَمَمٍ
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ التُّهَمِ
مِنْ جَهْلِهَا بِتَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
ضَيْفُ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمٍ
كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِالْجُمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ
حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَتْ يَنْقَطِعِ
إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْنَمُ أَوْ يُصَمِّ

* البوصيري : هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ، ولد في بهشيم عام ١٢١٢ . ينسب الى بوصير من أعمال بني سوييف في مصر ، وإن كان أصله من المغرب . توفي في الاسكندرية عام ١٢٩٦ م .

وراعها وهي في الأعمال سائمة
 كم حسنت لذة المرء قاتلة
 وأخش الدسائس من جوع ومن شبع
 واستفرغ الدمع من عين قد امتلات
 وخالف النفس والشيطان وأعصهما
 ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً
 استغفر الله من قول بلا عمل
 أمرتك الخير لكن ما اتتمرت به
 ولا تزودت قبل السموت نافلة
 ظلمت سنة من أحياء الظلام إلى
 وشد من سغب أحشاء وطوى
 وراودته الجبال الشئم من ذهب
 وأكدت هذه فيها ضرورته
 وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
 محمد سيد الكونين والخلق
 نبينا الأمر الناهي فلا أحد
 هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
 دعا إلى الله فالمتمسكون به
 فاق النبیین في خلق وفي خلق
 وكلهم من رسول الله ملتمس
 وواقفون لديه عند حدهم
 فهو الذي تم معناه وصورته
 منزلة عن شريك في محاسنه
 دغ ما ادعته النصارى في نبيهم
 وأنسب إلى ذاته ما شئت من شرف
 فإن فضل رسول الله ليس له

وإن هي استحلّت المرعى فلا تسم
 من حيث لم يدرك أن السم في الدسم
 قرب مخمصة شر من التسخم
 من المحارم والزم حمية الندم
 وإن هما محضاك النصيح فاتهم
 فإنت تعرف كيد الخصم والحكم
 لقد نسبت به نسلاً لذي عقم
 وما استقممت فما قولي لك استقم
 ولم أصل سوى فرضي ولم أصم
 أن اشتكت قدماء الضر من ورم
 تحت الجارة كشحاً متراف الأدم
 عن نفسه فأراها أيماسم
 إن الضرورة لا تعلو على العصم
 لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
 من والفريقين من عرب ومن عجم
 أبر في قول « لا » منه ولا « نعم »
 لكل هول من الأحوال مفتحم
 مستمسكون بحبل غير منقسم
 ولم يدانوه في علم ولا كرم
 عرفاً من البحر أو رشفاً من النديم
 من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
 ثم اضطفاه حبيباً باريء النسم
 فجوهراً الحسن فييه غير منقسم
 وأحكم بما شئت مدحاً فيه وأحكم
 وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم
 حد فيعرب عنه ناطق بفهم

لَوْ نَسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتِهِ عِظَمًا
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ
أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يَرَى
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ
وَكَيْفَ يَذْرُكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
فَمُبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَكُلُّ أَيِّ آتَى الرُّسُلِ الْكِرَامُ بِهَا
فَبِإِنَّ شَمْسُ فَضْلِهِ هُمْ كَوَاكِبُهَا
أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خَلْقُ
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ
كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ
كَأَنَّمَا اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
لَا طَلِيبَ يَعْدُلُ تَرْبَاءُ ضَمُّ أَعْظَمُهُ
أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طَلِيبِ عُنْصُرِهِ
يَوْمَ تَفْرُسُ فِيهِ الْفَرَسُ أَنَّهُمْ
وَبَاتَ إِيَّوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
وَالسَّارُ خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا
كَأَنَّ بِالسَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ
وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَطَاعَةٌ
عَمُوا وَصَمُّوا فَبِإِعْلَانِ الْبِشَائِرِ لَمْ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبٍ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ
حَرِصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ
فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمِ
صَغِيرَةً وَتَكُلُّ الطَّرْفِ مِنْ أَمَمِ
قَوْمٍ نِيَامُ تَسْلُوا عَنْهُ بِالْحُلَمِ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ الْعَالَمِ كُلِّهِمْ
فَبِإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ
مِنْ مَعْدِنِي مَنَاطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمِ
طَوْبِي لِلمُنْتَشِقِ مِنْهُ وَلِلمُتَّسِمِ
يَا طَلِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمِ
قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ
كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ^(١)
وَرَدُّ وَارِدُهَا بِالْفَيْظِ حِينَ ظَلَمِي^(٢)
حَزْنَا وَبِالمَاءِ مَا بِالسَّارِ مِنْ ضَرَمِ
وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ
تُسْمَعُ وَبِإِرْقَاءِ الْأَنْذَارِ لَمْ تَشْمِ
بِأَنَّ دِيْنَهُمُ الْمَعْجُجُ لَمْ يَقْمِ
مُنْقَضَةٌ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

(١) النار التي يوقدها المجوس

(٢) ساوة : بحيرة في بلاد الفرس

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ
نَبَذُوا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطَنِيهِمَا
جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لَمَّا كَتَبَتْ
مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ
أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
فَالصَّدُوقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرْمَا
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
مَا سَامَنِي الدُّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
وَلَا التَّمَسُّتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
وَذَاكَ حَسْبَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبٍ
كَمْ أَبْرَأْتُ وَصَبَّأْتُ بِاللَّمْسِ رَاحَتَهُ
وَأَحْيَيْتُ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتَهُ
بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خِلْتُ الْبَطَاحَ بِهَا
دَعْنِي وَوَصَفِي آيَاتُ لَهُ ظَهَرَتْ
فَالدَّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ
فَمَا تَطَاوَلَ أَمَالُ الْمَدِيحِ إِلَى
آيَاتِ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
دَامَتْ لَدَيْنَا ففَافَقَتْ كُلُّ مُعْجَزَةٍ
مُحْكَمَاتٍ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبُهَةٍ
مَا حَوَرِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ

أَوْ عَسَكَرَ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتِيهِ رُمِي
نَبَذَ الْمَسِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمٍ
فَرُوعُهَا مِنْ بَدِيمِ الْخَطِّ فِي السَّقَمِ
تَقِيهِ حَرُّ وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي
مِنْ قَلْبِهِ نَسْبَةُ مَبْرُورَةِ الْقَسَمِ
وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ
خَيْرِ السَّبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
مِنْ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ
إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ
إِلَّا اسْتَلَمْتُ السُّنْدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ
فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَلَمِ
وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ
وَأَطْلَقْتُ أَرْبَاءَ مِنْ رِبْقَةِ السَّلَمِ
حَتَّى حَكَتْ غَرَّهُ فِي الْأَعْصَرِ الدُّهْمِ
سَيِّبُ مِنَ السَّيْمِ أَوْ سَيْلُ مِنَ السَّعْرِ
ظُهُورُ نَارِ الْقَرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمِ
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قُدْرًا غَيْرَ مَنْتَظَمِ
مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ
قَدِيمَةُ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
مَنْ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ
لِذِي شَقَاقٍ وَمَا تُبْقِينَ مِنْ حَكَمِ
أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَمِ

رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
لَهَا مَعَانِ كَمْوَجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
فَمَا تَعْدُ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
إِنْ تَتْلَاهَا خِيفَةٌ مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظِي
كَأَنَّهَا الْخَوْضُ تَبْيِضُ الْوُجُوهُ بِهِ
وَكَالصَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مُسَدِّلَةٌ
لَا تَعْجِبُنِ لِحَسْبِ سَوْدِ رَاحٍ يُنْكِرُهَا
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
يَا خَيْرَ مَنْ يَمُّ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى الْمَعْتَبِرُ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ
وَبِتُّ تَرْقَى إِلَى أَنْ تِلْتَ مَنْزِلَةً
وَقَدْ مَتَكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَأَنْتِ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأْوً لِمَسْتَبِقٍ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
كَيْمَا تَفْوَزُ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتَرٍ
فَحَزَتْ كُلُّ فَخَّارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وَلَّيْتَ مِنْ رُتَبٍ
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا
لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِينَا لَطَاعَتِهِ
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَعْثِهِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرَكٍ
وَدَّوْا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْطِطُونَ بِهِ
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا

رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالسَّقِيمِ
وَلَا تُسَامُ عَلَى الْأَكْثَارِ بِالسَّامِ
لَقَدْ ظَفِرَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ
أُطْفَأَتْ نَارُ لَظِي مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْمِ
مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءَ وَهْ كَالْحُمِ
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ
تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْجَانِقِ الْفَهْمِ
وَيُنْكِرُ الْبَقْمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
سَعِيًا وَفَوْقَ مَثَوْنِ الْأَيْتِقِ الرَّسْمِ
وَمَنْ هُوَ النُّعْمَةُ الْعَظْمَى الْمُسْتَعْتِمِ
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرْمِ
وَالرُّسُلُ تَقْدِيمُ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
فِي مُوَكِّبٍ كُنْتُ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ
مِنَ الدُّنُورِ لَا مَرْقَى لِمُسْتَنَمِ
نَوْدِيَتِ بِالرُّفْعِ مِثْلُ الْمَفْرَدِ الْعَلَمِ
عَنِ السَّعْيِ وَبِالسَّرِ أَيْ مُكْتَنَمِ
وَجَزَتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
وَعَنْ إِدْرَاكِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِ
مِنَ الْعَيْنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
كَتَبْنَا أَجْفَلْتَ غَفْلًا مِنَ الْبَغْنَمِ
حَتَّى حَكُوا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضْمِ
أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعَقِبَانِ وَالرَّحْمِ
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لِيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حُلٌّ سَاحَتَهُمْ
يَجْرُ بَحْرُ خَمَيْسٍ فَوْقَ سَابِغَةٍ
مِنْ كُلِّ مُتَنَدِّبٍ لِسَالِهِ مُحْتَسِبٍ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
مَكْفُوعَةٌ وَلَوْ أَنَّ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرٍ أَبٍ
هُمُ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا
الْمُصْدِرِي الْبَيْضَ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
وَالْكَاتِبِينَ بِسُفْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكْتُ
شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيَمَى تُمَيِّزُهُمْ
تَهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النُّصْرِ نَشْرُهُمْ
كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبَتْ رُبَاً
طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَاً
وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرَتُهُ
وَأَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّي غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
أَحْلُ أُمَّتِهِ فَرَسِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ
كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأَمِيِّ مُعْجَزَةٌ
خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقْبِلُ بِهِ
إِنْ قُلْدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
أُطْعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا
فِيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
وَمَنْ يَبِيعُ أَجْلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُتَنَقِّصٍ
فَإِنْ لَسِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا يَبْدِي

بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ السَّعْدِ قَرِمٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مَلْتَطِمٍ
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْفِكَرِ مُصْطَلِمٍ
مِنْ بَعْدِ غُرَيْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ
وَحَيْرٍ بَعْلٍ فَلَمْ تَنْتَمِ وَلَمْ تَنْتَمِ
مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلِمٍ
فُصُولِ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ
مِنْ السَّعْدِ كُلِّ مُسَوِّدٍ مِنَ السُّلَمِ
أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرِ مُنْعَجِمٍ
وَالْوَرْدُ يَمْتَانُ بِالسَّيْمِيِّ عَنِ السُّلَمِ
فَتَحَسَّبَ الزُّهْرُ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي
مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْمِ
فَمَا تَفَرَّقُ بَيْنَ السَّبْهِمِ وَالسَّبْهِمِ
إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي أَجَامِهَا تَجِمُ
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ
كَالْيَتِّ حُلٌّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمٍ
فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَتِّمِ
ذُنُوبَ عُمُرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النِّعَمِ
حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْإِثَامِ وَالنَّدَمِ
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ
يَبْنَ لَهُ الْغُبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ
مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ
مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ
فَضْلًا وَلَا فَقْلًا يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

حاشاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
وَمَنْذُ الزَّمْتِ أَفْكَارِي مَدَانِحِهِ
وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدَا تَرِبَتْ
وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
فَإِنْ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرَّتْهَا
يَا نَفْسُ لَا تَقْنُطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
وَالطُّفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
وَأُذِنَ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
مَا رَنَحَتْ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَاً

أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ
وَجَدْتُهُ لَخْلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمٍ
إِنَّ الْحَيَا يَنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمٍ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ السَّعَمِ
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِكَاسِمٍ مُنْتَقِمٍ
وَمِنْ عِلْمِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ
إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللُّمِ
تَأْتِي عَلَى حَسْبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَمْوَالُ يَنْهَزِمِ
عَلَى النَّبِيِّ بِمَنْهَلٍ وَمُنْجِمِ
وَاطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّعَمِ

ديوان البوصيري

وَأَجَابَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ* عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ فَقَالَ

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةٌ
بَيْضَاءُ مَشْرِفَةُ الذُّرَى وَمَعَاظِنَا
كَالْلُوبِ يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيَّهَا
وَنَزَائِعاً مِثْلُ السَّرَاحِ نَمَّا بِهَا
عَرِيَّ الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا
قُدّاً تَرَاخٍ إِلَى الصِّيَاحِ إِذَا غَدَتْ
وَتَحَوُّطُ سَائِمَةِ الدِّيَارِ وَتَارَةً
جَوْشُ السُّوحُوشِ مُطَارَةً عِنْدَ الْوَغَى
عَلَفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بَدْنًا
يَغْدُونَ بِالزُّغْفِ الْمَضَاعِفِ شَكُّهُ
وَصَوَارِمِ نَزَعِ الصِّيَاقِلِ غَلْبَهَا
يَصِيلُ السِّيمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبِ

* كعب بن مالك : هو كعب بن مالك بن أبي كعب ، ومن الخزرج . ولد في المدينة نحو عام ٥٩٨ م ، وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم جميع غزواته باستثناء غزوة تبوك ، وهو من فحول الشعراء ، إضافة الى كونه من رواة الحديث . مات نحو عام ٦٧٣ م . له ديوان شعر .

- (١) النحلة : العطاء
- (٢) المعائن : مبرك الابل ومربض الغنم حول الماء ومفردها معطن - حُم : جمع أحمر ، وهو ما ضرب لونه الى السواد - الجذوع : أراد بها أعناق الابل - الأحلاب : ما يحلب منها
- (٣) اللوب : هي الأرض ذات الحجارة السوداء ومفردها لوبة - الحفيل : المبالغ به - المنتاب : الزائر
- (٤) السراح : الذئب - المقضاب : آلة لقطع النبات وزعم السهيلي ان المقضاب هي مزرعة
- (٥) الشوى : القوائم - النحض : اللحم - المتون : مفردها متن ، وهو الظهر - الأراب : مفردها أربة وهي قطعة لحم
- (٦) القود : مفردها أقود وهو الطويل - تراخ : تنشط - الضراء : الكلاب الضارية - الكلاب : صاحب الكلاب
- (٧) بدناً : مفردها بادن وهو السمين - الدخس : كثير اللحم - البضيع : اللحم المستطيل - الأقصاب : مفردها قصب وهي المعى
- (٨) الزغف : الدرع الواسعة الطويلة - المترصات : الرماح المثقفة - الثقاف : النزال ، وقد يكون أراد بها آلة تتقف بها الرماح - صياب : أي تصيب
- (٩) الصوارم : السيوف القاطعة - الصياقل : شحان السيوف ومفردها صيقل
- (١٠) المارن : الرمح الصلب اللدن - وقيعته : تحديد الرمح بالمقعدة - خباب : هو خباب بن الارت من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يقوم بصناعة السيوف للمسلمين

وَأَغْرَأْزْدَقَ فِي السَّقْنَاءِ كَأَنَّهُ
وَكَتَيْبَةً يَنْفِي الْقِرَانَ قَتِيرَهَا
جَأْوَى مُلْمَلَمَةٍ كَأَن رِمَاحَهَا
يَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللَّوَاءِ كَأَنَّهُ
أَعَيْتَ أَبَا كَرْبٍ وَأَعَيْتَ تَبْعَاءُ
وَمَوَاعِظُ مِنْ رَبَّنَا نُهْدَى بِهَا
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ
جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَيَّ تَغَالِبَ رَبِّهَا

فِي طُخْيَةِ الظُّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابٍ^(١١)
وَتَرْدُ حَدِّ قَوَاحِزِ الشُّشَابِ^(١٢)
فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ صَرِيمَةٍ غَابِ^(١٣)
فِي صَعْدَةِ الْخَطِيِّ فِيءُ عُقَابِ^(١٤)
وَأَبَتْ بِسَالَتُهَا عَلَى الْأَعْرَابِ^(١٥)
بِلِسَانٍ أَنْزَلَ طَلِيْبَ الْأَثْوَابِ
مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حَرْجًا وَيَفْقَهُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
فَلْيُغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغُلَابِ^(١٦)

ديوان كعب بن مالك الأنصاري

- (١١) الطخية : الظلمة
(١٢) قتيورها : رؤوس المسامير في الدروع ، أو الدروع نفسها - قواحز : مفردا قاحز ، وهو السهم الطامع عن كبد القوس ذاهبا في السماء
(١٣) جأوى : أصلها جأواء أي الأحمر الضارب الى السواد - الصريمة : القطعة من الليل
(١٤) الخطي : الرماح
(١٥) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن الغابرين .
(١٦) سخيئة : لقب قريش في الجاهلية ، والسخيئة هي أكلة حساء من دقيق ، تتخذ عند غلاء الأسعار . قال السهيلي : « وذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت أو نحرث نحيرة بمكة ، أتى بعجزها فصنع منها خزيمة - لحم يطبخ ببر - فيطعمه ، فسميت قريش بها سخيئة

وقال أبو نهام* يرثي محمد بن حميد الطوسي

كَذَا فَلْيَجِلْ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ
تَوَفَّيْتَ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلٍّ مَالُهُ
وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفَّهُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عَطَلَتْ لَهُ
فَتَى كَمَا فاضتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ
فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِيهِ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطُّغْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
وَقَدْ كَانَ قُوَّةَ الْمَوْتِ سَهْلًا قَرْدُهُ
وَنَفْسٌ تَعَافُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا
فَأَثَبَتْ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ
عَمَدًا عَذْوَةً وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ
تَرَدَّى ثِيَابُ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا دَجَى
كَأَنَّ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ
يُعَزُّونَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَى

فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ
وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ^(١)
وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خَلَقَ السُّعْسُرُ^(٢)
فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَانْتَفَرَ الثُّغُرُ^(٣)
دَمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكُرُ
فَفِي بَاسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
تَقُومُ مَقَامَ النُّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النُّصْرُ
مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمُرُ^(٤)
إِلَيْهِ الْحَفَاطُ الْمَرُّ وَالْخَلْقُ الْوَعْرُ^(٥)
هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَحْمَصُكَ الْحَشْرُ
فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَانْكَفَّأَنَّهُ الْأَجْرُ
لَهَا الْإِلِيلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٦)
وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشُّعْرُ^(٧)

* أبو نهام : هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي . ولد في بلدة جاسم من قرى حوران في سوريا عام ٨٠٤ م ثم ارتحل إلى مصر ، فإلى بغداد حيث أقام في العراق . يعد من أمراء الشعر العربي القديم . كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب ، وقد اختلف النقاد في التفضيل بينه وبين المتنبي . ولي بريد الموصل ، وتوفي هناك عام ٨٤٦ م . له ديوان شعر ، ومن آثاره : (فحول الشعراء) و (ديوان الحماسة) و (مختار أشعار القبائل) و (الوحشيات) و (نقائض جرير والأخطل) .

- (١) السفر : الشخص المسافر
- (٢) المجتدي : طالب المعروف - استهلته : بدأت بالعبء
- (٣) القنا : الرماح
- (٤) الموت : النجاة منه - الوعر : الصعب
- (٥) بنو نبهان : قوم محمد بن حميد الطوسي
- (٦) ثاو : راقد

إلى الموتِ حتَّى استشهدا هُوَ والصَّيْبُ
وَلَكِنْ كَبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كَبْرٌ^(٨)
وَبَزَّتْهُ نَارُ الْعَرَبِ وَهَوَّاسُهَا جَمْرٌ
بِـوَاتِرٍ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بَثْرٌ^(٩)
يَكُونُ لِأَسْوَابِ السُّدَى أَبْدَأُ نَشْرٌ
فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يَجِدُ الْوَرْدُ السُّخْرُ؟
لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لَهُ السُّدُورُ
فَمَا زِلْتُ الْإِيَّامُ شَيْمَتَهَا السُّدُورُ
فَمَا عَرَيْتُ مِنْهَا تَمِيمٌ وَلَا بَكَرٌ^(١٠)
يُشَارِكُنَا فِي فَقْدِهِ الْبَدُونُ وَالْحَضَرُ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرٌ
بِاسْقَانِهَا قَبْرًا وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ
غَدَاةٌ تَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنْهَسَا قَبْرُ
وَيَغْمُرُ صَرْفُ السُّدُورِ نَائِلُهُ السُّغْمُرُ^(١١)
رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

وَأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى
فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاخَةٍ
فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهَوَّجِمَى لَهَا
وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْمَائِثِرُ فِي الْوَعَى
أَمِنْ بَعْدِ طَسِي الْحَادِثَاتِ مُحَمَّداً
إِذَا شَجَرَاتُ الْعُرْفِ جَذَّتْ أَصُولُهَا
لَنْ أَبْغِضَ السُّدُورُ الْخَوُونَ لِفَقْدِهِ
لَنْ غَدَرْتُ فَمِ السُّرُورِ أَيَّامُهُ بِهِ
لَنْ أَلْبَسْتُ فِيهِ الْمُصِيبَةَ طِيءٌ
كَذَلِكَ مَا تَنَفَّكَ نَفَقْدُهَا الْكِبَا
سَقَى الْغَيْثُ غَيْثًا وَارَتْ الْأَرْضُ شَخْصَةً
وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلْغِيُوثِ صَنِيعَةً
مَضَى طَاهِرِ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ
تَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الثَّرَى
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَاِنْتَنِي

ديوان أبي تمام

(٨) الغضاضة : الضعة

(٩) البيض : السيوف - المائثر : الحادة

(١٠) تميم وبكر : من قبائل العرب

(١١) صرف الدهر : مصائبه - نائله الغمر : أعطياته

وقال عمر بن أبي ربيعة * في رائيته

أَمِنْ أَلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
تَهِيمٌ إِلَى نَعْمٍ فَلَا الشَّعْلُ جَامِعُ
وَلَا قُرْبُ نَعْمٍ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعُ
وَأَخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نَعْمٍ وَمِثْلُهَا
إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةِ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلِمَّ بِبَيْتِهَا
أَلْكُنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ
بِأَيَّةٍ مَا قَالَتْ غَدَاةً لَقِيَتْهَا
قَفِي فَا نَظَرِي أَسْمَاءُ هَلْ تَعْرِفِيئَهُ
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتَ نَعْتًا قَلَمُ أَكُنْ
فَقَقَالَتْ نَعْمَ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنُهُ
لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدُنَا
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
أَخَا سَفَرٍ جَوَابُ أَرْضٍ تَقْسَادَتْ
قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمُسْطَبَةِ ظِلُّهُ

غَدَاةً غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمُهْجَرُ^(١)
فَتُبْلَغُ عَذْرًا وَالسَّمَاءُ تُعَذِّرُ
وَلَا الْحَبْلُ مُوصُولٌ وَلَا السَّقْلُبُ مُقْصِرُ
وَلَا نَائِيهَا يُسَلِّسِي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
نَهَى ذَا النُّهَى لَوْ يَزْعَوِي أَوْ يُفَكِّرُ
لَهَا كُلُّهَا لَا قِيَّتُهَا يَتَنَمَّرُ
يُسِرُّ لِي الشُّحْنَاءُ وَالْبُقُضُ يُظْهِرُ
يُشْهِرُ السَّمَاءِي بِهَا وَيَسْكُرُ^(٢)
بِمَدْفَعِ أَكْثَانٍ أَهَذَا السُّمُشَرُ^(٣)
أَهَذَا السُّمُغِيرِي الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ^(٤)
وَعَيْشِكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ
سَرَى اللَّيْلِ يُخَيِّي نَهْضَهُ وَالسُّهْجَرُ
عَنِ السُّعْدِ وَالْأَنْسَاءُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصُرُ^(٥)
بِهِ فَلَوَاتُ فَهَوُ أَشْعَثُ أَغْصَبَرُ
سَوَى مَا نَفْسٍ عَنْهُ الرَّدَاءُ السُّمُحْبَرُ^(٦)

* عمر بن أبي ربيعة : هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي الملقب بأبي الخطاب . ولد عام ٦٤٤ في الليلة ذاتها التي توفي فيها الخليفة عمر بن الخطاب فسمي باسمه . كان يشبب بالنساء ، وقد نفاه عمر بن عبد العزيز إلى (دهلك) . شارك في إحدى الغزوات البحرية ، فاحترقت السفينة به وبمن معه ، فمات غرقا وكان ذلك عام ٧١٢ . له ديوان شعر .

(١) نعم : هي امرأة من قريش ، كانت تكنى أم بكر وهي من بني جمح . وقد أكثر عمر من ذكرها في شعره

- غاد : السائر في أول النهار - مهجر : السير في وقت الهاجرة (الحر)

(٢) ألكني إليها بالسلم : كن رسولي إليها بالسلم

(٣) مدفع أكثان : اسم موضع

(٤) السُّمُغِيرِي : المنسوب إلى جده المغيرة ، وأسماء اسم امرأة

(٥) يضحى : يظهر للشمس ولا يستتر منها - يخصر : أصابه البرد وآله

(٦) المحبر : المزين

وَرَيَّانُ مَلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
 فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرِ اللَّيْلِ تَسْهَرُ
 وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوْلَ الْمُحِبُّ الْمُغَرَّرُ^(٧)
 أَحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطْشُوفُ وَأَنْظُرُ
 وَلِي مَجْلِسُ لَوْلَا اللَّبَانَةُ أَوْعَرُ^(٨)
 لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِمَنْ جَاءَ مُغَوِّرُ^(٩)
 وَكَيْفَ لِمَا آتَى مِنَ الْأَمْرِ مَصْدَرُ
 لَهَا وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ^(١٠)
 مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوَرُ
 وَدَوَّحَ رُغِيَّانُ وَنَوْمٌ سُسُمَرُ
 حُبَابٍ وَشَخْصِي خَشِيَّةٌ الْحَيُّ أَرْوَرُ^(١١)
 وَكَادَتْ بِمُخْفَوِضِ التُّحِيَّةِ تَجْهَرُ
 وَأَنْتَ أَمْرُؤُ مَيْسُورٍ أَمْرُكَ أَعْسَرُ
 وَقُيِّتَ وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حَضَرُ
 سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ
 إِلَيْكَ وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ
 كَلَاكٌ بِحِفْظِ رَبِّكَ الْمُسْتَكْبَرُ^(١٢)
 عَلَيَّ أَمِيرٌ مَا مَكَّنْتَ مُؤَمَّرُ^(١٣)
 وَمَا كَانَ لِيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
 لَنَسَا لَمْ يُكْدِرْهُ عَلَيْنَا مُكْدَرُ

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ
 وَوَالِ كَفَاهَا كُلُّ شَيْءٍ يَهْمُهَا
 وَلَيْلَةُ ذِي دُورَانِ جَشَمَتْنِي السَّرْبُ
 فَبِتُّ رَقِيبًا لِلرِّفَاقِ عَلَى شَفَا
 إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمَكِنُ النَّوْمُ مِنْهُمْ
 وَبَاتَتْ قَلُوصِي بِالْعِرَاءِ وَرَحْلُهَا
 وَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسِ أَيْنَ خَبَاوُهَا
 قَدَلٌ عَلَيْهَا الْقَلْبُ رِيًّا عَرَفْتُهَا
 فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتِ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ
 وَغَابَ قُمْرِي كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ
 وَخَفَّضَ عَنِّي الصَّوْتُ أَقْبَلْتُ مَشِيَّةً إِلَى
 فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَقَوْلُهَا هَلَتْ
 وَقَالَتْ وَعَصَّتْ بِالْبَنَارِ : فَضَجَّتْنِي
 أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي : أَتَعْجِيلُ حَاجَةً
 فَقُلْتُ لَهَا بَلْ قَادَنِي الشُّوقُ وَالْهَوَى
 فَقَالَتْ وَقَدْ لَأَنْتَ وَأَفْرَخَ رَوْعُهَا
 فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَابِ غَيْرِ مُدَافِعِ
 فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقْاصِرَ طَوْلُهُ
 وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلَسِ

(٧) ذو دوران : اسم واد

(٨) اللبانة : الحاجة

(٩) القلوص : الناقة الشابة الفتية - معور : بين واضح

(١٠) ريًّا : الرائحة الطيبة

(١١) أروور : مائل منحرف

(١٢) أفرخ روعها : زال فزعها

(١٣) أبو الخطاب : هو عمر بن أبي ربيعة

يَمُجُّ ذِكْرِي السَّمْسِكِ مِنْهَا مَقْبَلُ
تَرَاهُ إِذَا مَسَّ افْتَرُّ عَنْهُ كَانَتْهُ
وَتَرْنُو بِعَيْنَيْهَا إِلَيَّ كَمَا رَنَا
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ : تَرَحَّلُوا
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّهَ مِنْهُمْ
فَقُلْتُ : أَبَادِيهِمْ فَبِمَا أَفْوَتْهُمْ
فَقَالَتْ : أَتَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحُ
فَإِنْ كَانَ مَا لَا بَدُّ مِنْهُ فَغَيْرُهُ
أَقْصُ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا
لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا
فَقَامَتْ كَثِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ
فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا أَعَيْنَا عَلَى فَتَى
فَأَقْبَلَتَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مَتَنَكِّرًا
فَكَانَ مِجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي :
وَقُلْنَ : أَهَذَا دَأْبُكَ السَّدْهُرُ سَادِرًا

نَقِي الثَّنَائِيَا ذُو غُرُوبٍ مُؤَشِّرُ^(١٤)
حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَقْصَوَانِ مُنَوَّرُ^(١٥)
إِلَى ظَلْيِيَّةٍ وَسَطِ الْخَمِيلَةِ جَوْدَرُ^(١٦)
وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ^(١٧)
مُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُ مِنْكَ عَزُورُ^(١٨)
وَقَدْ لَاحَ مَعْرُوفٌ مِنَ السَّصْبِجِ أَشْقَرُ
وَأَيْقَاطُهُمْ قَالَتْ : أَشِرُّ كَيْفَ تَأْمُرُ
وَلِمَا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَنَارُ^(١٩)
عَلَيْنَا وَتَصْدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤَثِّرُ^(٢٠)
مِنْ الْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ
وَمَا لِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَ مَا مَتَأَخَّرُ
وَأَنْ تَرَحُّبًا سَرِيًّا بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ
مِنْ الْحُزْنِ تُذْري عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ
كِسْرًا أَنْ مِنْ خَزْدِمَقْسُ وَأَخْضَرُ
أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يَقْدَرُ
أَقْلِي عَلَيْكَ الْوَلُومُ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ
ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَأَعْيَانٍ وَمُعْصِرُ^(٢١)
أَلَمْ تَنْقُ الْأَعْدَاءُ وَاللَّيْلُ مَقْمَرُ^(٢٢)
أَمَا تَسْتَحْيِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تَفَكَّرُ^(٢٣)

(١٤) مقبل : أراد به فيها - الثنانيا : الأسنان الأربع الامامية ، اثنتان من الأعلى واثنتان من الأسفل

- ذو غروب : حدة الأسنان ورفقتها

(١٥) البرد : حب الغمام (حب العزيز)

(١٦) الجودر : ولد البقرة الوحشية

(١٨) عزور : هي ثنية المدينيين الى بطحاء مكة ، وقيل فيها غير ذلك

(١٩) يباديهم : يبدو لهم

(٢٠) كاشح : الشخص الذي يضمم العداوة - السرب : النفس

(٢١) المجن : ما يستربه - الكاعب : الجارية التي كعب ثديها ونهدها - المعصر : الجارية أول ما أدركت

(٢٢) أجزنا ساحة الحي : قطعنا المكان الذي يقيم فيه أهلها

(٢٣) سادر : غير مهتم ولا مبال

لِكِيْ يَحْسَبُوا اَنْ السَّهْوَى حَيْثُ تَنْظُرُ
 وَلاَحِ لَهَا خَدَّ نَقِيٍّ وَمَجْجَرٍ^(٢٤)
 لَهَا وَالْعَتَاقُ الْاَرْحَبِيَّاتُ تُزْجَرُ^(٢٥)
 سِدْرٌ ذُو رَيَّاهَا الَّذِي اَتَذْكُرُ^(٢٦)
 سُرَى اللَّيْلِ حَتَّى لَحْمُهَا مُتَحَسَّرُ^(٢٧)
 بَقِيَّةُ لَوْحٍ اَوْ شَيْجَاجٍ اَوْ مُؤَسَّرُ^(٢٨)
 بِسَابِيسٍ لَمْ يَحْدُثْ بِهِ الصَّيْفُ مَحْضَرُ^(٢٩)
 عَلَى طَرْفِ الْاَرْجَاءِ خَامٌ مُنْشَرُ^(٣٠)
 مِنَ اللَّيْلِ اَمْ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ اَكْثَرُ
 اِذَا التَّفَتُّتُ مَجْنُونَةٌ حَيْثُ تَنْظُرُ^(٣١)
 وَمِنْ دُونِ مَا تَهْوَى قَلِيْبٌ مَغْوَرُ^(٣٢)
 وَجَذْبِي لَهَا كَادَتْ مِرَاراً تَكْسُرُ^(٣٣)
 بِبَلْدَةِ اَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مُعْصَرُ^(٣٤)
 جَدِيْدٌ كَقَابِ الشَّيْبَرِ اَوْ هُوَ اَصْغَرُ
 مَشَافِرِهَا مِنْهُ قَدَى الْكَفِّ مُسَارُ^(٣٥)
 اِلَى الْمَاءِ نِسْعٌ وَالْاَدِيمُ السَّمْضَقَرُ^(٣٦)
 عَنِ الرَّيِّ مَطْرُوقٌ مِنَ الْمَاءِ اَكْثَرُ^(٣٧)

اِذَا جِئْتُ فَاَمْنَحْ طَرْفَ عَيْنِيكَ غَيْرِنَا
 فَاَخِرُ عَهْدٍ لِي بِهَا حَيْثُ اَعْرَضْتَ
 سَوَى اَنْتَنِي قَدْ قُلْتُ يَا نَعْمُ قَوْلُهُ
 هَنِيئاً لَاهِلِ الْعَامِرِيَّةِ نَشْرُهَا الدَّ
 فَقَعْتُ اِلَى عَنَسٍ تَخَوَّنَ نِيْهَا
 وَحَبْسِي عَلَى الصَّاجَاتِ حَتَّى كَانَهَا
 وَمَاءٍ بِمَوْهَا قَلِيْلٌ اَنْيَسُهُ
 بِهِ مُبْتَنَى لِّلْعَمَلِ كَبُوتِ كَانَهُ
 وَرَدْتُ وَمَا اُذْرِي اَمَّا بَعْدَ مُوَرِّدِي
 فَقَعْتُ اِلَى مِغْلَاةٍ اَرْضٍ كَانَهَا
 تُنَازِعُنِي حِرْصاً عَلَى الْمَاءِ رَاسَهَا
 مُحَاوَلَةً لِلْمَاءِ لَوْلَا زِمَامُهَا
 فَلَمَّا رَأَيْتُ الْخُضْرَ مِنْهَا وَاَنْتَنِي
 قَصَرْتُ لَهَا مِنْ جَانِبِ الْحَوْضِ مُنْشَأً
 اِذَا شَرَعَتْ فِيهِ فَلَيْسَ لِسَمَلْتَقَى
 وَلَا دَلُوًّا اِلَّا الْقَعْبُ كَانَ رِشَامُهُ
 فَسَافَتْ وَمَا عَافَتْ وَمَا رَدُّ شَرِيْهَا

ديوان عمر بن أبي ربيعة

- (٢٤) الحجر : مشق جفن العين
 (٢٥) العتاق : الخيول - الارحبيات : المنسوبة الى قبيلة ارحب الهمدانية
 (٢٦) النشور والريا : الرائحة الطيبة
 (٢٧) العنس : الناقة - تخوَّن نيا : تناقص شحمها
 (٢٨) الشجار : مركب دون الهودج - مؤسّر : مشدود
 (٢٩) الموماء : الصحراء - البسابيس : القفار
 (٣٠) مغلّة أرض : يقصد الناقة
 (٣١) مغور : البئر - مغور : غار ماؤه
 (٣٢) معصر : ملجأ ومنجى
 (٣٣) مشافرها : مفردا مشفرو وهو ما يشبه الشفة عند الانسان - قدى الكف : قدره - مسار : أي فضلة تبقيها من الماء
 (٣٤) القعب : هنا القدح الذي يروي الرجل - الرشاء : الحبل الذي تسحب بواسطته الدلو من البئر - النسع : حبل من جلد على هيئة عنان الخيل
 (٣٥) سافت : شمت - عافت : كرهت - مطروق الماء : الماء الذي بال بالابل ويعرت فيه
 (٣٦) أكدر : الكدر وهو هنا تغير اللون

ولجميل بثينة *

ألا ليت ريعان الشباب جديداً
فنبقى كما كنا نكون، وإنسّم
وما أنس، م الأشياء لا أنس قولها
ولا قولها: لولا العيون التي ترى،
خليلي، ما ألقى من الوجد باطن،
ألا قد أرى، واللسه، أن رب عبرة
إذا قلت: ما بي يا بثينة قاتلي،
وإن قلت: ردي بعض عقلي أعش به
فلا أنا مزود بما جئت طالبا،
جزتك الجوازي، يا بثين، سلامة
وقلت لها: بيني وبينك، فاعلمي،
وقد كان حبيبكم طريفاً وتالداً،
وإن عروض الوصل بيني وبينها،
وأفريت عمري بانتظاري وعدما
فلئت وشاة الناس، بيني وبينها،
وليتهم، في كل معسى وشارق،
ويحسب نسوان من الجهل أنني
فأقسم طرفي بينهن فيستوي،

ودعراً تولى، يا بكين، يعوده
قريب، وإذا ما تبدل زهيد
وقد قربت نضوى: أمصر تريد؟^(١)
لزرك، فاعذرنسي، فذلك جود
ودمعي بما أخفي، الغداة، شهيد
إذا الدار شطت بيننا، ستزيد
من الحبر، قالت: ثابت، ويزيد
تولت وقالت: ذاك منك بعيد
ولا حبها فيما يبيد يبيد
إذا ما خليل بان وهو حميد
من الله ميثاق له وعهود
وما الحب إلا طارف وتاكيد^(٢)
وإن سئلته بالمنى، لكؤود^(٣)
وأليت فيها الدهر وهو جديده
يدوف لهم سماً طمطم سود^(٤)
تضاعف أكلال لهم وقود
إذا جئت، إياهن كنت أريد
وفي الصدر بون بينهن بعيد

* جميل بثينة: هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي أبو عمرو، لم يعرف تاريخ مولده على وجه التحديد، وإن كان قد عرف مكان مولده على أنه في وادي القرى من أعمال المدينة، عرف عنه حبه لبثينة - من فتيات قومه - وأكثر شعره في الغزل والنسيب والفخر. سافر إلى مصر، ونزل على عبد العزيز بن مروان الذي أكرم وفادته، فأقام جميل عنده لفترة قصيرة، ولم يلبث أن توفي هناك عام ٧٠١ م. له ديوان شعر، وكتب عنه عباس محمود العقاد كتاب (جميل بثينة).

(١) نضوى: النضو ما هزل من الأبل وغيرها

(٢) الطارف: الجديد - التليد: القديم

(٣) العروض: الطريق الطويل في عرض الجبل (المضيق) - الكؤود: الصعب المرتقى

(٤) يدوف: يخلط - طمطم: مفرد ما طمطم وهو الشخص الذي في لسانه عجمة

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ أَبِيتَن لَيْلَةً
وَهَلْ أَهْبِطَن أَرْضاً تَظَلُّ رِياحُهَا
وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً ،
وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ
وَهَلْ أَزْجُرَن حَرْفاً عَلَاةً شِمْلَةً
عَلَى ظَهْرِ مَرْهَوْبٍ ، كَأَنَّ نُشُوزَهُ ،
سَبَبْتَنِّي بِعَيْنِي جُودَرٍ وَسَطَ رَيْبٍ ،
تَزْيِيفُ كَمَا زَاغَتْ إِلَى سَلَفَاتِهَا

* * *

إِذَا جَنَّتْهَا مِنَ الدَّهْرِ ، زَائِراً ،
يَصْدُ وَيَغْضِي عَنْ هَوَايَ ، وَيَجْتَنِي
فَأُصْرِمُهَا خَوْفاً ، كَأَنِّي مُجَانِبٌ ،
وَمَنْ يُعْطِي الدُّنْيَا قَرِيناً كَمِثْلِهَا ،
يَمُوتُ الْهَوَى مَتًى إِذَا مَا لَقِيَتْهَا ،
يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ ، بِغَزْوَةٍ ،
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بِشَاشَةٍ ،
وَأَحْسِنْ أَيَّامِي ، وَأُبْهِجْ عَيْشَتِي
تَذَكَّرْتُ لَيْلِي ، فَالْفُؤَادُ عَمِيدٌ
عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا ، فَلَمْ يَزَلْ

تَعَرَّضَ مَنْفُوضُ الْيَدَيْنِ ، صَدُودِ
ذُنُوبٍ أَعْلَىهَا ، إِنَّهُ لَعَنُودُ !
وَيَسْغُفُّ عَنَّا مَرَّةً ، فَتَعُودُ^(١١)
فَذَلِكَ فِي عَيْشِ الْحَيَاةِ رَشِيدُ
وَيَحْيَا ، إِذَا فَارَقَتْهَا ، فَيَعُودُ
وَأَيُّ جِهَادٍ ، غَيْرُهُنَّ ، أُرِيدُ !
وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ
إِذَا هَيَّجَ بِي يَوْمًا وَهْنٌ قَعُودُ
وَشَطَطَتْ نَوَاهَا ، فَالْمَزَارُ بَعِيدُ^(١٢)
إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ

- (٥) وادي القرى : موضع قرب المدينة كان جميل يقيم فيه
(٦) الثنايا : مفردا ثنية ، وهي طريق العقبة ، وقيل هي الجبل - القاويات : المقفرة - الوئيد : الصوت الشديد
(٧) الحرف : الناقة الضامرة - علاة : الناقة المشرفة - الشملة : الناقة السريعة - الخرق : الأرض القفر
- السواهم : مفردا ساهمة وهي الناقة الضامرة - قود : المنقادة
(٨) مرهوب : هو الطريق الذي يهرب السير فيه - النشوز : مفردا نشز ، وهي المنطقة المرتفعة من الأرض
- هلاك الطريق : الذين ضلوا الطريق
(٩) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية - فاثور اللجين : الفاثور هو الطست ، واللجين هو الفضة
(١٠) تزيف : تتبختر في مشيتها - الميود : كثيرة الحركة
(١١) أصرمها : أهرجها وأقاطعها
(١٢) عميد : شديد الحزن الذي هذه العشق

فَمَا ذَكَرَ الْخَلَّانَ إِلَّا ذَكَرْتُهَا ،
 إِذَا فَكَّرْتُ قَالَتْ : قَدْ أَدْرَكْتُ وَدَّه
 فَلَوْ تَكْشَفُ الْأَحْشَاءُ صَوْدِفَ تَحْتَهَا ،
 أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمُّ ذِي الْوَدْعِ أَنَّ نِي
 فَهَلْ الْقَيْنُ فَرَدَّ بِثِيْنَةٍ لَيْلَةً ،
 وَمَنْ كَانَ فِي حَبِّي بِثِيْنَةٍ يَمْتَرِي ،
 وَلَا الْبُخْلُ إِلَّا قُلْتُ سَوْفَ تَجُودُ
 وَمَا ضَرَّنِي بُخْلِي ، فَكَيْفَ أَجُودُ !
 لِبَثْنَةٍ ، حُبُّ طَارِفٍ وَتَلْسِيْدُ
 أَضَاحِكُ ذِكْرَاكُم ، وَأَنْتِ صَلُودُ ؟^(١٣)
 تَجُودُ لَنَا مِنْ وَدَّهَا وَنَجُودُ ؟
 فَبَرَقَاءُ ذِي ضَالٍ عَلَيَّ شَهِيْدُ^(١٤)

ديوان جميل بثينة

(١٣) الصلود : الصلب ويقصد هنا انها امرأة قليلة الخير
 (١٤) برقاء ذي ضال : موضع كان جميل وبثينة يجتمعان فيه

وقال المتلمس الضبعي*

وَلَوْ غَيْرَ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّ
يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتْفَ هَذِهِ
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ
فَأُطْرَقَ إِطْرَاقُ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى
جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعِرَانِينَ مِيسَمَا
بِكَفِّ لِهْ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا
فَلَمْ تَجِدْ الْآخِرَى عَلَيْهَا مَقْدَمَا
لِهْ دَرَكًا فِي أَنْ تَبِينَا فَأَحْجَمَا
مَسَاغًا لِأَبْنَيْهِ الشُّجَاعِ لَصَمَّمَا

وسلامة بن جندل**

تَقُولُ ابْنَتِي إِنْ انْطَلَقَ وَاحِدًا
دَعِينَا مِنَ الْإِشْفَاقِ أَوْ قَدَّمِي لَنَا
سَتَتَفَّ نَفْسِي أَوْ سَأَجْمَعُ هَجْمًا
أَلَى الرُّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
مِنَ الْحَدَثَانِ وَالْمَنْبِيَّةِ وَأَقِيَا
تَرَى سَاقِييَهَا يَأْلُمَانِ التَّرَاقِيَا

* المتلمس الضبعي : هو جرير بن عبد العزى - أو عبد المسيح - من بني ضببة من ربيعة ، وهو شاعر من العصر الجاهلي . ولد في البحرين ، وهو خال طرفة بن العبد . لحق بال جفنة في الشام بعد ان هجا عمرو بن هند (ملك العراق) . مات في بصرى الشام نحو عام ٥٦٩ م

** سلامة بن جندل بن عبد عمرو : من شعراء العصر الجاهلي ، ومن الذين أجادوا وصف الخيل له ديوان شعر رواه الأصمعي . توفي نحو عام ٦٠٠ ميلادية .

وقال هدية بن خشرم اخو عذرة *

لستُ بباغي الشرِّ والشرُّ تاركِي ولكنْ متى أُحْمِلْ على الشرِّ أُرْكَبِ
وَحَرَّبْنِي مَوْلَاكَ حَتَّى غَشِيَتْهُ متى ما يُحَرِّبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحَرِّبِ

ولبشار بن برد **

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعَاتِباً خَلِيلُكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظَمِنْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ

ولمجنون ليلى ***

تَجَنَّبْتَ لَيْلَى حِينَ لَجَّ بِكَ الْهَوَى وَهَيْهَاتَ كَانَ الْحَبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةِ بِخَيْفٍ مِنْى تُرْمِي جِمَارَ الْمُحْصَبِ
وَيُبْدِي الْحَصَا مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ كَنَاضِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مَغْرَبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتَ يَا أُمَّ مَالِكَ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

* هدية بن خشرم بن كُرْز: شاعر فصيح . روى الشعر عن الحطيئة . يروى عنه انه قتل شاعراً من بني رقاش اسمه زيادة بن زيد ، وهرب ، فعمد والي المدينة سعيد بن العاص الى حبس أهل هدية ، فبلغه ذلك ، فسلم نفسه وحبس مدة ثلاث سنوات ، ثم حكم عليه ان يسلم إلى أهل المقتول ليقتضوا منه ، فقتلوه أمام الوالي والناس ، وكان ذلك نحو عام ٦٧٠ ميلادية .

** بشار بن برد : هو بشار بن برد العقيلي بالولاء ، أبو معاذ . ولد في عام ٧٤م وأصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) . نشأ في البصرة ، وقدم بغداد . اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط ، ودفن في البصرة عام ٧٨٤م . له ديوان شعر .

*** مجنون ليلى : هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري . وهو من أهل نجد ، ويعد إمام شعراء الغزل المتيمين . لم يعرف تاريخ مولده ، و (المجنون) هو لقب أطلق عليه لهيامه في حب ليلى بنت سعد ، التي اشتد حبه لها ، فهام على وجهه في الأرض ، الى أن وجد ميتاً في الفيافي بين الأحجار ، وكان ذلك نحو عام ٦٨٨م . له ديوان شعر .

أما ليلى بنت سعد التي أحبها ، فهي ليلى بنت مهدي بن سعد ، أم مالك العامرية ، وهي من بني كعب بن ربيعة ، وقد امتنع أبوها عن تزويجها من المجنون ، وأجبرت على الزواج من آخر غيره . ماتت نحو عام ٦٨٨م أيضاً ، وهناك من يقول انها ماتت قبل المجنون .

وله أيضاً

يَظُنُّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا
وَجَدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحُبِّ سَالِيَا
رُؤْيِدَ الْهَوَى حَتَّى يَغِبَ لِيَا لِيَا

وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشُّتَيْتَيْنِ بَعْدَمَا
لَحَى اللَّهُ أَقْوَاماً يَقُولُونَ إِنَّا
أَشَوْقَا وَلَا تَمُضْ لِي غَيْرَ لَيْلَةٍ

وقال :

لَا بُدَّ أَنْ يَتَفَرَّقَ الْجَيِّرانُ
حَتَّى تَحِنَّ ، وَيَصِيرُ الْإِنْسَانُ

وَتَفَرَّقُوا بَعْدَ الْجَمْعِ بِغِبْطَةٍ
لَا تَصِيرُ إِلَّا بَعْدَ تَفَرُّقَتِ الْجَلَدِ تَفَرُّقَتُ

ومما قاله في ليلى أيضاً:

لَوْ أَيْقَنَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَايِلُهُ
وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الْوَعْدَ أَمْلُهُ
أَوَاخِرُهُ لَأَنَّا تَقْصِي وَأَوَائِلُهُ

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْكَ يَا لَيْلُ بِالَّذِي
بِالْوَبَّاءِ لَا أَسْتَطِيعُ وَبِالْمُنَى
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي

الحماسة الصغرى لأبي تمام

قال المتنبي * بمدح سيف الدولة

ويذكر بناءه ثغر الحدث (١)

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَّاتُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ
يُقَدِّي أَتَمَّ السَّطِيرِ عُمَرَأَ سِلَاحَهُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ
هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ
طَرِيدَةً دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا
تُفَيْتُ الْيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً
وَكَيْفَ تُرْجِي الرُّومَ وَالرُّوسَ هَدْمَهَا
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمَ

وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْكَارُمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارُمُ (٢)
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاغُمُ (٣)
نَسُورُ الْفَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ (٤)
وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ
وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ (٥)
فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ (٦)
وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمُ (٧)
وَمِنْ جُثَّتِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ (٨)
عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيِّ وَالْدَهْرِ رَاغِمُ (٩)
وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَارِمُ
وَذَا السُّطْعُنُ أَسَاسُ لَهَا وَدَعَائِمُ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ

* المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكوفي الكندي. ولد في مدينة الكوفة في محلة كندة عام ٩١٥ م ، ثم تنقل في البادية طالبا العلم والأدب . قال الشعر ولما يزل صبيا ، وادعى النبوة في بادية السماوة ، فتبعه خلق كثير ، غير أنه عاد عن ذلك بعد أن أسره وسجنه نائب الأخشيدي . وفد على سيف الدولة ابن حمدان ، ثم على كافور الأخشيدي ، فمدحه ، وطلب منه ولاية ، غير أن كافور لم يلب رغبته هذه ، فانصرف عنه ، وهجاه هجاء مقذعاً . زار بلاد فارس ، ورحل إلى شيراز ، ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي ، ثم عاد يريد بغداد فالكوفة ، إلا أنه قتل في الطريق على يد جماعة فاتك الأسدي ، وكان ذلك عام ٩٦٥ م . له ديوان شعر .

(١) الحدث : قلعة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، وغلب عليها ، فتحصن الروم فيها ، فأتاهم ، وقتلهم ، فتلطخت بدمائهم ، ولذلك فاته وصفها بالحمراء

(٢) الخضارم : الكثير من كل شيء

(٣) الضراغم : الأسود

(٤) الفلا : جمع فلاة وهي الصحراء - أحداثها : صغار النسور ، والقشاعم هي النسور المستنة

(٥) الغمام : جمع غمامة - الغر : البيض

(٦) القنا : عيدان الرماح

(٧) تمائم : مفردا تميمة ، وهي خرزة أو ما يشبهها كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح الشريرة

(٨) الخطي : الرمح

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الحديدَ كأنما
إذا بَرَقوا لم تُعرف البيضُ منهم
خَمِيسٌ بِشَرْقِ الأرضِ والغربِ رَحْفُهُ
تَجْمَعُ فَيُحْيِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأَمَةٍ
فَلِلَّهِ وَقْتُ ذُوبِ الْغَيْشِ نَارُهُ
تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدرعُ والقنا
وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ
تَمْرُ بَكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةٍ
تَجَاوَزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى
ضَمَمْتُ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً
بِضَرْبِ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ
حَقَرْتُ الرَّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ كُلَّهُ
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
تَظُنُّ فِرَاحَ الْفَتْحِ أَنْكَ زُرَّتَهَا
إِذَا زَلِقَتْ مَشْيِيَّتَهَا بِبَطُونِهَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقْ مُقَدِّمٌ
أَيُنْكَرُ رِيحَ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ
وَقَدْ فَجَعْتُهُ بِأَبْنِهِ وَأَبْنِ صَهْرِهِ

سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ
ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٩)
وَفِي أُذُنِ الْجِوْزَاءِ مِنْهُ زَمَانُ^(١٠)
فَمَا يُفْهِمُ الْحُدَاثُ إِلَّا التَّارَاجِمُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١١)
وَقَرَّ مِنَ الْفَرَسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَثَغْرَكَ بِأَسِيمِ
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ
تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(١٢)
وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(١٣)
وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمَحِ شَاتِمٌ^(١٤)
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
كَمَا تَثُرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(١٥)
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمِ
بِأَمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ^(١٦)
كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ^(١٧)
قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمٌ
وَقَدْ عَرَفْتُ رِيحَ اللَّيْلِ الْبِهَائِمُ
وَبِالصَّهْرِ حِمْلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ

(٩) البيض : السيوف

(١٠) الخميس : الجيش - الزمان : ومفردا زمزمة وهي صوت الرعد

(١١) الصارم : السيوف القاطع - الضبارم : الشجاع

(١٢) جناحيهم : ميمنة الجيش وميسرته - القلب : وسط الجيش
- الخوافي والقوادم : ريش الطائر، وهي الريش المخفي تحت الجناح وكذلك الموجود عند القوادم

(١٣) الهامات : الرؤوس ومفردا هامة - اللبات : أعالي الصدور

(١٤) الردينيات : الرماح (١٥) الاحيدب : جبل فوق قلعة الحدث

(١٦) الفتخ : جمع فتخاء ، وهي اللبنة الجناح من العقبان - الصلادم : الشداد

(١٧) الصعيد : وجه الأرض - الأراقم : هي مفرد أرقام وهي الحية السوداء البيضاء

لما شغلّتها هامهم والمعاصم^(١٨)
 على أن أصوات السيوف أعاجم^(١٩)
 ولكن مغنوماً نجماً منك غانم
 ولكنك التوحيد للشرك هانم
 وتفتخر الدنيا به لا العواصم
 فانك معطيه وإنني ناظم
 فلا أنا مذموم ولا أنت نادم
 إذا وقعت في مسمعيه الغماغم^(٢٠)
 ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم
 وراجيك والاسلام أنك سالم
 وتفليقه هام العدى بك دائم

مضى يشكر الأصحاب في قوته الظبي
 ويفهم صوت المشرفة فيهم
 يسر بما أعطاك لا عن جهالة
 ولست ملكاً هانماً لنظيره
 تشرف عدنان به لا ربيعة
 لك الحمد في الدر الذي لي لفظه
 وإنني لتعذو بي عطايك في الوغى
 على كل طيار إليها برجله
 ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً
 هتينا لضرب الهام والمجد والعلو
 ولم لا يقي الرحمن حديثك ما وقى

ديوان المتنبي

(١٨) الظبي : حد السيف

(١٩) المشرفة : السيوف

(٢٠) الغماغم : جمع غممة ، وهي اختلاط الأصوات

وقال ابن حمديس* يخاطب أهل بلده ويحضهم على الجهاد

إذا لم أصل بالعُربِ منكم على العُجْمِ
دَوَاهٍ ، وانتم في الأمانى مع الحُلمِ
الى أهل كَأْسٍ حَشَتْهَا بَابِنَةُ الكَرَمِ^(١)
مُصْرَحَةٌ فِي الرُّومِ بِالنُّكْلِ وَالْيَتَمِ
على الشمس ما هالته ليلاً على النجم
بُرُوقٌ بِضَرْبِ الهَامِ مُحَمَّرَةٌ السَّجَمِ^(٢)
ظهوراً فقد تخفى الجداول بالرجم^(٣)
أحبُّ الى سمعي من النقر في البم^(٤)
يسيل الى الهيجاء مُتَقَدِّمُ العَزَمِ^(٥)
يَطِيرُ الى الحربِ اشتياقاً عن السَّلمِ
لتسريدها أَمِنْ مِنَ القُورِ وَالْقَصَمِ^(٦)
جلا ما جلا الاصباحُ من ظلمة الظلم
قُبَيْلَ خُرُوجِ الحَدِّ منه عن الجسم
ولكن بما في العظم بالبري للعظم
يُرَدُّ في الاسماعِ جَرَجَرَةُ القَرَمِ^(٧)
بِتَصْرِيفِ فِعْلِ الجَهْلِ منه على علم
فأهواؤكم في الأرض منثورَةٌ النُظْمِ

بَنِي الثُّغْرِ لَسْتُمْ فِي الوغى من بني أُمي
دَعَا النُّومَ إِنِّي خَائِفٌ أَنْ تَنُوسَكُمْ
وَكَأْسٍ بِأَمِ المَوْتِ يَسْعَى مُدِيرُهَا
فَرَدُّوا وَجْهَ الخِيلِ نَحْوَ كَرِيهَةٍ
تُهِيلُ مِنَ النَقِيعِ المَحْلَقِ بالضحي
وَصَوَّلُوا بِبَيْضٍ فِي العَجَاجِ كَانِهَا
وَلَا عَدَمَتْ فِي سَلْهَا مِنْ غَمُودِهَا
وَقَرَعُ الحِصَامِ الرَأْسَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ
وَلِلَّهِ مِنْكُمْ كُلِّ مَاضٍ كَغَضْبِهِ
يُحَدِّثُ بِالإِقْدَامِ نَفْساً كَانِمَا
يُنِيرُ عَلَيْهِ ضَبْرَهُ ، وَهُوَ نَشْرَةٌ
وَيَسْطُو بِمَحْجُوبِ الطُّبَاتِ إِذَا بَدَا
لَهُ دَخْلَةٌ فِي الجِسْمِ تُخْرِجُ نَفْسَهُ
وَمَا يُفْتَدِي مِنْهُ بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ
تُبَيِّنُ إِذَا مَا أَقْبَلَ المَوْتَ فَاغْرَأْ
لَهُ عَيْنُ ضَرِغَامٍ هَصُورٍ ، فَقَلْبُهُ
وَلِلَّهِ أَرْضٌ إِنْ عَدِمْتُمْ هَوَاءَهَا

* ابن حمديس : هو عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي ، ولد في جزيرة صقلية ، ونشأ بها ، ثم ارتحل عام ٤٧١ هـ الى الاندلس ، وبعدها الى افريقية عام ٤٨٤ هـ ، توفي في جزيرة ميورقة نحو عام ١١٣٣ م . له ديوان شعر .

(١) ابنة الكرم : الخمرة

(٢) البيض : السيوف - العجاج : الغبار - الهام : الرؤوس

- السجم : الدمع أو السحاب ويقصد بها هنا الدم

(٣) الرجم : كومة من الحجارة

(٥) كغضبه : العضب هو السيف القاطع

(٦) التسريد : التتابع - القور : فقء العين - القصم : القطع

(٧) القرم : فحل الابل

وَعَزَّكُمْ يُفْضِي إِلَى الذَّلِّ وَالنُّوَى
فَإِنَّ بِلَادَ النَّاسِ لَيْسَتْ بِأَدْنَى
أَعْنَ أَرْضِكُمْ يُغْنِيكُمْ أَرْضٌ غَيْرُكُمْ
أَخْلَى السَّيِّئِ وَدَى بِسُوءٍ وَصَلَّتْهُ
تَقْيِدُ مِنَ الْقَطْرِ الْعَزِيزِ بِمَوْطِنِ
وَأَيَّامُكَ يَوْمًا أَنْ تُجَرَّبَ غُرْبَةً
مَنْ الْبَيْنِ تَرْمِي الشَّمْلَ مِنْكُمْ بِمَا تَرْمِي
وَلَا جَارُهَا وَالْخَلْمُ كَالْجَارِ وَالْخَلْمُ^(٨)
وَكَمْ خَالَةٌ جَدَّاءَ لَمْ تُغْنِ عَنْ أُمِّ^(٩)
لَدَى كَمَا نَيْطُ الْوَلِيِّ إِلَى الْوَسْمِيِّ^(١٠)
وَمَتَّ عِنْدَ رَبِّعٍ مِنْ رَبِيعِكَ أَوْ رَسْمِ
فَلَنْ يَسْتَجِيزَ الْعَقْلُ تَجْرِبَةَ السَّمِّ

ديوان ابن حمديس الصقلي

(٨) الخلم : الصديق الحق

(٩) جداء : عظيمة اللبن أو قليلته

(١٠) نيط : علّق - الولي : المطر

- الوسمي : أول مطر الربيع

من الشعر العربي الحديث

رثاء الهبر

مصطفى وهبي التل *

الهبر: « نوري من القاطنين في الأردن ، واسمه رصاص . ولكنه لقب بالهبر لضخامة جسمه ووفرة لحمه . لا يكاد يختلف عن بني قومه في شيء ، وإن كان يتميز بقامته الفارعة وشعره الأشيب المنفوش ، ولحيته الكثة ، وسحته العجرية الأصلية ، وصوته الضخم الذي يشبه سهيل الخيل .

« ذات يوم أشيع أن الهبر مات ، فما كان من الشاعر إلا أن رثاه بهذه القصيدة ، التي نشرتها جريدة الأردن في عددها الصادر في ٢٧ / كانون الأول / ١٩٣٤م فكانت لها أصداء في الوسط الأدبي آنذاك ، فقد اعتاد الناس على أن يسمعوا الشعراء يرثون العظماء لا (النور) ، أو بالأحرى هذا النوري الدميم الخلقة ، الهبر ، لكن عراراً يرى غير هذا الرأي ، فيرثي الهبر ، غير أن الهبر مات عام ١٩٥٠ ، أي بعد وفاة الشاعر بحوالي عام » .

أَيْنَ جَمَشِيدُ؟ أَيْنَ كَايُوكْبَادُ؟	أَيْنَ زَالُ؟ زَالُوا جَمِيعاً وَبَادُوا
وَعَلَى « الهبر » قَدْ رَسَا مِثْلُهُمْ بَالُ	أَمْسَ فِي مَصْفَقِ الْمَنُونِ الْمَزَادُ
لَمْ تَقْطُرْ مَرَاثِرَ الزَّطِّ لَمَّا	غَيَّبُوهُ وَلَا انْفَرَّتْ أَكْبَادُ
وَدَوَّى طَبْلُهُمْ كَمَا كَانَ يَدَوَّى	يَوْمَ لَلْهَبْرِ كَانَتْ الْأَمْجَادُ
وَاسْتَمَرَ النَّدَمَانُ يُسْقَوْنَ صِرْفاً	مِنْ رَحِيْقٍ، كَرُومُهُ جَلَعَادُ
وَمَضَى عَارِزُ « الرِّبَابَةِ » يَشْدُو	لَحْنُهُ ، وَانْتَبَرَتْ لِرَقْصِ سَعْدَادُ ^(١)
« هَبْر » ! حَتَّى حَمِيرِ قَوْمِكَ إِذْ تَنْدُ	شَجَّ مَغْزَى نَشِيْجِهَا إِنْشَادُ
مَتَ كَمَا شَبَّتْ فَالْنَّدَامَى بِلَهْوِ	لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ عَلَيْكَ الْحِدَادُ
هَبْرُ! سَاقِي السَّقَاةِ مَا زَالَ	قَدْ نَحَاكَ عَمَّا أَصَابَهُ الْوَرَادُ
وَأَعُوْجَا جُ الزَّمَانِ يَا هَبْرُ مَا زَا	لَ أَعُوْجَا جَا يَنْوُءُ فِيهِ السَّدَادُ
وَيَبَاضُ النَّهَارُ مَا زَالَ مِنْهُ	حَظْلْنَا كَانَ يَا تَعْيِسُ سَوَادُ
لَا تَخَفْ ظُلْمَةَ الْقُبُورِ فَفِيهَا	يَتَسَاوَى: الْأَفْذَادُ وَالْأَوْغَادُ

* مصطفى وهبي التل : ولد في مدينة اربد عام ١٨٩٧ ، وتعلم فيها ، وكذلك في دمشق وحلب ، غير أنه طرد من المدارس قبل أن يتم دراسته بسبب ميوله السياسية . عين عام ١٩٢٣ حاكماً إدارياً لبلدة وادي السير ، ثم أدى امتحاناً في القوانين الأردنية ، وزاول مهنة المحاماة ، ثم تقلب في عدة وظائف حكومية . كان يلقب باسم (عرار) وعاش حياة بوهيمية ، أدت في النهاية إلى إصابته بالمرض ومن ثم الوفاة عام ١٩٤٩ . له ديوان شعر بعنوان (عشيات وادي اليابس) جمع بعد وفاته .

(١) سعاد : إحدى راقصات النور .

وَيَنَامُ الصُّعْلُوكُ جَنْبًا لِّجَنْبٍ وَالسُّرَّةُ الَّذِينَ شَادُوا وَسَادُوا

* * *

أَيُّ هَذَا التُّرَابُ بِوَرِيكَتَ مَنْ قَا
هَبْرُ أَلَيْسَتْ دُنْيَاكَ عَبْدَةً رِقْ
كُلَّ حَيٍّ لَسَوْفَ تَحْمِلُهُ يَمِينُ
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ مَنْ يَحْسَبُ
إِنَّ حَبْلَ الرُّدَى مَشَاعٌ وَعَنَّهُ
ضِلَّاحُ كَامِهِ اسْتِرَاحَ الْعِبَادُ
لَأَنَاسٍ يَعْرِفُهَا أَسْيَادُ
مَا لَمَّا لَوَاكَ مَرْغَمًا أَعْوَادُ
سَبَّ الْعُمَرَاءِ بِنَاءً لَا يَعْتَرِيهِ النِّقَادُ
قَفَزَ الْهَبْرُ وَابْنُ شَدَادٍ عَادُ

ديوان عشيات وادي اليباس

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

حافظ ابراهيم *

وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
عقمتُ فلم أجزع لِقولِ عُداتي
رجالا واكفاء وأدتُ بناتِي
وما ضِقتُ عن أيِّ بهٍ وعظمت
وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعات؟
فهل سألوا الغواص عن صدفتي
ومنكم وإن عز الدواء أساتي
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
وكم عز أقوامٍ بعزل لغات
فيا ليتكم تأتون بالكلمات !
ينادي بوادي في ربيع حياتي ؟
بما تحته من عشرة وشتات
يعز عليها أن تلين قناتي !
لهنَّ بقلب دائم الحسرات
حياء بتلك الأعظم النخرات
من القبر يدنيني بغير أناة
فأعلم أن الصائحين نعاتي

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي
رموني بعقمٍ في الشباب وليتني
ولدتُ ولما لم أجد لعرائسي
وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
فلا تكوني للزمان قبانني
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم
سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً
حفظن ودادي في البلى وحفظته
فأخرتُ أهل الغرب والشرق مطرق
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا
وأسمع للكتاب في مصر ضجة

* حافظ ابراهيم : هو محمد حافظ بن ابراهيم فهمي . ولد في مصر عام ١٨٧١ ، ونشأ يتيماً بعد وفاة أبيه وأمه ، وقال الشعر ولما يزل طالباً في المدرسة . عمل في بداية حياته في حقل المحاماة ، ثم التحق بالمدرسة الحربية ، وتخرج منها عام ١٨٩١ . طرد من الجيش ، ثم أعيد إليه ، ثم عمل بعد نهاية خدمته العسكرية محرراً في صحيفة الأهرام . عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية عام ١٩١١ ، وبقي كذلك حتى توفي عام ١٩١٦ . لقب بشاعر النيل . من آثاره : (ديوان حافظ / جزآن) و (البؤساء / مترجم) و (ليالي سطيف) و (كتيب في الاقتصاد) و (التربية الأولية / مدرسي مترجم) .

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عفا الله عنهم -
سَرَتْ لَوْثَةُ الْاِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ خِمْ سَبْعِينَ رَقْعَةً
إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَّابِ وَالْجَمْعِ حَافِلِ
فَإِذَا حَيَاةٌ تَبَعَتْ الْمَيِّتَ فِي الْبَلَى
وَأَمَامَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ
إِلَى لَفْظَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرَوَاةٍ ؟
لَعَابِ الْاِفْعَاعِي فِي مَسِيلِ فِرَاتٍ
مَشْكَلَةُ الْأَلْوَانِ مَخْتَلِفَاتٍ
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايَتِي
وَتَنَبَّأْتُ فِي تِلْكَ الرَّمُوسِ رِفَاتِي
مَمَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتٍ

ديوان حافظ ابراهيم

عمر المختار^(١)

أحمد شوقي*

ركنوا رفاتك في الرمال لواء
يا ويحهم ! نَصَبُوا مناراً من دم
ما ضُرُّ لو جعلوا العلاقة في غد
جرح يصيح على المدى ، وضحية
يأتيها السيف المجرد بالفلا
تلك الصحارى غمد كل مهند
وقبور موتى من شباب أمية
لولا بالجوزاء منهم معقل
فتحوا الشمال : سهوله وجباله
وبنوا حضارتهم ، فطاول ركنها
يستنهض الوادي صباح مساء
توحي الى جيل الغد البغضاء
بين الشعوب مودة وإخاء ؟
تتلمس الحرية الحمراء
يكسو السيوف على الزمان مضاء
أبلى فأحسن في العدو بلاء
وكهولهم لم يبرحوا أحياء
دخلوا على أبراجها الجوزاء
وتوغلوا ، فاستعمروا الخضراء
(دار السلام) ، و (جَلَّق) السماء^(٢)

* * *

خَيْرَتْ فَأَخْزَتْ المبيتَ على الطوى
إِنَّ البطولة أَنْ تموتَ من الظما
أفريقيا مهد الأسود ولحدها
والمسلمون على اختلاف ديارهم
والجاهلية من وراء قبورهم
لم تَبْنِ جاهاً ، أو تلم ثراء
ليس البطولة أَنْ تُعَبَّ الماء
ضجت عليك أراجل ونساء
لا يملكون مع المصاب عزاء
يبكون زيد الخيل والفلحاء^(٣)

* * *

* أحمد شوقي : هو أحمد بن علي بن أحمد شوقي . ولد في القاهرة عام ١٨٦٨ ، وقد لقب بأمير الشعراء ، درس في بعض المدارس الحكومية ، وعمل مدة عامين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق ، ثم سافر الى فرنسا عام ١٨٨٧ ، وتابع هناك دراسة الحقوق ، وعاد سنة ١٨٩١ الى مصر ، فعين في ديوان الخديوي حلمي ، ومثل الحكومة المصرية سنة ١٨٩٦ في مؤتمر المستشرقين في جنيف ، نفي من مصر الى اسبانيا عام ١٩١٥ وأقام هناك الى أن عاد الى مصر في أواخر عام ١٩١٩ حتى توفي فيها عام ١٩٣٢ . من آثاره : ديوانه (الشوقيات / أربعة أجزاء) و (دول العرب) و (مصرع كيلوباتره / قصة شعرية) و (مجنون ليلى / مسرحية شعرية) و (قمبيز) و (علي بك) و (علي بك الكبير) و (عذراء الهند) .

(١) عمر المختار : ليبي من الأسرة السنوسية - قاتل الطليان وناضل ضدهم دفاعاً عن القيم الإسلامية والعربية وعن استقلال وحرية بلاده . أعدمه الطليان شنقاً سنة ١٩٣١ وكان يناهز التسعين

(٢) دار السلام : بغداد ، جلق : دمشق

(٣) زيد الخيل : اسم فارس عربي ، الفلحاء : عنترة العبسي

جسد (ببرقة) وسد الصحراء^(٤)
تبلى ، ولم تبق الرماح دماء
باتا وراء السافيات هباء
« تنك » ، ولم يك يركب الاجواء^(٥)
وأدار من اعرافها الهيجاء

* * *

لم تخش إلا للسما قضاء
سقراط جرأ الى القضاة رداء
كالطفل من خوف العقاب بكاء
ففتغیرت ، فتوقع الضراء
في السجن ضرغاما بكى استخاء
أسدي جر رحية رقطاء
ومشت بهيكله السنون فناء
لترجلت هضباته إغياء^(٦)
من رفق جند قادة نبلاء
عرف الجدود ، وأدرك الأبناء

* * *

يأسو الجراح ، ويصلق الاسراء
ويصف حول خوانه الاعداء
ليث يلفظ حوله الحوباء
من كان يعطي الطعنة النجلاء
بالحق هدم تارة وبناء
إلا أباة الضيم والضعفاء

* * *

فأصوغ في عمر الشهيد رثاء ؟

في ذمة الله الكريم وحفظه
لم تبق منه رحي الوقائع أعظما
كرفات نسر أو ببقية ضيغم
بطل البداوة لم يكن يغزو على
لكن أخوخيل حمى صهواتها

لبنى قضاء الأرض أمس بمهجة
واقفاء مرفوع الجبين كأنه
شيخ تمالك سنة لم ينفجر
وأخو أمور عاش في سرائها
الأسد تزار في الحديد ولن ترى
واني الأسير يجر ثقل حديده
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ
تسعون لوركت مناكب شاهق
خفيت عن القاضي ، وفات نصيبها
والسن تعصف كل قلب مهذب

دفعوا الى الجلال أغلب ماجدا
ويشاطر الأقران ذخرا سلاحه
وتخيروا الحب المهيمن منية
حرموا الممات على الصوارم والقنا
إنني رأيت يد الحضارة أولعت
شرعت حقوق الناس في أوطانهم

يأيها الشعب القريب ، أسمع

(٤) برقة : المنطقة الشرقية من ليبيا ، اشتهرت بوقائعها الحربية بين الطليان والعرب

(٥) تنك : يقصد الدبابة المستعملة في الحروب

(٦) تسعون : يقصد سنه حين قبض عليه

أَمْ أَلْجَمْتُ فَاكَ الْخَطُوبُ وَحُرُمْتُ
ذَهَبَ الزُّعْمِ وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدٌ
وَأَرْحَ شَيْوُخَكَ مِنْ تَكَالِيفِ الْوَعَى
أُذُنُكَ حِينَ تَخَاطَبُ الْأَصْفَاءَ؟
فَانْقَدِ رَجَالَكَ، وَاخْتَرِ الزُّعْمَاءَ
وَاحْمِلْ عَلَى فُتْيَانِكَ الْأَعْبَاءَ

الشوقيات

وقال محمود سامي البارودي* بعد وصوله الى جزيرة (سرنديب) وقد رأى ابنته الوسطى (سميرة) في المنام

تَأْوُبُ طَيْفٌ مِنْ «سَمِيرَةَ» زَائِرُ
طَوَى سَدْفَةَ الظُّلُمَاءِ ، وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ
فِيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمْ يَدُونَهُ
تَخْطَى إِلَيَّ الْأَرْضَ وَجْداً ، وَمَا لَهُ
أَلَمْ ، وَلَمْ يَلْبِثْ ، وَسَارَ ، وَلَيْتَهُ
تَحْمَلُ أَهْوَالَ الظُّلُمِ مُخَاطِراً
خَمَاسِيَّةً ، لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ وَالسَّرَى
عَقِيلَةُ أَتْرَابٍ تَوَالَيْنَ حَوْلَهَا
غَوَافِلٌ لَا يَعْرِفْنَ بؤْسَ مَعِيشَةٍ
تَعُوذُنْ خَفَضَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ الدَّرِ
فَهَنْ كَعَنَقُودِ الثَّرِيَا ، تَالَقَتْ
تَمَثَّلَهَا الذِّكْرَى لِعَيْنِي ، كَأَنَّنِي
فَطَوَّرَا إِخَالَ الظَّنِّ حَقًّا ، وَتَارَةً
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَبَتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْسِ وَهِيَ حَيَاتُهَا
فَإِنْ تُكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
هِيَ الدَّارُ ؛ مَا الْإِنْفَاسُ إِلَّا نَهَائِبُ
إِذَا أَحْسَنْتُ يَوْمًا إِسَاعَتَ ضُحَى غَدِ
تَرَبُّ الْفَتَى ، حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ

وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ
بِأَرْوَاقِهِ ، وَالنُّجُومُ بِالْأَفَقِ حَائِرُ
مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ^(١)
سَوَى نَزَوَاتِ الشُّوقِ حَادٍ وَزَاوِرُ
أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدِّيَاوِرُ
وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لَا تُخَاطِرُ
وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفَحَتِهَا السَّائِرُ
كَمَا دَارَ بِالْبَدْرِ النُّجُومُ الزَّوَاهِرُ
وَلَا هُنَّ بِالْخَطْبِ الْمَلَمُّ شَوَاعِرُ
رَحِيمٌ ، وَبَيْتُ شَيْدَتِهِ الْعَنَاصِرُ
كَوَاكِبُهُ فِي الْأَفَقِ ، فَهِيَ سَوَافِرُ
إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْأَرْضِ نَاضِرُ
أَهِيمٌ ، فَتَغْشَى مَقَلَّتِي السَّمَادِرُ
وَيَا قُرْبَ مَا التَّقْتُ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ !
لِمَا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ
فَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
لَدَيْهَا ، وَمَا الْأَجْسَامُ إِلَّا عَقَائِرُ
فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ
دَهْتُهُ ، كَمَا رَبَّ الْبَهِيمَةَ جَازِرُ

* محمود سامي البارودي : ولد في القاهرة عام ١٨٣٩ ، وتوفي فيها عام ١٩٠٤ . درس في المدرسة الحربية ، وكان قائداً لحملتين عسكريتين وجهتا لمساندة تركيا . تقلب في عدة مناصب انتهت به إلى أن يصبح رئيساً للنظار . شارك في الثورة العربية التي اندلعت في مصر ، فاعتقله الإنكليز ، ثم نفوه إلى جزيرة سيلان ، ثم صدر عفو عنه ، فعاد إلى مصر عام ١٨٩٩ بعد أن قضى في المنفى سبعة عشر عاماً . له ديوان شعر من جزئين و(مختارات البارودي) .

(١) البحر الجنوبي : المحيط الهندي

على طول ما تجني على الخلق واطر
بأن يتوقاها القرين المعاشر
درى أنها بين الانام تقامر
ومن لم يجد مندوحة فهو صابر
بمستحسن كالظم والمرء قادر
نواعي المنى - فالصبر فيه المعاذر
وصلت لما أرجوه مما أحاذر
وتنهض بالمرء الجدود العواثر
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر
مجاهدة الايام وهو ماثابر
يحاذره من دهره فهو خاسر
فليس له في معرض الحق ناصر
فما هو الا طائش اللب نافر
جبان ، ولم يحو الفضيلة ثائر
وتقوى هموم القلب وهو مغامر
إذا لم تكن سوم الرجال المآثر ؟
ولكن لأمر أوجبته المفاسر
فكل زهيد يمسك النفس جابر
ولا شهر السيف اليماني شاهر
ويقبل مكنوب المنى وهو صاغر
فكل الذي في الكون للنفس ضائر
ومن أمنه ما فاجأته المخاطر
ولا ذنب لي ان عارضتني المقادر
ولا كل محبوب التريكة ظافر
علي ، وعرضي ناصح الجيب وافر ؟
إذا شان حيا بالخيانة ذاكر
وغادرتها في وكرها وهي طائر

لها ترة في كل حي ، وما لها
كثيرة ألوان السواد ، ملية
فمن نظر الدنيا بحكمة ناقد
صبرت على كره لما قد أصابني
وما الظم عند الخطب والمرء عاجز
ولكن إذا قل النصير ، واعوزت
فلا يشمت الأعداء بي ، فلربما
فقد يستقيم الأمر بعد اعوجاجه
ولي أمل في الله تحيا به المنى
وطيد ، يزل الكيد عنه ، وتنقضي
إذا المرء لم يركن الى الله في الذي
وإن هو لم يصبر على ما أصابه
ومن لم يذق حلو الزمان ومره
ولولا تكاليف السيادة لم يخب
تقل نواعي النفس وهي ضعيفة
وكيف يبين الفضل والنقص في الورد
وما حمل السيف الكمي لزيانة
إذا لم يكن إلا المعيشة مطلب
فلولا العلاما أرسل السهم نازع
من العار أن يرضى الدنية ماجد
إذا كنت تخشى كل شيء من الردى
فمن صحة الانسان ما فيه سقمه
علي طلاب العزم من مستقره
فما كل محلول العريكة خائب
فماذا عسى الأعداء ان يتقولوا
فلي في مراد الفضل خير مغبة
ملك عقاب الملك وهي كسيرة

لصَبَحَنِي قَسَطُ مِنَ الْمَالِ غَامِر
تُعَابُ بِهَا ، وَالدهْرُ فِيهِ الْمَعَايِر
إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قَرَاهِ الْعِشَائِر
وَقَدْ لَا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِر
لِكَأَثَرِ رَبِّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِر
فَقَدْ يَشْهَدُ السِّيفُ الْوَغَى وَهُوَ حَاسِر
نَعِيمٌ ، وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمِفَاقِر
صَبُولٌ وَأَفْوَاهُ الْمَنِيَا فَوَاغِر
وَلَا أَنَا إِنْ أَقْصَانِي الْعَدَمُ بِاسِر
وَلَا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرَفِ الْمَرْءُ سَاتِر
فَحَلِيَّتُهُ وَصَمُّ لَدَى الْحَرْبِ ظَاهِر
تَقَاسَمَهَا فِي الْأَهْلِ بَادٍ وَحَاضِر
وَكَمْ سَيِّدَاتُ عَلَيْهِ الدَّوَائِر
وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخْنَهُ الْخَوَافِر ؟
وَتَنْزُو بِعَوْرَاءِ الْحَقُودِ السَّرَائِر
غِيَايَتُهَا ، وَاللَّهُ مِنْ شَاءٍ نَاصِر
تَرَامَتْ بِأَفْلَازِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِر
إِلَى غَايَةِ تَنْفَتٍ فِيهَا الْمَرَائِر
عَلَى فَلَكَةِ السَّاقِينَ فِيهَا الْمَآزِر
وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ ، وَالزُّورُ عَآثِر
فَمَا أَوَّلُ إِلَّا وَيَتْلُوهُ آخِر

وَلَوِ رَمَتْ مَا رَامَ امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ
وَلَكِنْ أَتَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةَ سُوءًا
فَلَا تَجْسِبُ الْمَالَ يَنْفَعُ رِيَهُ
فَقَدْ يَسْتَجِمُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِب
وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْفَنَى
فَلَا غُرُوْا إِنْ حَزَتْ الْكَارِمَ عَارِيَا
أَنَا الْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَنْ دَرْكِ الْعِلَا
قَبُولٌ وَاحْلَامُ الرِّجَالِ عَوَازِبُ
فَلَا أَنَا إِنْ أُنْثَنِي الْوَجْدُ بِاسْمِ
فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعَرَضُ فَاضِح
إِذَا مَا ذَبَابَ السِّيفُ لَمْ يَكُ مَاضِيَا
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصْبَحْتُ فَلِ رِزِيَةِ
فَكَمْ بَطَلُ فَلِ الزَّمَانِ شَبَاتِهِ
وَأَيُّ حَسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كِلَالَةٌ ؟
فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَظَرِ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ ، ثُمَّ تَنْجَلِي
فَقَدْ حَاطَنِي فِي ظِلْمَةِ الْحَبْسِ ، بَعْدَمَا
فَمَهْلًا بَنِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا ، فَإِنَّا
تَطْوِلُ بِهَا الْأَنْفَاسُ بُهْرًا ، وَتَلْتَوِي
هَنَالِكَ يَعْלוُ الْحَقُّ ، وَالْحَقُّ وَاضِحٌ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

ديوان محمود سامي البارودي

ارادة الحياة

أبو القاسم الشابي*

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
ولا بد ليلاً أن ينجلي
ومن لم يعانقه شوق الحياة
فويل لمن لم تشقه الحياة
كذلك قالت لي الكائنات
ولا بد ليلاً أن ينكسر
تبخر في جوها ، واندثر
من صفة العدم المنتصر
وحدثني روحها المستتر

* * *

ودمدمتُ الريح بين الفجاج
إذا ما طمحت إلى غاية
« ولم أتجنبْ وعور الشعاب
ومن لا يحب صعود الجبال
فمجتُ بقلبي دماء الشباب
وأطرقتُ ، أصفي لقصف الرعود
وقالت لي الأرض - لما سألت : « أيا أم هل تكرهين البشر ؟ »
« أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر »
« وألعن من لا يماشي الزمان ، ويقنع بالعيش عيش الحجر »
« هو الكون حي ، يحب الحياة ويحتقر الميت ، مهما كبر »
« فلا الأفق يحضن ميت الطيور ، ولا النحل يلثم ميت الزهر »
« ولولا أمومة قلبي الرؤوم لما ضمت الميت تلك الحفر »
« فويل لمن لم تشقه الحياة ، من لعنة العدم المنتصر ! »

* * *

وفي ليلة من ليالي الخريف مثقلة بالأسى والضجر

* أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي : شاعر من تونس ، ولد عام ١٩٠٦ ، ومات عام ١٩٣٤ وهو في ريعان الشباب . درس في المعهد الزيتوني بتونس وتخرج من مدرسة الحقوق التونسية . له ديوان شعر ، وكتاب (الخيال الشعري عند العرب) و (أثار الشابي) و (مذكرات)

سكرتُ بها من ضياء النجوم وغنيتُ للحزن حتى سكرُ
 سألتُ الدجى : هل تعيد الحياة لما أذبلتُ ربيعُ العمر ؟
 فلم تتكلم شفاء الظلام ولم تترنم عذاري السحر
 وقال لي الغابُ في رقة محببة مثل خفق الوتر :
 « يجيءُ الشتاء ، شتاء الضبابِ شتاءُ الثلوج ، شتاءُ المطرِ »
 « فينطفئُ السحرُ ، سحرُ الغصونِ ، وسحرُ الزهورِ وسحرُ الثمرِ »
 « وسحرُ السماءِ الشجي ، الوديع ، وسحرُ المروجِ الشهي ، العطرِ »
 « وتهوي الغصونُ ، وأوراقُها ، وأزهارُ عهدِ حبيبِ نضرِ »
 « وتلهو بها الريحُ في كل وادٍ ، ويدفنها السيلُ ، أنى عَبرِ »
 « ويفنى الجميعُ كحلمٍ بديعٍ ، تالِقٍ في مهجةٍ واندثرِ »
 « وتبقى البنورُ ، التي حملتْ ذخيرةَ عمرٍ جميل ، غَبرِ »
 « وذكرى فصولٍ ، ورؤيا حياةٍ وأشباحُ دنيا ، تلاشت زُمَرِ »
 « معانقة - وهي تحت الضبابِ ، وتحت الثلوج ، وتحت المَدَرِ »
 « لطيفِ الحياةِ الذي لا يَمُلُ ، وقلبِ الربيعِ الشذي الخضرِ »
 « وحالة باغانى الطيورِ ، وعطرِ الزهورِ ، وطعمِ الثَمَرِ »

* * *

« ويمشي الزمانُ ، فتنمو صروفُ ، وتنوي صروفُ ، وتحيا أحرُ »
 « وتصيحُ أحلامها يقظةً ، موشحة بغموضِ السحرِ »
 « تسائل : أين ضبابُ الصباح ؟ وسحرُ المساء ؟ وضوءُ القمر ؟ »
 « وأسرابُ ذاك الفراشِ الأنيق ؟ ونحلُ يغني ؟ وغيمُ يَمُر ؟ »
 « وأين الأشعة والكائنات ؟ وأين الحياة التي انتظر ؟ »
 « ظمئت الى النور ، فوق الغصونِ ! ظمئت الى الظل تحت الشجر ! »
 « ظمئت الى النبع ، بين المروجِ يغني ، ويرقصُ فوق الزُهر ! »
 « ظمئت الى نغماتِ الطيورِ ، وهمسِ النسيمِ ، ولحنِ المطرِ »
 « ظمئت الى الكونِ ! أين الوجودُ وأنى أرى العالمَ المنتظر ؟ »
 « هو الكونُ ، خلفَ سباتِ الجمودِ ، وفي أفقِ اليقظاتِ الكُبرِ »

* * *

« وما هو إلا كخفق الجناح حتى نما شوقها وانتصر »
 « فصدعت الأرض من فوقها وأبصرت الكون عذب الصور »
 « وجاء الربيع بانغمامه، وأحلامه، وصباحه العطر »
 « وقبلها قبلاً في الشفاء، تُعيد الشباب الذي قد غُبر »
 « وقال لها : قد منحت الحياة، وخلدت في نسلك المدخر »
 « وباركك النور، فاستقبلي شباب الحياة وخصب العمر »
 « ومن تعبد النور أحلامه، يباركه النور أنى ظهر »
 « اليك الفضاء، اليك الضياء، اليك الثرى الحالم، المزدهر ! »
 « اليك الجمال الذي لا يبيد ! اليك الوجود الرحيب، النضر ! »
 « فميدي - كما شئت - فوق الحقول، بحلو الثمار وغض الزهر »
 « وناجي النسيم وناجي الغيوم، وناجي النجوم، وناجي القمر »
 « وناجي الحياة وأشواقها، وفتنة هذا الوجود الأغر »

* * *

« وشَفَّ الدُّجَى عن جَمالٍ عميق يشب الخيال، ويذكي الفكر »
 « ومدَّ على الكون سحرٌ غريب، يصرفه ساحرٌ مقتدر »
 « وضاعت شُموعُ النجوم الوضاء، وضاع البخور، بخور الزهر »
 « ورفرف روحٌ غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياء القمر »
 « ورنَّ نشيدُ الحياة المقدس في هيكَلٍ حالمٍ، قد سحر »
 « وأعلن في الكون : أن الطموح لهيبُ الحياة، وروح الظفر »
 « إذا طمحت للحياة النفوس فلا بدُّ أن يستجيب القدر ؟ »

ديوان أغاني الحياة

يوميات جرح فلسطيني مهداة إلى فدوى طوقان

محمود درويش*

- ٤ -

أول الليل على عينيك ، كان
في فؤادي ، قطرة من آخر الليل الطويل
والذي يجمعنا ، الساعة ، في هذا المكان
شارع العودة
من عصر الذبول .

- ٥ -

صوتك الليلة ،
سكينٌ وجرحٌ وضما
ونعاسٌ جاء من صمتِ الضحايا
أين أهلي ؟
خرجوا من خيمة المنفى ،
وعادوا مرة أخرى سبياً !

- ٦ -

كلماتُ الحبِّ لم تصدأ ، ولكن الحبيب واقعٌ
في الاسر - يا حبي الذي حملني
شرفات خلعتها الريح ..
أعتاب بيوت
وذنوب ،
لم يسع قلبي سوى عينيك ،
في يوم من الأيام ،

- ١ -

نحن في حلٍّ من التذكار
فالكرمل فينا
وعلى أهدابنا عشبُ الجليل
لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر إليها ،
لا تقولي !
نحن في لحم بلادي .. هي فينا !

- ٢ -

لم نكنُ قبل حزيران كأفراخ الحمام
ولذا ، لم يتفتت حبُّنا بين السلاسل
نحنُ ، يا أختاه ، من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً ،
ولكننا نقاتل .

- ٣ -

ذلك الظل الذي يسقط في عينيك
شيطانُ إله
جاء من شهر حزيران
لكي يعصبَ بالشمسِ الجباه
انه لونُ شهيد
انه طعمُ صلاة
انه يقتل أو يحيى ،
وفي الحالين : آه !

* محمود درويش : شاعر من فلسطين ، ولد عام ١٩٤٢ في فلسطين ، وقد هدم الصهاينة قريته وأقاموا فوقها
مستوطنة صهيونية . كان من أبرز شعراء المقاومة في الأرض المحتلة ، ثم غادر فلسطين ، والتحق في صفوف
المقاومة الفلسطينية . له آثار شعرية عديدة منها : (عصافير بلا أجنحة) و (عاشق من فلسطين) و (محاولة رقم ٧)
وبغير ذلك .

والآن أغتني بالوطن !

- ٧ -

وعرفنا ما الذي يجعل صوت القبره
خنجرا يلمع في وجه الغزاه
وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبره
مهرجانا .. وبساتين حياه !

- ٨ -

عندما كنت تغنين ، رأيت الشرفات
تهجر الجدران
والساحة تمتد الى خصر الجبل
لم تكن نسمع موسيقى ،
ولا نبصر لون الكلمات
كان في الغرفة مليون بطل !

- ٩ -

في دمي ، من وجهه ، سيف
ونبض مستعار ،
عدتُ خجلان الى البيت ،
فقد خرُّ على جراحي .. شهيدا
كان مأوى ليلة الميلاد ،
كان الانتظار
وأنا أقطفُ من ذكراه .. عيدا !

- ١٠ -

الندى والنار عيناها ،
إذ ازددتُ اقترابا منه غنى
وتبخرت على ساعده لحظة صمت ، وصلاته
أه سميه كما شئت شهيدا
انه أجمل منا
غادر الكوخ فتى
ثم أتى ، لما أتى

وجه إله !

- ١١ -

هذه الأرض التي تمتص جلد الشهداء
تعدُ الصيفَ بقمح وكواكب
فأعبيها !
نحن في أحشائها ملح وماء
وعلى أحضانها جرح .. يحارب

- ١٢ -

دمعتي في الحلق ، يا أخت ،
وفي عيني نار
وتحررت من الشكوى على باب الخليفة
كل من ماتوا
ومن سوف يموتون على باب النهار
عانقوني ، صنعوا مني .. قذيفة !

- ١٣ -

منزل الأحباب مهجور ،
ويافا ترجمت حتى النخاع
والتي تبحث عني
لم تجد مني سوى جبهتها
أتركي لي كل هذا الموت ، يا أخت ،
أتركي هذا الضياع
فأنا أضفره نجماً على نكبتها !

- ١٤ -

أه يا جراحي المكابر
وطني ليس حقيبة
وأنا لست مسافر
إنني العاشق .. والأرض حبيبة !

- ١٥ -

وإذا استرسلتُ في الذكرى !
نما في جبهتي عشب الندم
وتحسرتُ على شيء بعيد
وإذا استسلمتُ للشوق ،
تبيئتُ أساطير العبيد
وأنا آثرتُ أن أجعل من صوتي حصاة
ومن الصخر نغم !

- ١٦ -

جبهتي لا تحمل الظل ،
وظلي لا أراه
وأنا أبصق في الجرح الذي
لا يشعل الليل جباه !
خبئي الدمعة للعبد
فلن نيكي سوى من فرح
ولنُسَمِّ الموت في الساحة
عرسا ، وحياة !

- ١٧ -

وترعرعتُ على الجرح ، وما قلتُ لأمي
ما الذي يجعلها في الليل خيمة
أنا ما ضيعتُ ينبوعي وعنواني وإسمي
ولذا أبصرتُ في أسماها
مليون نجمة !

- ١٨ -

رايتي سوداء ،
والميناء تابوت
وظهري قنطره
يا خريف العالم المنهار فينا
يا ربيع العالم المولود فينا

زهرتي حمراء ،
والميناء مفتوح
وقلبي شجرة !

- ١٩ -

لغتي صوت خرير الماء
في نهر الزوابع
ومرايا الشمس والحنطة
في ساحة حرب
ربما أخطأتُ في التعبير أحيانا
ولكن كنتُ - لا أخجل - رائع
عندما استبدلتُ بالقاموس قلبي !

- ٢٠ -

كان لا بد من الأعداء
كي أعرف أنا توأمان !
كان لا بد من الريح
لكي نسكن جذع السنديان
ولو أن السيد المصلوب لم يكبر على عرش
الصليب ظل طفلا ضائع الجرح ..
جبان !

- ٢١ -

لك عندي كلمة
لم أقلها بعد ،
فالظلُّ على الشرفة يحتلُّ القمر
وبلادي ملحمة
كنتُ فيها عازفا .. صرْتُ وتر !

- ٢٢ -

عالم الآثار مشغول بتحليل الحجارة
إنه يبحث عن عينيه في ردم الأساطير
لكي يثبت أنني :

- ١٦٧ -

عابر في الدرب لا عيّن لي !
لا حرف في سفر الحضارة !
وأنا أزدع أشجاري ، على مهلي ،
وعن حبي أغني !

— ٢٣ —

غيمة الصيف التي .. يحملها ظهر الهزيمة
علّقت نسل السلاطين
على جبل السراب
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمة
ها أنا ازددت التصاقاً .. بالتراب !

— ٢٤ —

أن لي أن أبدل اللفظة بالفعل ، وأن
لي أن أثبت حبي للثرى والقبره
فالعصا تفترس القيثارة في هذا الزمان
وأنا أصفر في المرأة ،
عذ لاحت ورائي شجره !

ديوان محمود درويش

أنشودة المطر

بدر شاكر السياب *

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر ،
أو شرفتاني راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسماني تورق الكروم
وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر
يرجه المجداف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما ، النجوم ..
وتغرقان في ضباب من أسى شفيف
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء ،
دفاء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف ،
والموت ، والميلاد ، والظلام والضياء ؛
فتستفيق ملء روعي ، رعشة البكاء
ونشوة وحشية تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر !
كأن أقواس السحاب تشرب الفيوم
وقطرة فقطرة تذوب في المطر ..
وكركر الأطفال في عرائش الكروم ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
انشودة المطر ..

مطر ..

مطر ..

* بدر شاكر السياب : ولد في قرية جيکور من لواء البصرة في العراق عام ١٩٢٦ . عرفت عنه غزارة الانتاج الشعري ، ويعتبر من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث . من أعماله الشعرية (أزهار ذابلة) و (أزهار وأساطير) و (أساطير) و (أنشودة المطر) و (المعبد الغريق) و (الموسم العمياء) كما نشر قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث) و (مختارات من الأدب الحديث) . أصيب بمرض السل ، وتوفي في الكويت عام ١٩٦٤ .

مطر ..

تثائب المساء ، والغيوم ما تزال
تسح ما تسح من دموعها الثقال .
كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام :
بأن أمه - التي أفاق منذ عام
فلم يجدّها ، ثم حين لجّ في السؤال
قالوا له : « بعد غد تعود .. »
لا بد أن تعود

وان تهامس الرفاق انها هناك
في جانب التل تنام نومة اللحد
تسف من ترائبها وتشرب المطر ؛
كأن صياداً حزيناً يجمع الشباك
ويلعن المياه والقدر
وينثر الغناء حيث يأفل القمر
مطر ..

مطر ..

أتعلمين أيّ حزن يبعث المطر ؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياح ؟
بلا انتهاء - كالدّم المراق ، كالجوع ،
كالحب ، كالأطفال ، كالموتى - هو المطر !
ومقلتك بي تطيفان مع المطر
وعبر أمواج الخليج تمسح البروق
سواحل العراق بالنجوم والمحار ،
كأنها تهتم بالشروق
فيسحب الليل عليها من دم دثار
أصبح بالخليج : « يا خليج

يا واهبَ اللؤلؤِ ، والمحارِ ، والردى ! »

فيرجعُ الصدى

كأنه النشيج :

» يا خليج

يا واهبَ المحارِ والردى .. »

أكادُ أسمعُ العراقَ يذخرُ الرعود

ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبالِ ،

حتى إذا ما قُضَ عنها خَتَمُها الرجال

لم تتركِ الرياحُ من ثمود

في الوادِ من أثرُ

أكادُ أسمعُ النخيلَ يشربُ المطرَ

وأسمعُ القرى تئنُ ، والمهاجرين

يصارعونَ بالمجازيفِ وبالقلوعِ ،

عواصفُ الخليجِ ، والرعودِ ، منشدين :

.. مطرُ ..

.. مطرُ ..

.. مطرُ ..

وفي العراقِ جوعٌ

وينثرُ الغلالَ فيه موسمُ الحصاد

لتشبعَ الغربانُ والجراد

وتطحنُ الشوان والحجر

رحى تدورُ في الحقولِ .. حولها بشر

.. مطرُ ..

.. مطرُ ..

.. مطرُ ..

وكم ذرفنا ليلةَ الرحيلِ ، من دموع

ثم اعتَلَّنا - خوفُ أن نلأم - بالمطرِ .

مطرٌ ..

مطرٌ ..

ومتذ أن كنا صغاراً ، كانت السماء

تغيمُ في الشتاء

ويهطلُ المطرُ ،

وكل عام - حين يُعشِبُ الثرى - نجوعُ

ما مرَّ عامٌ والعراقُ ليس فيه جوع

مطرٌ ..

مطرٌ ..

مطرٌ ..

في كل قطرة من المطر

حمراء أو صفراء من أجنة الزهر

وكل دمة من الجياح والعراة

وكل قطرة تراق من دم الغبيد

فهى ابتسامٌ في انتظار مَبْسَمٍ جديد

أو حلمة تَوَدَّتْ على فم الوليد

في عالم الغدِ الفتى ، واهب الحياة !

مطرٌ ..

مطرٌ ..

مطرٌ ..

سَيُعشِبُ العراقُ بالمطر .. »

أصبحُ بالخليج : « يا خليج

يا واهب اللؤلؤ ، والمحارِ والردى ! »

فيرجعُ الصدى

كأنه التشيع

« يا خليج

يا واهب المحارِ والردى »

وينثرُ الخليجُ من هباتِهِ الكِثَارَ
 على الرُّمالِ : رَغْوَهُ الاجاجِ ، والمحارِ
 وما تَبَقَّى من عِظامِ بانسٍ غريقِ
 من المهاجرين ظلُّ يشربُ الردى
 من لجةِ الخليجِ والقرارِ ،
 وفي العراقِ أَلْفُ أُنْعَى تشربُ الرُّحيقُ
 من زهرةٍ يربها الفراتُ بالندى
 واسمُ الصُّدى
 يرنُّ في الخليجِ
 « مطرٌ ..
 مطرٌ ..
 مطرٌ ..
 في كلِّ قطرةٍ من المَطَرِ
 حمراءُ أو صفراءُ من أجنَّةِ الزهرِ
 وكلُّ دَمعةٍ من الجياحِ والعِراةِ
 وكلُّ قطرةٍ تُراقُ من دَمِ العَبِيدِ
 فهي ابتسَامٌ في انتظارِ مَبْسَمِ جديدِ
 أو حلْمةٍ تورَّدَتْ على فَمِ الوليدِ
 في عالمِ الغَدِ الفَتِيِّ ، واهبِ الحياةِ »
 ويهطلُ المَطَرُ ..

ديوان بدر شاكر السياب

صدر للمؤلف :

- ١ - وكالة المخابرات المركزية والارهاب الدولي (مترجم). الطبعة الأولى . (نفدت) ١٩٨٧ .
- ٢ - السي . آي . ايه / السجل الأسود (مترجم) الأهلية للنشر والتوزيع . عمان ١٩٨٩ .
- ٣ - صائد الجواسيس (مترجم) الأهلية للنشر والتوزيع . عمان ١٩٨٩ .
- ٤ - السي . آي . ايه / كلاب الحرب (مترجم) الأهلية للنشر والتوزيع . عمان ١٩٩٠ .
- ٥ - من روائع الأدب العربي . الطبعة الأولى . عمان (نفدت) ١٩٨٨ .
- ٦ - مسرحية : بستان الكرز / انطون تشيخوف (مترجم) دار النسر . عمان ١٩٨٩ .
- ٧ - مسرحية : الانسان والأسلحة / جورج برنارد شو (مترجم) دار النسر . عمان ١٩٩٠ .

تحت الطبع :

- ١ - الوجيز في تاريخ الأدب الأمريكي (مترجم)
- ٢ - قصة : أفول القمر / جون شتاينبك

قيد الاعداد :

- ١ - دليل القاريء الى الأدب الأردني .

الغهرس

٥ مقدمة
٧ من النثر العربي القديم
٩ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في الطائف بعدما خذلته ثقيف
١٠ من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
١١ ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والانصار في أمر الامارة في سقيفة بني ساعدة
١٥ خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح افريقية
١٧ من خطبة للامام علي بن أبي طالب عليه السلام
١٨ حديث ليلي الأخيلية مع الحجاج
٢٢ كلام تميم بن جميل بين يدي المعتصم
٢٣ محاسن مجالس أبي العباس السفاح في المفاخرة (حكاية خالد بن صفوان)
٢٥ المقامة المكية
٢٨ المقامة البغدادية
٣٠ المقامة المضيرية
٣٥ حديث معاذة العنبرية
٣٦ وحديث آخر في البخل (وحديث سمعناه ...)
٣٧ حكايات من بخل مروان بن أبي حفصة وأبي العتاهية
٣٩ محاوراة بين ابن الانباري وابن المعتز
٤٣ من أمثال العرب
٤٤ باب من الخطب القصار : من خطب السلف (وصية للأديب)
٥٢ من رسالة التوابع والزوابع : صاحب أبي تمام
٥٥ صاحب بديع الزمان
٥٦ من رسالة الغفران : مع زهير بن أبي سلمى
٥٨ مع الامام علي
٥٩ ابو الطيب المتنبي
٦٣ من النثر العربي الحديث
٦٤ مستودع الذخائر
٦٨ الامتحانات وتيسير الامتحانات العامة
٧٣ دعاء / فيض
٧٤ تجن
٧٥ معجزة العصر
٩١ الأختان وفاكهة من الشوك

- ١١٣ من الشعر العربي القديم
- ١١٤ - معلقة زهير بن أبي سلمى
- ١١٨ - لامية العرب
- ١٢٤ - البردة
- ١٣١ - قصيدة كعب بن مالك (أبقى لنا ...)
- ١٣٣ - قصيدة أبي تمام (كذا فليجل ...)
- ١٣٥ - قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم ...)
- ١٣٩ - قصيدة جميل بثينة (ألا ليت)
- ١٤٢ - مختارات : المتلمس الضبعي / سلامة بن جندل
- ١٤٣ - هدية بن خشرم / بشار بن برد / مجنون ليلى
- ١٤٥ - قصيدة المتنبي في مديح سيف الدولة (على قدر أهل ...)
- ١٤٨ - قصيدة ابن حمديس في حضه أهله على الجهاد (بني الثغر ...)
- ١٥١ من الشعر العربي الحديث
- ١٥٢ - قصيدة مصطفى وهبي التل في رثاء الهبر (أين جمشيد ..)
- ١٥٤ - قصيدة حافظ إبراهيم في اللغة العربية (رجعت لنفسي ...)
- ١٥٦ - قصيدة أحمد شوقي في عمر المختار (ركزوا رفاتك ...)
- ١٥٩ - قصيدة محمود سامي البارودي (تأوب طيف ..)
- ١٦٢ - قصيدة أبي القاسم الشابي (إذا الشعب يوما ...)
- ١٦٥ - قصيدة محمود درويش (نحن في حل من التذكار ..)
- ١٦٩ - قصيدة بدر شاكر الشياب (انشودة المطر ...)

من روائع الحب العربي

الشركة الجديدة للطباعة والتجليد

الأهلية للنشر والتوزيع

عمان - خلف مطاعم القدس ☎ ٦٥٧٤٤٨ / ٦٢٨١٨٨ ٧٧٧٢